كتاب
حسن السلوك
في
تاريخ البطاركة والملوك

العلامة

الأسقف الأنبا يسوذورس

﴿ المقدمة ﴾

الحمد لله الذي لا أول لوجوده ولا آخر لابديته العالم بجميع المعلومات . الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات . العالم بما كان وماسيكون وما هو آت . الملهم بروحه القدوس ذوي العقول سلوك سبيل الاعمال الصالحة . والمنعم على أولي الفضل بتمييز الهداية الى تحصيل الآمال الناجحة . فاستحقوا أن ينظموا في سلك الآباء القديسين . وتكون أعمالهم وشموس مناقبهم مرآة الزمان للمتأخرين (أما بعد) فلما كان التاريخ أفيد شيء للامة ومعرفته واجبة على كل فرد وكان تاريخ بطاركة طائفتنا القبطية يشتمل على حوادث الكنيسة المصرية الداخلية بأجمعها رأيت انه من أنفع الكتب فعزمت على جمع شتاته وتنظيم متفرقاته وتهذيب كلماته وعباراته فعرضت هذه الخواطر السانحة على غبطة سيدنا البطريرك فسر بها غاية السرور واظهر الي انا الحقير من التشجيع ما سهل أمامي الصعاب وذلل المشاكل والشعاب واشار الي واشارته حكم ان اوجز فيه على قدر الامكان بشرط ان لا اترك حادثة كبيرة او صغيرة الا واذكرها بأجلى بيان وأذكر من حوادث بباوات رومية وبطاركة القسطنطينية وانطاكية مما له علاقة مع كنيستنا واسرد مع تراجم بطاركة كل جيل ما جرى من الحوادث السياسية الشهيرة في مدة حكم الملوك المعاصرين لهم حتى يكون تاريخنا القبطي بمثابة كتاب جامع لتاريخ الكنيسة المسيحية والمملكة على وجه العموم والكنيسة القبطية على وجه الخصوص فقوى هذا التشجيع همتي وبعد ان كنت اقدم رجلا وأؤخر اخرى شحذت غرار عزيمتي وشرعت في العمل بعد الاتكال على العزيز الحكيم الذي علمه فوق كل ذي علم عليم

ومما يجب علي ان انبه الاذهان اليه هو اني جمعت هذا الكتاب من مصنفات الكنيسة القبطية غاية الامر اني كما قلت هذبت عباراته واضفت عليه ما سبقت الاشارة اليه ولم أؤلف فيه حرفاً واحداً

(١) مرقس الرسول قبل دعوته للرسالة (٢) دعوته للرسالة واهم اعماله فيها (٣) تشييده مركز البطريركية في الاسكندرية (٤) شهادته فيها

(١) مرقس الرسول هو يوحنا الذي ذكر اسمه لوقا الانجيلي في كتاب أعمال الرسل (اع ١٢ : ١٢ و ٢٥) وهو الذي أشار اليه المسيح بقوله للرسولين (اذهبا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء اتبعاه (مر ١٤ : ١٣) فكان بيته محط رحال المسيح ورسله قبل الصلب وبعده ومن أمره أن أباه ارسطوبولس ووالدته مريم كانا من مدينة ابرياتولوس من أعمال الخمس مدن الغربية من قارة أفريقيا من بني اسرائيل وكانا شديدي التمسك بديانة اليهود متمسكين بشريعة موسى وقائمين بفروضها حق القيام مواظبين على عبادة الله ليلهما ونهارهما وكانا على جانب عظيم من الثروة والمال لكنهما افتقرا بعد حين فان قبيلة من الاناس المتوحشين أغارت على المدينة حيث كانا مستوطنين وأضرت بأهلها ونهبتهم وسبت منهم خلقاً كثيراً فنهب مال والدي القديس مرقس ضمن من نهب ماله وخطفت ثروتهما الجزيلة فاقصدتهما هذه النكبة على بساط الفقر المدقع حتى أحوجهما الحال واضطرهما أن ينزحا من تلك البلاد الافريقية بالاصالة ويأتيا الى بلاد اليهودية ويسكنا في أورشليم ففعلا ذلك وهجرا وطنهما هما وكل أقاربهما وجاؤا الى وطن أجدادهم العزيز الذي طالما عز على اليهود فراقه سيما المتغربون منهم وكان حينئذ صاحب الدعوة المسيحية قد بدأ يظهر الى عالم الوجود فاقلقت أخبار ولادته العجيبة أفكار كل من طنت أذنه بها وانتظر ما ذا عسى أن يكون من أمره وعلى نوع أخص كبار قوم اليهود والعقلاء فيهم وأصحاب المراكز والمناصب العالية .

فان هيرودس ملك اليهود أخذته الدهشة والحيرة وامتلأ من الرعب والخوف حين سمع من المجوس خبر ولادة المسيح التي كانت في عهد اغسطس قيصر أمبراطور الرومانيين في سنة ٤٢ من ملكه وعقيب تأسيس عاصمة تلك المملكة التي هي رومية بنحو

٢٥٢ سنة وعقيب خلقة العالم بنحو ٥٥٠١ سنة على مقتضى حسابنا و ٥٥٠٨ سنين على مقتضى حساب الروم و ٤٠٠٤ سنين على مقتضى حساب اللاتين وكذلك سكان أورشليم اضطربوا حين سمعوا بولادة المسيح (مت ٢ : ٣)

(٢) من الذين تبعوا آثار المسيح وتلمذوا له وقبلوا تعليمه وآمنوا بدعوته وانتظموا في سلك دعاته الذين دعاهم الى أن يشهدوا للعالم على صدق الدعوة المسيحية ويدعوا الانام طرّاً الى التدين بدينه لاقدس الصحيح هو سمعان الذي دعي دعوة شرعية الى التلمذة قبل غيره ولقب ببطرس . هذا الرسول كان تزوّج بابنة برنابس أخي ارسطوبولس فلذلك كان القديس مرقس يتردد كثيراً الى بيت بطرس فلما آمن هذا بالمسيح وصار تلميذاً له انتهج القديس مرقس منهجه وحذا حذوه وقال بقوله وآمن بإيمانه ولم يستقر مدة قليلة حتى جذب أباه أيضاً الى ايمان المسيح بمعجزة أظهرها له على يديه وذلك أنه فيما كان يسير الى ناحية الاردن هو وأبوه أقبل عليهما أسد ولبوة يزمجران ويزأران فتأكد أبوه أنهما ينويان الشر وأيقن بالهلاك لا محالة فأشفق على ابنه مرقس وتوسل اليه بحرقة أن يهرب من امام هذين الوحشين الكاسرين وينجو بنفسه باذلا ذاته لهما بدلا عنه فرثى القديس لحال أبيه وطمن خاطره وقال له (ان أيقن فان المسيح الذي بيده نسمة كل منا لا يدعهما يقتان بنا ثم تنحى قليلا عن أبيه وجثا على ركبتيه ورفع يديه ونظره الى السماء وصاح داعياً المسيح بحرقة ودموع غزيرة وصارخا بصوت تنشق له القلوب بقوله (أيها المسيح ابن الله الحي الذي نؤمن به نجنا من هذه الشدة وكف عنا شر هذين الوحشين الضاريين واردد شرهما على رأسهما واقطع أرجل نوعهما من هذه البرية أصلا) قال ذلك والتفت الى الاسد ولبوته فرآهما قد استلقيا على الارض وماتا لوقتهما فحمد الله وشكر فضله العميم. أما أبوه فقد سمع ان ابنه يستعين بالمسيح ويستعيذ به من شر هذين الوحشين ورأى هذا الخلاص العجيب تداخله الرعب والخوف وانتزع الريب من قلبه بدعوة المسيح فآمن به . وانتخب المسيح اثني عشر تلميذاً واثنين وسبعين مبشراً فكان القديس مرقس واحداً من هذه العدة الاخيرة وقد لقب بالثاوفورس أي حامل الاله ومن بعد صعود الرب الى السماء اصطحب مع برنابا ابن عمه وشاركه في مهام الكرازة وشاطره

في اتعاب التعاء والانذار باسم المسيح وكان شاول الذي هو بولس تالهما (اع ١٢ : ٢٥ و ١٣ : ٥) لكن تخلف مرقس عن رفيقيه وتركهما في برجة بمفيليا من اعمال آسيا الصغرى وعاد الى اورشليم (اع ١٣ : ١٣) فشق ذلك على بولس واغتاظ من تركه لهما ولما رام أن يشترك معهما مرة أخرى في عمل البشرى لم يمكنه بولس من ذلك وقدرضي برنابا بأخذه معهما وحث بولس على قبول دعوة ابن عمه كثيراً وهو يمتنع وينفر فوقع النزاع واشتد الخصام بينهما ولم تنته المشاجرة والمنافرة من بينهما الا بافتراق أحدهما من الآخر فأخذ برنابا ابن عمه وسافر في البحر الى قبرس وأما بولس فأخذ سيلا وتوجه الى بلاد سورية

فالانجيل اذاً يشهد صريحاً باشتراك القديس مرقس مع برنابا وشاول في البشارة وتم يشهد نظير ذلك على أنه رافق بطرس الرسول وقاسمه اتعاب الكرازة المسيحية كما قال بهذا القول قوم ما عدا اذا كانت بابل التي ذكرها بطرس بقوله تسلم عليكم التي في بابل المختارة معكم ومرقس ابني (١ بط ٥ : ١٣) هي رومية كما يحاول اثبات ذلك اللاتين اقرأ وجه ٨٠٢ من كتاب تيسير الوسائل * في تفسير الرسائل تأليف الخوري يوسف العلم فاذا كانت بابل هي رومية على حد ما يدعيه هؤلاء القوم فيكون جميع ما قاله أخصامهم بخصوص رومية وصاحبها البابا الروماني مطابقاً لما كشفه عنها الروح القدس للرسول يوحنا في (رؤ ١٨)

والذين ذهبوا الى أن مرقس الرسول ذهب الى رومية قالوا ان بطرس رسمه أسقفاً وأرسله للتبشير في اكويلاسا من أعمال البندقية ولما عاد الى رومية لم يجد فيها بطرس فطلب اليه أهلها أن يكتب لهم ما بشرهم به هو والقديس بطرس فلبى طلبهم وكتب لهم انجيله باللغة اللاتينية سنة ٤٠ م وظل يدير الكنيسة الرومانية فيها مدة من الزمان الى ان عاد اليها بطرس فاطلعه على انجيله فأعجبه ومدحه كثيراً ثم كتبه باللغة اليونانية وأخذه معه حين توجه الى بلاد افريقيا سنة ٥٨

(٣) والجميع اتفقوا على كتابة مرقس للانجيل باللغتين الموما اليهما في ذينك التاريخين عينهما وانه توجه الى بلاد افريقيا من بعد صعود المسيح بخمسة وعشرين سنة وانه بشر في بلاد الخمس مدن من هذه القارة أولا وأذاع في مسقط رأسه قبل

غيره بشارة الخلاص وجذب كثيرين من أهل تلك الانحاء الغربية الى الايمان بالمسيح بواسطة قدوته الصالحة وأعماله الفاضلة وبواسطة ما كان يجترحه من المعجزات الباهرة ثم انتقل الى بلاد ليبيا ثم بلاد الصعيد فاذاع فيها كلمة الخلاص وهدى جماعة ليست بقليلة الى طريق النجاة وفي سنة ٦١ قصد الاسكندرية التي كانت يومئذ قصبة ولاية بلاد مصر وما يليها وقد أراد أن يجعل مركز اسقفيته فيها دون غيرها جريا على عادة الرسل الذين كانوا يختارون لمراكزهم المدن الاكثر اهمية قاصدين بذلك أن يجذبوا الرؤوس أولا ليسهل عليهم جذب الاطراف فان الرأس اذا استقامت استقام معها غيرها واذا التوت التوى باقي ما يتعلق بها ولهذا السبب وجد التفاوت بين كل مركز أسقفية وآخر فانه كلما كان المركز بحسب وضعه الطبيعي المدني ذا أهمية وخطارة كان مركز الاسقفية الذي فيه كذلك فان رومية التي وقتئذ كانت قصبة المملكة الحاكمة على أغلب الارض المعمورة نالت الحظ الاكبر والاهمية العليا بالنظر الى مركز أسقفيتها ولكن ما لبث هذا المركز العظيم مدة حتى تساوى به غيره حين انتقل تخت المملكة الى البزنطية ودعيت لذلك رومية الجديدة كما سنبين · ثم توجه القديس مرقس الى الاسكندرية ليسذيع فيها بشارة ابن الله وقبلما يصل اليها رفع يديه الى السماء وصلى صلوة طويلة لانه كان مزمعاً أن ينزل الى ميدان الوغى ويكافح العبادة الوثنية فكان أعظم سلاح ينبغي أن يتقلده كل جندي للمسيح هو الصلوة · فصلى الرسول الى الله وطلب منه الامداد والعون ودخل شوارع المدينة ووقف على جرف بحرها الوثني وألقى فيه شبكته فكان أول من اقتنصه هو انيانوس الذي كان في صناعته اسكافاً وكيفية ذلك أن القديس كان لابساً في رجليه حذاء احتاج الى التصليح فمال أثناء سيره في شوارع المدينة عند هذا الاسكاف وطلب اليه ان يصلحه له وجلس ينتظر ذلك فحدث ان الاسكاف بينما كان يشتغل بترميم هذا الحذاء أن المخرز دخل بيده فأدماها حالا فصرخ لوقته من ألمه قائلا يا الله الواحد فبادر القديس وأخذ طيناً من الارض وطلى به الجرح فارتفع عنه الالم بسرعة غريبة وشفي الجرح حالا فاندهش الاسكاف من هذا العلاج السريع الشفاء وأخذ منه العجب كل مأخذ · كما أن القديس تعجب أيضاً حين سمع الرجل يتأوه من وجعه ويستعين بالاله الواحد فقال له ماذا تعلمك

على ان تعبد آلهة لا عدد لهـا اذا كنت تيقن ان الاله هو واحـد لا شريك له فلم يقدر ان يجيب على هـذا السؤال الا بالعجز مسلمـا باحتجاج رجل الله ورسوله فاستدعى الاسكاف القديس الى منزله ليعمل له ضيافة مقابل معروفه فقبل هذه الدعوة مسروراً وتوجـه معـه الى منزله فلما دخل بيتـه دعا الاسكاف آل منزله وأقاربه وجيرانه ليترحبوا بضيفهم الجديد فانتهز الرسول هذه الفرصة وانتصب في وسطهم خطيباً واخذ يشرح لهم التعليم المسيحي ويدعوهم الى الايمان برسـالة المسيح وكان الجميع أثناء هذا الخطاب الالهي ينصتون له بمزيد الالتفات ويتأثرون من سماع تلك الوقائع والحوادث المسيحية فجمل انيانوس هذا الخطاب من جهـة ومن أخرى المعجزة الخارقة التي حس بها بذاته ورآها بعينه رؤيا العين ان يصرخ في بهرة الجمع قائلا قد قبلت الايمـان بمسيحك أيها الرجل اطلب اليك ان تمنحني نعمة هذا الايمـان وتعمدني من ضمن ذويه فقال بقوله جميع من كانوا حاضرين طالبين الانتظام في سلك الديانة المسيحية فلبى طلبهم وعمدهم باسم الثالوث المقدس

٤ لم يمض على تشييد هذه الكنيسة الجديدة سنة حتى ذاع امرها وشاع خبرها في انحاء المدينة والسبب في ذلك ان هؤلاء المؤمنين الذين دخلوا في الدين المسيحي شرعوا يتميزون عن غـيرهم في الطعام والشراب واللباس والقيام والقـعود خشـية من أن يتدنسوا بامر من أمور الوثنيين المغضـبة فكان ذلك داعياً الى انكشاف امرهم والوقوف على حالهم فقصد ذوو الشأن في الوثنية ان يعاقبوا الرسول مرقس الذي افرزهم من بينهم وجعلهم يعتزلون عنهم وبادروا الى ان يتلافوا ضررهم الجسيم هذا وصاروا يتعقبون خطوات القديس واخذوا يبحثون عنه ويفتشون عليه في كل مكان فلمـا شعر القديس بهذا العزم الوخيم احتفل برفع السرائر المقدسة وجمع اعضاء رعيته للصلوة ورسم سبعة شمامـسة وثلاثة قسوس وكرز انيانوس اسـقفاً وسلم الى عهـدته الاعتناء بهذه الرعية ورعايتها وكان ذلك سـنة ٦٤ ميلادية فانتظم من ثم امر الكنيسة ولمـا سلم قيادتها الى اسقفها والاكليروس الذين معه بارح المدينة وفي نيته ان يفتقـد رعيته في الاماكن الاخرى وهي بلاد الخمس مدن الغربية وليبيا والصعيد ويشدد كنائسها ويثبت اعضاءها على صخرة الايمـان المسيحي . انتالا يمكن ان نصدق ان الدين

المسيحي لم يدخل الثغر الاسكندري الا بعد ثمانية وعشرين سنة صعود المسيح على بدء كروز ديارنا المصرية مار مرقس فقط فان هذا الثغر اقرب كثيراً الى اليهودية من المدن والاقاليم الاخرى التي امتد اليها نور الايمان واستنارت به سيما وان مدينة الاسكندرية كانت في ذلك الوقت ملآنة من اليهود الذين كانت علاقاتهم مستمرة بغير انقطاع مع يهود فلسطين وارض الموعد الذين استنار بعضهم قبل غيرهم بالايمان المسيحي وعندنا خبر يحتمل الصدق وهو ان مترجمي الانجيل اقروا ان هذا القديس كتب بشارته في مدينة الاسكندرية بعد الصعود بعشرين سنة كما قال الشيخ الاسعد بن العسال الذي ترجم الانجيل الى اللغة العربية فاما ان يكون الدين المسيحي دخل الاسكندرية بين اليهود فقط ولم يتعد الى غيرهم او ان المسيحيين لم ينتظم لهم امر قبل مجيء القديس مرقس

ثم طاف القديس مرقس في الاقاليم التي التي فيها بشار كلمة الله وافتقد تلك الغروس التي نبتت على مجاري المياه المسيحية موجدها صحيحة الاصل متينة الفروع ثم عاد الى مركز اسقفيته وهو يقين انه مزمع ان يقبل الشهادة على اسم معلمه الاقدس وكانت حينئذ الكنيسة في الاسكندرية اشتد ساعدها وقوى جانبها وتمت اعضاؤها واتخذ اسقفها مقراً مشهوراً لسكناه في جانب البحر كان معروفاً بمكان ... البيام خصص منه جانباً لتأدية شعائر العبادة والباقي جعله مواضع للسكن فكان يجتمع الى هذا المكان جميع اعضاء كنيسة المسيح كل يوم احد فلما رأى القديس هذا النجاح السريع سر سروراً زائداً وارتاحت نفسه منه . وكان حينئذ اسم الجليلي ممقوتاً من الشعب الوثني ومن الحكومة بنوع خصوصي لان الهيئة الملكية كانت تتوهم انه اذا نقضت العبادة الوثنية من العالم وزالت تزول معها الحكومة ايضاً وتقوم بدلها حكومة جديدة للجليليين فكان هذا الوهم يهيجهم ويحملهم على اسعار نيران الفتن ضد رؤوس المسيحيين في كل مكان سيما في المدن الشهيرة حيث يكون للحكومة النفوذ الاكبر . فلما انتشر امر مرقس الرسول في وادي مدينتهم لاعين ان احد تلاميذ الجليلي يسعى ويجتهد في تعطيل شعائر العبادة الوثنية اشتعلت نيران الغضب في رؤوس

الكثيرين وحرض كبارهم رعاع الشعب وأوباشهم على قبض القديس اينما وجد .
ولما كان القديس يحتفل برفع القرابين المقدسة يوم عيد الفصح المجيد ٢٩ برمودة
واعضاء كنيسته مجموعين واتفق ذلك كان عيد سيرابيس احد الآلهة هجمت عصبة
كبيرة وشتتت المسيحيين الحاضرين والقت القبض عليه ووضعوا في عنقه حبلاً
وبدأوا يسحبونه في الطرق وساحات المدينة وظلوا يعملون كذلك الى المساء حتى تناثر
لحمه وسالت الدماء من جسمه الرسولي مجاري وكانوا يقولون أثناء هذا العمل الفظيع
(لنجر التنين في دار البقر) يعنون بذلك انهم وجدوا القديس في المكان الذي يدعى
بمرعى البهائم ثم ألقوا القبض عليه ووضعوه في سجن مظلم وفي نصف الليل
اضاء السجن وظهر له ملاك الله وطيب خاطره ووعده باكليل الجهاد وفي الصباح
اخرجه الوثنيون وطفقوا يصنعون نظير المرة الاولى الى ان اسلم الروح بيد السيد
المسيح وكان ذلك ثاني يوم عيد الفصح المجيد ٣٠ برمودة سنة ٦٨م ولم يكتف
سافكوا هذا الدم البريء وهؤلاء الظالمون بذلك بل انهم جمعوا كومة عظيمة من الحطب
وطرحوا جسد القديس فيها واشعلوا النار فوجتهم الطبيعة شاهدة على ظلمهم وبراءة
المائت شهيداً فان بروقاً حدثت ورعوداً قصفت وامطاراً غزيرة هطلت فأطفأت
تلك النار حتى استطاع المؤمنون ان يأخذوا الجسد ويكفنوه بما يليق له من الاكرام
والاجلال ويضعوه بتابوت ففعلوا كذلك وابتنوا على اسمه كنيسة في دار البهائم .
قال الشيخ الفاضل شمس الرئاسة الاب أبو البركات ابن كبر في كتاب مصباح الظلمة
(ان جسده لم يزل مدفوناً بالبيعة الشرقية التي على شط البحر بالاسكندرية الى أن
تحيل بعض الافرنج وسرقوا الجسد وتركوا الرأس وتوجهوا بالجسد الى البندقية
وهو بها الآن ونقلت الرأس الى دار بالاسكندرية تعرف بدار أولاد السكري وهي
بها الى يومنا هذا)

ترجمة أنيانوس البطريرك الثاني سنة ٦٨ — ٨٦م

ان هذا القديس كان في صناعته اسكافاً يعبد غير الاله الحقيقي وقد
استنار بنور هداية الرسول مرقس حين لجأ الى دكانه ليصلح حذاءه كما قد ذكرنا

يانا فذ اهتدى الى طريق الخلاص ترك مهامه العالمية وأشغاله الحالية وأخذ يسعى في سبيل الكمال المسيحي صائراً تلميذاً خصيصاً بمار مرقس ولما قضت مهام الكرازة على الرسول أن يترك الاسكندرية (سنة ٦٤ ب . م) قدم تلميذه هذا أسقفاً على الاسكندرية في شهر بشنس وأنابه على كافة أعمال الكنيسة وقد أقام له ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة مساعدين له وأنشأ له مدرسة دينية وجعله متولياً لادارتها وقد مدح المؤرخون تلامذة هذه المدرسة وشهدوا بأنهم أحرزوا قصب السبق في العلوم الدينية

فان خليفة الرسول اهتم بالمدرسة المذكورة اهتماما عظيما اذ كان يرى أن تلامذتها اذا تهذبوا وتأدبوا يصيرون بمثابة الخميرة الصغيرة التي تخمر العجين كله ولم يقتصر على أن يعلمهم قواعد الدين المسيحي واحتجاجاته ضد الوثنيين بل اجتهد بالاحرى أن يقلد جيدهم بعقود الفضيلة وعودهم على أن يبغضوا العالم ويتركوا مطامعه وأن يعيشوا بالعفاف والتنسك فقد جعل انيانوس هذه المبادىء هي الاصول والقواعد الاساسية للمدرسة وأما باقي العلوم فكانت أموراً ثانوية . قال المؤرخون بأن تلامذة هذه المدرسة كانوا زاهدين في الدنيا لا يكترثون بشيء منها وكانوا يعبدون الله بروح المحبة والتواضع ولم يكن بينهم من هو فقير أو غني لانهم كانوا متساوين في أمور المعيشة وكانوا ناسكين يتناولون الطعام في النهار مرة واحدة فقط بعد غروب الشمس وكان بعضهم يصوم ثلاثة أيام وما كانوا يأكلون الا الخبز ولا يشربون غير الماء . ومن أعمال انيانوس الكنيسة التي ابتناها في الثغر على شط البحر في المكان الذي كان يعرف في ذلك الوقت بدار البهائم

وقد مكث على الكرسي ٢٢ سنة وتوفي سنة ٨٦ ميلادية في ٢٠ من شهر هاتور وكان في زمان بطريركيته وسباسيانوس قيصر

ترجمة الاب مليانو البطريرك الثالث سنة ٨٦ — ٩٨ م

ولما توفي الاب البار انيانوس اجتمع شعب الاسكندرية وفي مقدمتهم الاساقفة الذين كان رسمهم هذا القديس لبعض الديار المصرية وعقدوا مجمعاً بحثوا

فيه عمن اجتمعت فيه الصفات التي تؤهله أن يرقى كانذوا الكرازة المرقسية فوجدوا مليانوس فقدموه رئيس أساقفة سنة ٨٦ م في شهر كيهك فلما استوى على كرسيه بدأ يسعى في نجاح التعليم المسيحي فنجحت مساعيه واعتنق بها من مصر والخمس مدن وافريقية الايمان المسيحي جماعة لا يحصى عددها وقد كانت هدأت حروب اليهودية وانتشر الامن في انحاء المملكة فكانت الكنيسة في سلامة وبعد مضي اثني عشر سنة وتسعة أشهر وستة عشر يوماً توفي هذا الاب في اليوم الاول من توت لخامس عشر سنة خلت من ملك دمتيانوس

(ترجمة الاب كردونو البطريرك الرابع سنة ٩٩ — ١٠٨ م)

فلما شعر الآباء الاساقفة والاعيان والوجوه في الثغر والانحاء المصرية حتى هرعوا الى اسكندرية والحزن ملء قلوبهم فعقدوا مجلس شورى وبعد الاخذ والرد اتفقت آراؤهم على تقدمة كردونو الرجل الذي كان شهيراً في ذلك الوقت بعفته وصيانته وعلمه وفضله وحكمته ورزانته فقدمه الاساقفة رئيساً عليهم في سنة ٩٩ م في شهر توت فاستمر يرعى الكنيسة ويرأسها ويسوسها مدة عشر سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وتوفي في اليوم الحادي والعشرين من شهر بؤونه

ان المراكز الاسقفية كان يمتاز بعضها عن البعض الآخر فقد كان في الشرق ثلاثة مراكز امتازت عن سواها وهي أورشليم وانطاكية والاسكندرية فنالت هذه المراكز أهمية دون غيرها والسبب أمران أحدهما هو أن الرسل أنفسهم نصبوا فيها كراسيهم فان أورشليم ساس كنيستها من بعد صعود المسيح يعقوب وانطاكية بطرس وأورشليم مرقس والثاني لان مراكزها الطبيعية والمدنية كانت تقتضي هذه الخطارة والاهمية وكرسي أورشليم كان أهم من الكرسيين الآخرين لكونه حاز الاسقفية الاولى في العالم المسيحي اما من يد الرب كما ذهب كثيرون أو من يد الرسل ولذلك دعيت كنيسته أم الكنائس ولكن سقطت أهمية مركزها قرب ختام هذا الجيل أي من بعد الحروب اليهودية فان أورشليم خربت خراباً تاماً ونصاراها فروا من قبل أن

تحاصرها الجيوش الرومانية ولجأوا الى قرية تسمى (بلا) في عبر الاردن سكنوا فيها
وأول أسقف صار على أورشليم هو يعقوب البار وكان محبوباً من اليهود ومعتبراً
لديهم فاحضروه في يوم عيد فصحهم وسألوه عن يسوع وعن تعليمه فشهد له
شهادة الحق وكان على منبر عال فحنقوا عليه وطرحوه الى أسفل ولما بلغ الارض
تساقطوا عليه رجماً بالحجارة وركض واحد منهم فضربه على هامته ضربة كانت
القاضية عليه كما قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي ثم أقيم القديس سمعان خليفة له
فقتله مصلوباً أتيكوس والي سوريا بأمر تراجانوس الامبراطور بعد ما جلده بالسياط
وعذبه بأنواع العقاب وأما أسقفية انطاكية فأول من علا كرسيها بطرس الرسول
وأخلفه على هذا الكرسي إفوديوس ولما توفي رقى الكاثذرا اغناطيوس النوراني
المتوشح بالله

﴿ البدع بين المسيحيين ﴾

من الهراطقة الذين أزعجوا بتعاليمهم الكاذبة مسيحي الجيل الاول سيمون الساحر
الذي كان قبل الايمان بالمسيح ومال عن جادة مركزه تابعاً أوهامه الكاذبة ومدعياً
أنه هو قوة الله الفائقة وظل يسعى بين النصارى حتى بلغ الى عاصمة الامبراطورية
وهي اذ ذاك الحين رومية فتعقب آثاره كما ذكر بعض الآباء بطرس الرسول ليضلل
تعاليمه ويبطل أقاويله (لا لينصب كرسي بطريركيته في تلك المدينة كما يدعي الكاثوليك
فان كرسيه كان منصوباً في انطاكية كما هو ثابت بالاجماع العام) أما سيمون فكان
أدهش عقول أهل رومية بشعبذاته وسبى قلوبهم بسحره حتى احتسبوه الهاً
ونصبوا له تمثالاً فنال منهم ومن نيرون ملكهم اكراماً جزيلاً لكن لم تطل مدة
تمويهاته عليهم فانه قصد ذات مرة أن يصعد بقوة سحره الى السماء ودعا شياطينه
ليساعدوه ويرفعوه من الارض ويحملوه الى الجو ولما ابتدأ أن يرقى الى السحب
اتفق أن بطرس الرسول كان حاضراً ضمن من كان من الجماهير المجتمعة ليشاهدوا
هذه المعجزة الخيالية فاتقد غيرة على الحق وتحركت روحه وحمي وطيس عزمه فرفع

عينيه الى السماء وبسط يديه وصلى بحرقة شديدة طالباً من المسيح أن يكشف لهؤلاء المخدعين خديعة سيمون ولم يلبث قليلاً حتى شاهد الساحر ساقطاً فلما بلغ الارض انكسر ساقاه وحمل الى بيت قريب فرمى من شدة خجله نفسه من على سطح ذلك البيت ومات شر ميتة

وظهر من بعد خراب أورشليم ابيون الذي علم ان المسيح لم يكن الهاً بل انه انسان مولود بالطبيعة من يوسف ومريم وقال ان الايمان بدون حفظ الناموس العتيق كالختان والسبت لا يفيد شيئاً ثم نقض هذا التعليم وعلم بخلافه ولما سار الى رومية كان يستعمل فيها سر الافخارستيا بخمر صرف وخبز فطير فلا عجب اذا رأينا اليوم أهل رومية ومن يجرى مجراهم يحذون حذو هذا الهرطوقي ويقدسون نظيره على فطير

وكان معاصراً من الهراطقة لابيون كيرنثوس اليهودي الذي كان يقول انه توجد قوة سائدة على الكل واسمها الاله الأعظم الذي ليس هو خالقاً لهذا العالم بل ان الخالق له قوة أخرى تبعد عنه بعداً كثيراً وهو يريد بهذه القوة الاخيرة اله اليهود وقال ان الاله الاعظم لما علم بخلقة العالم أرسل أحد الارواح الخالدة أعني المسيح واتحد بيسوع الانسان البار ابن يوسف ومريم حين اعتمد من يوحنا ونزل عليه بصورة حمامة وبعد اعتماده هجم على اله اليهود لينتقم منه ولكن هذا الاله حرض اليهود عليه حتى أمسكوه وقتلوه مسمراً على الصليب وفي أثناء ذلك طار المسيح الى السماء وقال يجب أن يعبد الاله الاعظم أو المسيح الذي أرسله فقط والا يعبد اله اليهود

وكان يعلم بخصوص الاجساد أنها تقوم وتعيش مع المسيح المزمع أن يظهر على الارض جسديا ويمكث الف سنة كما يتوهم الآن البليموثية بذلك ويرتأوون بفاسد فكرهم .



﴿ الحوادث المدنية في الجيل الاول ﴾

انه لما كان سنة ٧٢٥ لتأسيس مدينة رومية تغيرت حكومة الرومانيين الى حكومة ملكية بعد ما كانت جمهورية وصار أمبراطوراً عليها اغسطس الذي كان اسمه اقطاوس وأحد قواد العساكر الرومانية الثلاث الذين اقتسموا المملكة بينهم واستقل كل واحد بنصيب منها فكان نصيب اقطاوس ايطاليا وأقاليم أوروبا وليبدوس أفريقا و بلاد القيروان وانطنيوس مصر والشرق وقد تغلبت كليوبطرة على أفكار هـذا الاخير لانساه جمالها وحبه وعشقه لها وغرامه بها عن أداء واجباته أخيراً تزوّج بها وقضى معها باسكندرية مدة من الزمان وفي هذه الأثناء كان اقطاوس يعتز شاناً ويقوى شوكة ويعلو مكانة ويزداد قوة فحارب أولاً ليبدوس شريكه وانتصر عليه نصرة هائلة واستولى على حكومته وانتهز فرصة غضب الرومانيين على شريكه الثالث فانه كان جزأ المملكة الشرقية وولى على كل جزء منها واحداً من أولاد كليوبطرة وزد على ذلك أنه طلق امرأته اقطاوة أخت اقطاوس حين تزوّج بكليوبطرة فأغضب أخاها هذا الامر وهم بعزله من منصبه فأقام الحجة عليه أمام السناتو وأثبت خيانته فعزله السناتو من رئاسة الجمهورية وأمر اقطاوس باشهار الحرب ضده وضد كليوبطرة زوجته فزحف بجيوشه فالتقى جيش انطنيوس وجيش كليوبطرة مع جيش اقطاوس بالقرب من مدينة أكسيوم على ساحل الروم ايلي واشتبك الجيشان ودارت رحى الحرب ولم يمض قليل حتى تكللت جنود اقطاوس بالنصر فان كليوبطرة التي جاءت لمساعدة معشوقها انفصلت سفنها الحربية على حين غفلة وفرت هاربة الى مصر فاختل نظام عسكر انطونيوس واقتفى أثرها هروباً فتعقبه اقطاوس بجيشه المظفر الى الاسكندرية فلما رأى ان الضعف حاق به من كل جانب استل سيفه وانتحر فلما عاد اقطاوس الى رومية قلده السناتو رئاسة الجمهورية ولقبه اغسطس وظل يسعى الى أن تغلب على الجمهورية وانفرد بالحكم وحده وابتداء حكمه كان منذ أصدر أمراً سنة ٧٢٥ لتأسيس رومية بتغيير الحكومة الى ملكية مطلقة وكانت ولادة المسيح بعد ذلك بسبعة وعشرين سنة تقريباً وسنة ٣١٩ للاسكندر المكدوني

وقد حكم أغسطس على ولايات حكومته الواسعة الاطراف بالعدل وأزال عنهم المظالم والمغارم ورفع شأن العلم وعزز ذويه وقربهم منه وأعلى مقامهم ثم أخلفه ابنه طيباريوس وكان على جانب عظيم من الخشونة والفظاظة واشتهر بسفك دماء الابرياء وفي السنة الثامنة عشر لملكه قام اليهود على مشترع ديانتنا المسيحية وأنكروا تعليمه وادعوا عليه دعوى باطلة وحملوا بيلاطس الوالي الروماني اذ ذاك على اليهودية على قتله فحاول أن ينقذه من اغتيالهم فلم ينجح وتغلبوا عليه حتى مكنهم من قتله ثم تولى بعد موت طيباريوس الملك كاليغولا فاستبشر الناس في أول الامر بملكه لانهم كانوا يتوسمون به ليونة الجانب لكنه اعتسف منذ جلس على أريكة الامبراطورية طريق الظلم والجور وجاهر بارتكاب المحارم والمعاصي وسفك دماء كل من لم ينسج على منواله حتى أصبح مكروهاً من كل واحد ومن شدة جهله وحماقته الزائدة أنه بنى اصطبلاً من المرمر لفرس وعمل فيه حوضاً من العاج ووضع طقوم الفرس باللؤلؤ وصار يتنبأ عنها أنها ستصير يوماً ما الملكة الحاكمة على الرومانيين وكان يسقيها الخمر في كؤوس من ذهب وهكذا استاء حاله حتى قام واحد من أمرائه وقتله وخلص الناس من ظلمه وشره

وقام بعده اقلوديوس الاول وكان نظير سلفه على غاية من الجهالة والبلادة والظلم فهرق دماء خيار الناس وأفاضلهم فقتلته امرأته فانها أسقته كأساً مجهزة بالسم البطيء وبعثت اليه بالحكيم زنفون فأدخل ريشة مسمومة في حلقه عجلت في حتفه وفي السنة التاسعة لملكه شرف ديارنا المصرية الرسول مار مرقس كما ذكر ذلك شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر فظل يكرز ويبشر ويعلم ويعظ الناس حتى تمكن منه الكفار وقتلوه شهيداً وكان ذلك في ملك نيرون خليفة قلاوديوس وربيبه فانه كان ابن امرأته من زوجها الاول وفي آخر ملك نيرون سرى روح الاضطهاد على المسيحيين في كل مكان وسببه أن نيرون خطر على باله حال مدينة تروادة أثناء ما كانت مشتعلة بالنار فرغب أن يمتع نظره بمثال ذلك وأمر باحراق رومية فاشتعلت فيها النار واستمرت ستة أيام وقيل تسعة وأتلفت ثلاثة أرباع المدينة وأهلكت أموالاً جمة ومات خلق لا يقع تحت الحصر وكان نيرون في أثناء ذلك

[illegible] عال ملكاً بيديه آلة طرب وهو يغني الاغاني التي قيلت على احراق مدينة [illegible] ويسر من هذا المنظر المهول وقيل أن الذي حمله على احراق رومية هو لكي يجدد بناءها وقد أتم ذلك فانه لما افاق من سكره كفر عن ذنبه بناء ما هدم من المدينة من ماليته الخصوصية وزينها بأبواب شاهقة وأعاد المدينة الى رونقها الاول بل أجمل لكن بما ان الاشاعات كدرت عيشته وما برحت تزداد يوماً فيوماً والتعبيرات تكومت على هامته من كل جانب وأصبح مرذولا من الشعب الروماني فلكي يحول عنه هذه السمة التي شوهت وجهه وجعلته ممقوتاً وعديم الاعتبار ألقى التهمة على المسيحيين الذين كان يبغضهم قبلا وكان الشعب يحسبونهم أعداء لهم لمنافرتهم أمور دياناتهم فزعم أن هؤلاء هم الذين أحرقوا رومية ولاثبات هذه التهمة سن سنة لابادة المسيحيين وذلك سنة ٦٤ ب . م وقيل ٦٦ فأصبح هؤلاء عرضة لانتقام الملك والجمهور فشرعوا يعذبون منهم ويقتلون بطرق مختلفة وقد صبوا كل جهدهم في استعمال كل ما يمكنهم من ضروب العذاب والموت كما أخبرنا تاسيتوس المؤرخ الوثني الذي كان معاصراً . فقال من ذلك أن بعض المسيحيين كانوا يلفون بجلود وحوش ضارية ثم يطرحون للكلاب فتمزقهم والبعض كانوا يلبسون أردية مغموسة بزفت ويعلقون بمشانق وتضرم النار تحتهم فعلى هذه الحالة يمسون كمشاعيل مضيئة بالليل والملك نفسه عمل مثل هذا المشهد الفظيع في جنانه وكان يمر بمركبته على ضوء هذه النيران مسروراً وأعظم تلك المشاهد كانت تصير في الالعاب والاعياد المفرحة والضحك . والمرجح أنه حضر في هذا الوقت بولس وبطرس لتعزية المؤمنين وتثبيتهم على احتمال العذاب والموت حباً بالمسيح فشربا هذه الكاس عينها فبولس قتل بنحر الرقبة وبطرس صلب منكس الرأس

ثم ان الامة الرومانية نقمت على هذا الملك وكرهته أشد الكره ولما رأى نفسه مكروهاً سئم من حياته فقتل نفسه فقام بعده (غلبا) وكان شديد البخل سيما على العساكر فاغتاظوا منه وقاموا عليه وقتلوه وأقاموا بدله (مرقس اوتون) لانه كان مشهوراً بالكرم والسخاء والجود لكن جنود جرمانيا اختلفوا عنهم وبايعوا (ويطيلوس) قائدهم فقام الحرب بينهم سجالاً ولما أحس أوتون بانكسار جيشه قتل نفسه بيده

ابتلعه فرآه عسكري وأخبر رفقته الذين لما سمعوا بذلك شرعوا يقتلون اليهود ويستخرجون منهم الجواهر فلما علم تيطوس بهذا الامر شق عليه وأمر بالاحسان الى اليهود الذين صاروا تحت ذمته وكان ممن خرج اليهم صبيان جائعون لما يبصرون الخبز يخطفونه وينهشونه بلا عقل ثم يموتون عقيب ذلك وكان كثيرون منهم لا يقدرون ان يفتحوا أفواههم فوكل تيطوس بهم يوسيفوس فصار يسقيهم اللبن حتى تلين أجوافهم

(مضمون فصل ٧ من تاريخ يوسيفوس)

ثالثاً قال المسيح متنبئاً عن اورشليم) ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر (وعن خراب الهيكل مخاطباً رسله)أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم أنه لا يترك هنا حجراً على حجر لا ينقض (متى ٢٤ : ٢) وقوله لليهود(هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً (لوقا ١٣ : ٣٥) واتمام ذلك أنه لما ضاق الامر باليهود وهلك بعضهم جوعاً وهم الروم بأخذ المدينة فقدموا الكبش الى للسور الثالث ليهدموه فخرج اليهم اليهود وقتلوا منهم رجالاً ولما كلت أيدي اليهود من الحرب وعادوا الى المدينة دفع الروم الكبش مساء الى السور الثالث فهدموه فقام اليهود ليلاً وبنوا قباله سوراً جديداً فلما طلع النهار رأى الروم هذا السور فذهلوا وارتخت عزائمهم فشجعهم تيطوس وأوراهم ما حل في اليهود من الضعف ووهن القوة فقويت أيديهم ولما كان اليهود في الليلة الثانية نياماً من التعب والجوع صعد على السور عشرون بطلاً ومعهم جماعة فملكوه ودخلوا المدينة صارخين باليهود فاستيقظ هؤلاء ولبثوا في أماكنهم . فلما سمع تيطوس صراخ أصحابه تحقق أنهم ظفروا بالمدينة فجاء بعسكره الى السور ووقف الى الغد فالتحم الفريقان فانهزم اليهود الى صحن القدس وتبعهم الروم واقتتلوا معاً فظفر اليهود بالروم واستظهروا عليهم وأخرجوهم من القدس وقتلوا منهم رجالا كثيرين وكان يمنع الروم عن مقاتلة اليهود حاجز متصل بالقدس ومنتسه بالاسوار المهدومة فأمر تيطوس بهدمه ليسهل على جيشه الحرب فهدم وصار المضي الى القدس سهلاً أما تيطوس فشفق على اليهود وعلى خراب مدينتهم وخراب الهيكل المقدس ورام أن يأمنهم على أنفسهم على شرط أن يطيعوه فخاطبهم بشأن ذلك ثم أمر يوسيفوس بن كريون أن يخاطبهم فخاطبهم فلانت قلوب البعض منهم وبكوا بكاء مراً وهموا

بالخروج فبادر العصاة الى قتلهم فسارع الروم لخلاصهم وهجموا على اليهود في القدس فقاتلوهم فضعفت ايدي الروم وانهزموا الى قدس الاقداس والتجأوا فيه فتبعهم اليهود وقتلوهم فلما شعر تيطوس دعا يوحانان الكاهن ووبخه على تجاوزه الشريعة بدخول اليهود الى قدس الاقداس وقال له ولليهود قد علم الله مني وشهد عليّ اني لا اريد أخرب هذا البيت ولكن عصيانكم الرديئة هي التي تخربه واني اريد ان تطيعونا حتى لا نخرب هذا البيت لكن نصونه ونحسن اليكم ثم ننصرف فلم يذعن اليهود لكلامه فانتخب ثلاثين ألفاً وعزم ان يكبس اليهود ليلا فعلم هؤلاء بالمكيدة وربطوا نخبة رجالهم جميع طرق المدينة سامرين فلم يتم لتيطوس ما عزم عليه

ولما رأى اليهود اسوار المدينة مهدومة واسوار القدس مثلومة وتحت ايدي الروم دبروا حيلة وقتلوا بها كثيرين منهم وذلك انه كان بقرب القدس قصر عظيم من بناء سليمان بن داود وزيد علواً بأيدي الملوك وعلي جوسق رفيع من الخشب وتغطت حيطانه بالخشب أيضاً فطلى اليهود هذه الاخشاب بالنفط والكبريت والقار واخفوا فيه رجلا وأمروه ان يشعل ناراً فيه عند ما يصير الروم في اعلاه ويخرج من باب كان مخفياً فلما دار القتال بينهم وبين الروم الذين داخل القدس انهزم اليهود فارين الى ذلك القصر وخرجوا من الباب الآخر المخفي فتبعهم الروم الى القصر ولما صاروا في أعلاه أشعل ذلك الرجل النار وخرج سراً فلما شاهدوا النار هموا ليخرجوا فوقف اليهود على باب القصر ومنعوهم من الخروج حتى مات جميعهم فرفع تيطوس من ثم الحرب عن اليهود وأحاط بالمدينة بعسكره من كل جانب وضايق اهلها فمات من اليهود خلق كثير جوعاً وبعضهم خرجوا الى تيطوس فقبلهم وأحسن اليهم فلما اشعر تيطوس بوهن قوة اليهود دخل بعسكره بدون مانع الى القدس فأمر أصحابه مؤكداً عليهم أن لا يحرقوا القدس فجاوبوه قائلين ان لم نحرقه لا يكف اليهود عن مقاومتنا فكرر الامر مؤكداً عليهم فصادفوا الطريق الى القدس مسدوداً بباب مصفح بالفضة فحرقه بعض الروم وأخذوا الفضة من عليه ودخلوا الى القدس فنصبوا فيه اصنامهم وقربوا لها القرابين ومدحوا سيدهم تيطوس فلما رأى اليهود ذلك لم يحتملوه فبادروا الى الروم وقتلوهم ثم جاءهم تيطوس

بعسكره فقتل بعضهم ومن بقي منهم هرب الى جبل صهيون فدخل العسكر الى القدس وأشعل النار فيه فلما رآها تيطوس أرسل فرقة فطفئتها ثم شبت مرة ثانية فامر العسكر فطفوها ورمى جندي ناراً من نافذة في حائط قدس الاقداس فاشتعلت فبادر تيطوس وتبعه رؤساؤه الى ذلك المكان باذلين جهدهم بالصراخ والاوامر الصارمة لردع الجنود عن اتلاف البناء فاغتنم جندي آخر فرصت خروج تيطوس ورمى النار في السقف على الباب الذهبي فالتهب ونفذ لهيبه الى داخل البيت فجاء تيطوس مسرعاً الى قدس الاقداس لكن لم يستطع هذه المرة أن يمنع جنوده وذكر أنه صاح في ذلك اليوم حتى بح حلقه وأشهد الله على نفسه انه لم يشأ حرقه

فلما رأى اليهود أن النار أخذت تولع في بيت عزهم وهيكلهم بادروا يقاتلون الروم فانهزموا من امامهم وزجوا أنفسهم في النار فاحترقوا فأصدر حينئذ تيطوس الأوامر بنقض الهيكل وكل المدينة الى الأساس فاسرع اليهود الى كافة القصور والبيوت الملكية وأحرقوها وما فيها من الذخائر والعدد والاموال (مضمون فصل ... من تاريخ يوسيفوس) وقيل في (التلمود) أن ضابطاً من جيش تيطس حرث أخيراً أسس الهيكل وزاد (كين) أنه قد جر محراث على الأرض المقدسة علامة للعنة الدائمة

رابعاً قال المسيح متنبئاً على سبي اليهود - ويقعون بفم السيف ويسبون الى جميع الامم (لو ٢١ : ٢٤) واتمام هذه النبوة هو أنه قد ذكر رؤساء اليهود الذين استأمنوا للروم قبل أن يأخذوا المدينة انهم أحصوا الموتى الذين أخرجوا من ابواب المدينة فكان عددهم ٦٠٠ الف غير الذين ألقوا في البراليع والابار والشوارع وليس من يدفنهم وغير الذين طرحوا الى خارج الحصن وأما الذين هلكوا في الحرب وقتلهم أصحاب الثورة فكان عددهم ١٠٠٠١٠٠ نفراً والذين أخذهم تيطوس سبيا كان عددهم ٩٩ الفاً غير الذين أمنهم على أنفسهم وقبل أن تؤخذ المدينة وقع منهم كثيرون بأيدي الروم فباعوهم ونساءهم وأولادهم معهم وارسل منهم الى نيرون ٦ آلاف شاب مختار وبيع ٣٠ ألفاً من القرى الاخرى وأخذ من أسرى أورشليم طوال القامة وحسان الصورة الى رومية للاحتفال بدخول تيطوس ظافراً وسبي

بعضهم الى مصر والقى غيرهم للسباع في أماكن مختلفة ومن بقي في اورشليم تفرق طوعاً وجبراً الى كافة الولايات ولا يزال يشهد تاريخ شعوب أوروبا و آسيا وافريقيا بصحة نبوة المسيح وتمامها على سبي اليهود لانه في كل قسم من أقسام الارض وجدت فرقة من اليهود مضنوكة من الاضطهاد ومبغوضة من كافة الاجناس وذلك علامة لرجز الله ونقمته الدائمة عليهم وعلى نسلهم . وقد بذل اليهود جهدهم في أزمنة مختلفة ليعودوا الى أورشليم ويبنوها فلم يستطيعوا ذلك ففي الجيل الثالث حينما جدد بناءها ادريانوس القيصر وجعلها كولونية رومانية رغب اليهود أن يسكنوها فمنعهم من الدخول اليها وهددهم بقصاص الموت فحنقوا عليه وشقوا عصا الطاعة وهموا على استرجاع مدينتهم من يد الروم فحاربهم الملك وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاموا مرة ثانية في زمان قسطنطين الكبير فأخضعهم قهراً وألقاهم في ذل مشوم وسيأتي ذكر تتمة نبوة المسيح في ترجمة يوليانوس الكافر وذلك في الجيل الرابع

تقول ماذا صار للمسيحيين الذين كانوا في أورشليم فأجيب أنه لم يصبهم أدنى ضرر وذلك انه قبل ما يدهم المدينة جيوش الروم وقبل ما تنقسم الامة الى احزاب ويصبح كل واحد يعادي الآخر خرج المسيحيون من المدينة وذهبوا الى مدينة صغيرة في عبر الاردن تدعى (بلا) سكنوا فيها واستمروا الى أن انتهت القلاقل وعاد بناء أورشليم فرجعوا اليها وأما الذي نبههم الى الهروب فهو أمران أحدهما انذار المسيح بعلامة ظاهرة بقوله فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ فحينئذ يهرب الذين في اليهودية الى الجبال (متى ٢٤ : ٥ و ٦) فقال المفسرون ان رجسة الخراب هي رايات الجيوش الرومانية التي كان عليها تماثيل يقدمون لها عبادة وكان اليهود يحسبونها رجسة وحين نصب الجيش الروماني راياته حول المدينة المقدسة قامت حرفيا رجسة الخراب في الارض المقدسة او المكان المقدس ونسبت للخراب لكونها كانت تتقدم أي جيش يحل في مدينة ليدمرها ويخربها . وثانيهما هو انه قبل ما يحل بأورشليم وأهلها هذه الشرور ظهرت علامات أخرى في القدس أنذرتهم بقرب الخراب وذلك ان كوكباً عظيماً ظهر قبل مجيء وسباسيانوس بنور ساطع وكان القدس يضيء به كما يضيء بنور الشمس واستمر على ذلك

سبعة أيام عيد الفصح وقدم أناس بقرة قربانا فلما طرحوها لتذبح ولدت خروفاً وباب
القدس الشرقي الذي كان عظيماً جداً وكان لا يغلق او يفتح الا بقوة جماعة من الرجال
كان اليهود يجدونه مفتوحا كل يوم وظهر فوق القدس في الهواء صورة وجه انسان
بديع في الحسن وظهر ايضاً في تلك الايام صور ركاب من نار على خيل من نار
يطيرون في الهواء قريباً من الارض وليلة عيد العنصرة سمع الكهنة في القدس حس جماعة
يذهبون ويجيئون من غير ان يروا احداً منهم وسمع صوتاً عظيماً يقول (امض بنا حتى
نرحل من هذا البيت) وقبل خراب البيت بأربع سنين ظهر في المدينة انسان من
بعض العوام وكان يمشي بين الناس كالمجنون ويصرخ قائلاً (صوت من المشرق صوت
من المغرب صوت من أربع جهات العالم صوت على أورشليم صوت على الهيكل
صوت على الحصن صوت على العروس والعريس صوت على جميع الناس) فلم يفتر من
ذلك وما زال يصرخ حتى أحاط الروم بالمدينة وكان ذات مرة يصرخ كعادته فرمي
بحجر ومات لوقته (مضمون فصل ٨ من تاريخ يوسيفوس)



الجيل الثاني

ترجمة الاب ابريموس البطريرك الخامس سنة ١١٢٠م — ١٢٤٠م

وفي سنة ١١٢٠م في شهر أبيب منها رُقي ابريموس مدير مدرسة الكرازة المرقسية وكان مضى على الكرسي وهو خال ممن يشغله سنتان فان المؤمنين لم يتمكنوا بسبب الاضطهاد الشديد في خلال هذه المدة من اقامة بطريرك لهم ولكن لما خمدت نيران الاضطهاد بادروا على عجلة وانتخب الاساقفة منهم هذا الرجل المختار وكان مشهوراً بالافعال الصالحة والعفة والنشاط والاجتهاد والحكمة وسائر المناقب المسيحية فلما صار بطريركا ازداد نشاطه وصار كاملا في علمه وعمله وظل يشتغل في توسيع نطاق الكنيسة مدة اثنتي عشر سنة لا يفتر في خلالها من الوعظ والارشاد ثم توفي سنة ١٢٤٠م في ٣ من شهر مسرى

ترجمة الاب يسطس البطريرك السادس سنة ١٢٤٠م — ١٣٥٠م

وفي ذلك الشهر عينه من تلك السنة نفسها عقد الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية وتداولوا معاً على من يليق أن يرتسم رئيساً عليهم فأجمعت آراؤهم على تقدمة هذا القديس فقدم واستلم زمام الكرازة وأحسن فيها وأجاد وقوّم وعلم ودرب وهذب المؤمنين وهدى كثيرين الى عبادة ابن الله الواحد وأرشد من الوثنيين عدداً ليس بقليل وقد لبث على هذه الحال محققاً الآمال مدة عشر سنين وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وفي ١٢ بؤونه من سنة ١٣٥٠ م توفي بالرب

ترجمة الاب أومانيوس البطريرك السابع سنة ١٣٥٠م — ١٤٦٠م

ولما شاع خبر وفاة الاب يسطس في الاصقاع المصرية حتى أقبل على الثغر الاسكندري الاساقفة من كل صقع واجتمعوا معاً فوقع اختيارهم على أومانيوس أحد فضلاء مسيحي الاسكندرية

وصاموا وصلوا ورسموه رئيس أساقفة وأهم أعمال هذا البطريرك تعيين الاساقفة للكرازة المرقسية فانه رسم عدة كبيرة منهم وبعث بهم الى الديار المصرية والنوبة والخمس مدن الغربية وبعد ما قضى بالخدمة البطريركية احدى عشر سنة وثلاثة أشهر توفي في اليوم العاشر من بابه سنة ١٤٦ م

ترجمة الاب مركيانوس البطريرك الثامن سنة ١٤٦ م — ١٥٥ م

وفي هذا الشهر عينه والسنة نفسها اجتمع الاساقفة وكبار المسيحيين في البطريركانة واتحدوا قلباً وقالباً على انتخاب مركيانوس الذي كان صيت محبته لله وتواضعه وعلمه وعمله شائعاً في كل مكان فلما صار بطريركاً اقتفى آثار اسلافه وسار على مناهجهم القويم وواظب على ارشاد الشعب وتعليمه وتهذيبه وتقويمه وكان لايفتر في الليل ولا في النهار من المساعي المؤدية الى نجاح الدين المسيحي وظل سائراً على هذه الخطة الحميدة تسع سنين وشهرين و ٢٦ يوما وتوفي بسيرة مرضية وحميدة في اليوم السادس من شهر طوبة

ترجمة الاب كالوتيانوس البطريرك التاسع سنة ١٥٥ م — ١٦٩ م

وما طار خبر وفاة الاب مركيانوس حتى اجتمع رؤساء الكهنة وأعيان الشعب المسيحي في الدار البطريركية وتداولوا في مابينهم مدة وبحثوا على من يستحق ان يرقي كاثدرا الرسول مرقس فوقع اختيارهم على رجل عفيف حكيم فاضل في علمه محمود في سيرته ممدوح في قيامه وقعوده اسمه كالوتيانوس فصاموا حسب المعتاد وصلوا وسلموه عصا الرئاسة فقبض على زمامها وبدأ يفلح في كرم الرب ويزرع البذار الحي في ارض القلوب الحية ويقتطف منها ثمار البر والتقوى والقداسة واستمر على هذه الخطة الحميدة مدة اربعة عشر سنة وستة أشهر وثلاثة أيام وتوفي قديساً في اليوم التاسع أو السادس من شهر ابيب سنة ١٦٩ م

﴿ ترجمة الاب اغريبوس البطريرك العاشر سنة ١٦٩م — ١٨١م ﴾

فأخلف كالوتيانوس على كرسي البطريركية اغريبوس بمقتضى الشريعة الكنائسية فلم ينفك عن السعي من نحو نفسه ومن نحو الله في طريق الكمال المسيحي في العبادة السرية والعلنية في الصوم والنسك والعفاف والامانة والتقشف ومن نحو شعبه الذي ائتمن عليه في ارشاده وتعليمه وتقوية شأنه وتعزيز جانبه ورفع منار الايمان المسيحي في الداخل والخارج وأقام على هذه الحال المرضية احدى عشر سنة وستة أشهر وتوفي في اليوم الخامس من امشير سنة ١٨١م

﴿ ترجمة الاب يوليانوس البطريرك الحادي عشر سنة ١٨١م — ١٩١م ﴾

وفي هذا الشهر وهذه السنة عقد الاساقفة مجمعاً وقرروا فيه رسامة يوليانوس وكان كما يظن كثيرون أحد تلامذة مدرسة بنتيوس الفيلسوف التي سنأتي على ذكرها وقد أنعم الله على هذا الفاضل بروح النبوة ومن ذلك أنه لما قربت وفاته ظهر له اعلان من السماء وأعلمه عمن يستحق أن يرقى كاندرا البطريركية وأعطى له العلامة لذلك وهي ان يجد ذلك الذي رشحه الروح القدس لهذه الوظيفة عنقود عنب بغير أوانه ويحضره للبطريرك وكان ذلك فان فلاحاً مسيحياً عامياً لا يعرف من القراءة والكتابة شيئاً بينما كان يشتغل في كرمه لحظ عنقود عنب في جفنة بغير الاوان ففرح به جداً واستحسن ان يقدمه هدية للبطريرك الذي كان وقتئذ مريضاً فأخذه واسرع به اليه فلما شاهد القديس هذا الرجل العامي تذكر اعلان الله له فقبل الهدية كأنها من يد ملاك سموي واستحضر زعماء المسيحيين ورؤساءهم وقص عليهم جلية الامر وأمرهم ان يختاروا من اختاره الروح القدس بطريركا لهم من بعد وفاته فرضخوا لامره وفعلوا بحسب اشاراته

وفي هذا الاوان كان الفيلسوف بنتيوس استاذ المدرسة الدينيـة في الاسكندرية ومن مآثره انه هذب اللغة القبطية وصاغها في قالب مقبول وذلك ان اللغة الهيروغليفية

كانت تنقسم الى قسمين القسم الاول عبارة عن اشكال وصور مصورة كل شكل أو صورة منها يدل على معنى مستقل وهـذه اللغة كانت تنقش على الآثار وتستعمل في المواضيع الدينية والقسم الثاني عبارة عن اشارات كل اشارة منها يدل على حرف وهذه اللغة كانت تكتب على ورق البردي ومـا لم تكن عده ولا تلك تصلح لأن تترجم اليها الاسفار المقدسة لما فيها من صعوبة الاستعمال اخترع بنتينوس طريقـه جديدة للابجدية القبطية وهي انه استعار الحروف اليونانية ولما كانت بعض اصوات لا يمكن ان يتلفظ بها بواسطة الحروف اليونانيـة استبقى لاجـل ذلك ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية فأصبحت من ثم الابجدية الجديدة صالحة لترجمة الأسفار ومن ذلك الحين قل استعمـال الابجدية القديمة وحلت محلها الجديدة وشرع بنتينوس وتلاميذه بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة القبطيـة · ومن مآثره انه ذهب الى الهند والحبشة والعربة فبشر فيها بايمـان المسيح ولم تذهب اجتهاداته بدون فائدة تعود على المسيحيين بالنفع الدائم فانه وجد أثناء مروره في بلاد اليمن انجيل متى مكتوباً باللغة العبرية ومخطوطاً بيد الرسول نفسه فحمله معه الى الاسكندرية

ومن تلامذة هذا الفيلسوف اكلمنضوس الاسكندري الذي رقى رتبة استاذ ديني في تلك المدرسة وكان علاوة على الدروس الدينية يعلم الطلبة اصول الفلسفة وقد ألف جملة كتب دينية منها كتاب المجموعات وكتاب نصائح وكتاب المربي يختص بتهـذيب الشبان وقد تتلمذ لهذا الاستاذ كثيرون منهم اوريجانوس العلامة الذي سنأتي على ذكره في ترجمة الاب ديمتريوس ومنهم اغريغوريوس العجائبي

ومن سوء الحظ ان هذه المدرسة لم يمض عليها الجيل الثاني والثالث حتى تغيرت أوضاعها وانقلبت الدروس تعطى فيها وتلقى على الطلبـة بحال يخالف الايمـان المسيحي فأبى الاله الا اضمحلالها وابادتها واعدامها من عالم الوجود قبل ان نهاية أمرها كانت بهذه الكيفية وهي ان سيدة شهيرة وعالمة كانت استاذة هذه المدرسة فبلغ منها الى ان تجاسرت على أن تلقي على الطلبة دروساً تخالف

فو عد الايمان المسيحي بحضرة راهب كان غير متمكن في العلم فلما لم يكن في وسع هذا الراهب البسيط أن يفند أدلتها بما هو أقوى منها من الحجج والبراهين احتدم غيظاً وهجم عليها كليث ومزقها ارباً وطرد تلاميذها

﴿ ترجمة الاب ديمتريوس البطريرك الثاني عشر سنة ١٩١م — ٢٢٤م ﴾

(١) عفة هذا الاب (٢) النزاع بسبب عيد الفصح وترتيب ديمتريوس حساب الابقطي (٣) عقد المجمع في الاسكندرية وحرم اوريجانوس بسبب هرطقته (٤) ذكر بعض بدع

(١) رقي الاب ديمتريوس كاندرا البطريركية سنة ١٩١ م في اليوم الثامن من شهر برمهات ومن أمره انه كان عامياً لا يعرف شيئاً من الكتابة و القراءة لكنه كان على جانب عظيم من الفضيلة فكان تقياً وعفيفاً بهذا المقدار حتى انه لم يباشر زوجته مباشرة زواج البتة وقد كانت العادة جرت على ان كل من يصير بطريركا ينبغي ان يكون بتولاً وقد كان من دأب هذا البطريرك أن يكثر من توبيخ الخطاة وتبكيت المذنبين الذين كان يطلع بالهام الروح على اعمالهم القبيحة وكانوا يعلمون ان له زوجة فتذمروا كثيراً وأخذ الواحد منهم يشاغب وينازع ويناقض الآخر ووقعت الخصومة بينهم وانقسموا على أنفسهم بسبب كون البطريرك له زوجة الى أن شعر بهذه الامور المحزنة بواسطة اعلان من السماء اضطره أن يرفع النقاب عن محياء أمره مع امرأته لشعبه فانتهز الفرصة في يوم حافل وأدى خدمة القداس الالهي ولما انتهى منه استحضر زوجته ووضع في مئزرها قليلا من جمر نار المجمرة وفعل كذلك في جبته وطاف على هذه الحال هو وهي بين الشعب وقدامهما نفر من الشمامسة يرتلون ويرنمون وينشدون الاناشيد الروحية الى ان انتهوا من الدورة فنظر الشعب الى المئزر والجبة واذاهما صحيحان لم يحدث بهما أقل تأثير من النار ثم وقف البطريرك وبدأ يشرح حال تصرفه الملائكي مع زوجته العفيفة الى ان اقتنع الشعب بذلك بواسطة ما شاهدوه من عظم الاعجوبة فمجدوا الله

وطلب المتذمرون عليه الصفح والغفران منه فصفح لهم وأمر زوجته من ذات الحين أن تعيش مع العذارى اللواتي كن ينذرن العفة و يعشن عابدات الله بالصوم والصلوة

(٢) قد جرى اختلاف بين المسيحيين بسبب تعييد عيد الفصح فان نصارى آسيا الصغرى وكيليكيا وبين النهرين وسوريا كانوا يعيدون اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري تذكاراً للصلب والسادس عشر تذكاراً للقيامة في أي يوم من الاسبوع اتفق وفوق ذلك انهم كانوا مذ ينتهون من تذكار الآلام في اليوم الرابع عشر يحلون الصوم والحزن معاً معتقدين ان هذا اليوم يوم تحرير من العبودية وخلاص فكان هذا اليوم عندهم يوم حزن أثناء تذكار آلام الرب ثم يكون من بعد ذلك يوم فرح وكانوا زعمون ان هذه العادة اتخذوها عن يوحنا وفيلبس الرسولين أما نصارى بلاد اليونان ومصر والبنطس وفلسطين وبلاد العرب فلم يجعلوا لعدد الشهر أهمية بل راعوا اليوم الذي تألم فيه الرب واليوم الذي قام فيه من الاموات فكانوا يجعلون يوم الجمعة تذكاراً لموت المسيح ويوم الاحد تذكاراً لقيامته ولا يحلون الصوم قبل هذا اليوم واستشهدوا على ذلك بتسليم بطرس وبولس الرسولين

وقد استمر هذا النزاع بين الفريقين وقتاً طويلاً ولكن بدون أن يؤثر على سلام الكنيسة أو يقطع ربط المحبة وعلائق الاتحاد من أعضائها ولما سافر القديس بوليكربوس أسقف ازمير الشيخ الرسولي نحو ١٦٠ م لرومية لنهي بعض مسائل من جملتها مسألة الفصح أملا بان يقنع انيكطس أسقف رومية حينئذ بقبول عوائد كنائس آسيا فلم يستطع الى ذلك سبيلاً وقام النزاع بينهما على قدم وساق وكان كل منهما يؤيد حجته بتسليم الرسل ومع هذا كله فلم تقدر عوامل هذا الخلاف ان تحدث تغيراً في الاتحاد الكنائسي ومن جملة مظاهر هذا الاتحاد ان انيكطس العاشر من عدد أساقفة رومية اشترك مع بوليكربوس في خدمة القداس الالهي في محفل حافل وعند تقديس القرابين تنازل أسقف رومية لاسقف ازمير ليقدسها لانه كان شيخاً طاعناً في السن وأقرب منه للرسل . واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان كان فيكتور أسقفاً على رومية وبوليكراتس أسقفاً على ازمير وديمتريوس أسقفاً على اسكندرية وسرابيون على انطاكية وذلك قرب ختام هذا الجيل فعقدت مجامع اقليمية في عدة

ان كل جميعها حكمت حكماً واحداً وهو ان يعيد المسيحيون عيد القيامة يوم الاحد وان لا يحل الصوم قبله وارسلت قراراتها الى جميع الكنائس . لكن كنائس آسيا لم ترض بهذا الحكم وبقيت مراعية عادتها فقام فيكتور أسقف رومية وكتب رسالة الى بوليكراتيس أسقف أزمير ينصحه أن يترك عادته ويهدده بقطع العلاقة معه ان أبى قبول النصيحة فعقد بوليكراتيس مجمعاً مؤلفاً من خمسين أسقفاً أسيوياً كانت نتيجة مذاكراته رفض طلب فيكتور واعتبار عمله وقاحة وكتب أسقف أزمير رسالة الى فيكتور ضمنها مذاكرات مجمعه وذكر له فيها فيلبس الرسول وابنتيه ويوحنا حبيب الرب ورجالاً رسوليين جميعهم رقدوا في آسيا وكانوا محافظين على هذه العادة ثم صرح له أخيراً بأنه غير مبال باراجيفه استناداً على حكم مجمعه الذي قال (انه يجب الخضوع لله أكثر من البشر)

فلم يقتنع الاسقف الروماني بذلك بل اندفع بغيظ ودار بخلده ان يشوه وجه الاتحاد الكنائسي ويقطع علاقته مع الكنائس الاسيوية ويسمها مرطوقية ومبتدعة ولم يبرز فكره الى حيز العمل حتى قام ضده الاساقفة من كل جانب واعتبروه مستبداً ووبخوه ونصحوه ان يعدل من رأيه فرضخ لقولهم وهكذا عدل عما عمل ومن هؤلاء الاساقفة الذين لاموا (فكتور) ايريناوس أسقف ليون في فرنسا وقد احتج على غلط أسقف رومية بأن مسألة الخلاف في التعييد كانت في مدة اسلافه الذين لم يروا من الصواب أن يكدروا سلام المسيحيين بسببه بل حافظوا على رباط الاتحاد الى هذه الايام

وهكذا بقيت العادتان جاريتين عادة مسيحي آسيا وعادة غيرهم في تعييد عيد الفصح الى أن انحلت المسألة بصوت الكنيسة العام في المجمع الاول المسكوني وهذه الاسباب هي التي حملت الانبا ديمتريوس البطريرك الاسكندري على أن يضع قواعد وأصولا يضبط بها اليوم الذي ينبغي أن يعيد المسيحيون فيه عيد القيامة المجيد وقد كانت هذه القواعد والاصول موضع اعتبار لدى المسيحيين الاول وساروا بموجبها أجيالا كثيرة ولا تزال الامة القبطية متمسكة بهذه المأثرة وتجري بحسبها الى يومنا هذا

(٣) على أن هذه القلاقل والاختلافات لم تحسب شيئاً بالقياس الى القلاقل

والمنازعات التي سببها اوريجانوس معلم مدرسة الدين في الاسكندرية فانه في نحو سنة ٢٣٠م عقد القديس ديمتريوس في كرسي جبوريته مجمع حكم على هذا العلامة بالخروج عن حد الاعتدال في تعليمه وبالمروق من الدين والسقوط في اثم الهرطقة وتفصيل ذلك أن أوريجانوس اليوناني الجنس لما توفي (لاونيدس) والده المسيحي شهيداً بعد ولادته له بسبعة عشر سنة تتلمذ لاكليمنضس الاسكندري وقرأ عليه علوم الفلسفة الافلاطونية وأدرك شيئاً بكثرة من علم اللاهوت وأحرز قوة بليغة في المعرفة والفصاحة حتى أصبح فريداً بعلمه وفصاحته بين آباء ذلك الجيل الامر الذي حمل البطريرك المومى اليه أن يعينه أستاذاً في مدرسة الاسكندرية الدينيــة ويعهد الى نشاطه تهذيب عقول أبناء كنيسته سيما الذين يترشحون للوظائف الكهنوتية ولم يمض على هذا العلامة وقت كبير وهو يؤدي وظيفته حتى أقام عقله البشري الخاضع للضلالة مقام أحكام الله وجعله مصدر كل قضايا الدين فطوح به الى مهاوي التيــه والشرود عن محجة الحق وبدأ يبث أفكاره ووساوسه على الطلبــة وما بلغ الى مسمع الاب ديمتريوس هــذه الامور المحزنة حتى استدعاه بصفة غير رسمية وأخذ يلقي عليــه النصائح والارشادات التي لمــا لم تأت بنفع ولا بفائدة اضطر أن يعقد مجمعاً في الاسكندرية ففعل وبسط لاباء هذا المجمع المسألة وأوضح لهم أراء أوريجانوس ومبادئه وهواجسه المنافيــة للتعليم المسيحي فحكم المجمع بصوت واحد بطرده من الثغر رأساً . أما هو فترك المدينة وذهب الى فلسطين فرقاه أسقف قيصرية وأسقف أورشليم الى رتبة الكهنوت وعيناه معلمــا يشرح للمؤمنين التعليم المسيحي ولبث يفعل ذلك مدة ثم رجع الى الاسكندرية ظاناً انه يتخذ فرصة بمــا ناله من الدرجة الكهنوتية ويقوى بها على البطريرك ويعود الى مركزه الذي شغله مدة طرده وغيابه من المدينــة أحد تلامذته المدعو ياركلاس الذي أخلف القديس ديمتريوس في كرسي البطريركيــة بعد ذلك لكن البطريرك لم يطق أن يرى أوريجانوس راقياً لرتبة معلم الدين المسيحي وهو ملطخ بكل وصمة من الهرطقة فعقد مجمعاً آخر في دار البطريركخانة وفحص قضيته امام أعضائه فحكم جميعهم بوجوب تجريده من جميع رتبه الكنائسية وهذه هي المبادي التي شجبه المجمع بموجبها (١) ان الانفس خلقت قبــل أجسادها ثم حبست في الاجساد لقصاص عن معاص ارتكبتها (٢) أن

قال المسيح وجدت واتحدت مع الطبيعة الالهية قبل التجسد (٣) ان الابن مخلوق وغريب من جوهر الاب (٤) انه أخذ جسداً بلا نفس ثم تركه بعد الصلب (٥) ان أجسادنا الهيولية تحول في القيامة الى أجساد غير هيولية (٦) ان عذاب البشر محدود ولق الناس الاشرار والشياطين سيخلصون (٧) انه فسر الآية في متى (١٩ : ١٢) على ظاهرها وبموجب تفسيره هذا خصى نفسه (٨) أنه نال الشرطونيه من غير يد أسقفه (موسهيم قرن ٣ ف ٢)

(٤) وظهر من مدرسة الاسكندرية أناس كثيرون أحلوا أوهامهم محل الكتاب المقدس وفتنوا في تعاليمهم الدينية الكاذبة ومن هؤلاء باسيليديس فهذا قال بإله واحد تنبثق منه سبعة اشخاص منهم الحكمة والقوة اللتان ولدتا رتبة الملائكة الذين ابتنوا السماء الاولى وولدوا ملائكة آخرين خلقوا سماء ثانية وهؤلاء ولدوا ملائكة آخرين خلقوا سماء ثالثة وهكذا بالتدريج الى أن صارت رتب الملائكة وسمواتها بقدر عدد أيام السنة وقال ان سكان السماء الاخيرة خلقوا هذا العالم وكونوا أناساً استحسنهم الله ومنحهم عقولا . وقال ان أحد هذه العظمة الاخيرة اتخذ اليهود شعباً له وسن لهم شريعة والباقي منها تسلط على الامم والقبائل الاخرى وقال ان هؤلاء الملائكة أعدمت على تمادي الزمن معرفة الاله الحقيقي من البشر فانهم تعظموا وفسدوا ورغبوا ان يتخذهم الناس آلهة فحدث بينهم شقاق اذ رغب كل منهم ان يملك على الجزء المهم فلكي يخلص الله البشر من عبوديتهم أرسل ابنه نوس (عقل) الذي هو المسيح واتحد بيسوع الانسان فلما لحظ هذا الامر رب اليهود حرّض شعبه على قبض يسوع فمسكوه وقتلوه لكن لم يقدروا أن يمسكوا المسيح

ومنهم (كاربوكراتس) الذي كان يقول مثل الاول بالاله الاعظم وبالارواح الخالدة وخلقة الملائكة للعالم من المادة الخبيثة وبحبس الانفس الالهية في الاجساد قصاصاً لها وعلم بالسحر وأنكر قيامة الاجساد واعتقد ان يسوع ولد من مريم ويوسف طبيعياً ولذلك لا يفوق عن الناس الا بالبسالة والشهامة وزعم ان كل شهوة طاهرة لان الله منحها الى من رام ان يبلغ الى الخلاص فلا يستطيع ذلك الا بارتكاب أقبح الشهوات

ومنهم (فالنتينوس) الذي قال ان مسكن الله فيه ثلاثون روحاً خالدة نصفهم ذكور

. النصف الآخر أناث وقال يوجد أربعة أرواحاً خالدة غير هؤلاء منهم أورس الحافظ لحدود مسكن الاله الاعظم والمسيح والروح القدس ويسوع الذي مع مساعدة الفلسفة ابنة الحكمة له ولد خالق هذا العالم الذي ادعى الالوهيــة واتخــذ اليهود شعباً له واستعبدهم فنزل المسيح لكي يبطل قوته ويهدي اليهود والامم الى معرفة الاله الاعظم. وقال ان المسيح نزل من السمــاء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز المــاء من القناة

الحوادث المدنية في هذا الجيل

وجلس ادريانوس امبراطوراً على تخت المملكة الرومانية نحو ١١٧ م وكان سريع التقلب لايثبت على حال واحدة فكان تارة حليماً وأخرى قاسياً وقد أظهر قساوته للمسيحيين على نوع خصوصي وفتك بهم فتكاً ذريعاً حتى سالت دماؤهم مجاري وأراد أن يفنيهم عن آخرهم لولم يثن عزمه عن ذلك سيرينوس والي آسيا الذي بعث اليه برسالة حامى بها عنهم قائلاً له فيها (انه لم يكن من الانسانية ولا من العدل أن تذبح أناساً غير محكوم عليهم بذنب اكراما لاوباش مهيجين) واتفق انه لما أتى الى أثينا حضر لديه اثيناغورس وتاتيانوس الفيلسوفان وحاميا عن دينهما المسيحي ودافعا عن اخوتهم النصارى فالتزم من بعد ذلك أن يعدل عن قتل أي واحد منهم بغير ثبوت الجناية عليه وكان رمم مدينة القدس وجعلها كولونية رومانية ودعاها باسم المشترى فهرع الى السكنى فيها اليهود من كل جهة فقام فيهم واحد اسمه بركوب وادعى انه المسيح وناداهم بالاستقلال والعصيان على الرومان فثارت حمية الغضب في رأس الملك وهجم على المدينة وقتل اليهود السـاكنين فيها وفي مايجاورها عن بكرة أبيهم ولم يرحم منهم امرأة ولم يشفق على ولد ولم يوقر شيخاً وبلغ عدد من قتله عدا الذين ماتوا من الجوع أثناء الحصار ٥٨٠ ألفاً. ومن أمر هذا الامبراطور انه كان يحب التجول والسياحة في مملكته الواسعة الارجاء ومن ضمن ذلك انه ساح في بلاد مصر وقيل انه في أثناء سياحته على النيل فقد ولده انطونيوس فناح عليه نواحاً شديداً

وأخلفه على كرسي الامبراطورية من بعد وفاته انطونيوس نحو سنة ١٣٨ م

لحصت للمسيحيين في أيامه راحة عظيمة لانه كان حليماً ورقيق الطبع وكريم الاخلاق فألغى أوامر سلفه ضدهم وأحسن معاملته معهم فتمتعوا بحرية تامة

ولما تخلف عنه مرقص أوريليوس نحو سنة ١٦١ م وكان متمسكاً بمذهب زينون الحكيم أحد الفلاسفة ومثابراً على المطالعات والدروس وكان اغلب جيوشه من النصارى فأحسن معاملتهم وانتصر مراراً كثيرة بهم على قبائل الجرمانيين المتبربرين الذين كانوا هجموا على المملكة ولم تهنأ العيشة للمسيحيين في كل أيامه بل زالت طوالع سعدهم في آخرها وتكدر صفاؤهم فان وباء عظيماً لم يسبق له نظير وقحطاً جسيماً دهما البلاد وأهلكا العباد فادعى الكفرة على أن حصول هذه الرزايا انما كان بسبب تكدر خاطر الآلهة على وجود المسيحيين فهاجت العامة وثارت النخوة في رؤوسهم حتى استمالوا الملك الى ان يصدر الاوامر ضدهم ويشدد بطلب اهلاكهم وفي هذا الحين قام يوستينوس الشهيد والفيلسوف يحامي ويدافع عن اخوته بأقواله الفصيحة واحتجاجاته القوية . وفي أيام هذا الملك كان الفيلسوف بطليموس صاحب كتاب المجسطي الشهير يلقي دروسه على الطلبة في مدينة الفرما من أعمال مصر ولما توفي الملك أثناء الحرب أخلفه كومودس نحو سنة ١٨٠م فصالح أعداء المملكة واشتغل عن صدهم ومكافحتهم باللهو والتنعم وترك أمر الملك فسخط عليه الناس ومقتوه ونقم عليه جنده وحاولوا قتله حتى تمكن من ذلك ثلاثة منهم فهجموا عليه وهو في داره وأماتوه وأراحوا العباد من شره ولم يخلف ولي عهد وانقرضت بموته سلالة العائلة الامبراطورية فاستصوب أولو الحل والعقد أن يضعوا كرسي المملكة للبيع تحت المزاد ويرقاه من يدفع فيه مالاً أكثر من غيره ففعلوا ووقعت المزايدة على يوليانوس الذي كان ذا ثروة جزيلة فبايعوه بالملك بدون مبايعة الجند المتفرقين يومئذ في سائر ولايات المملكة لهذا خلعوا الطاعة عند وقوفهم على هذا الامر وبايع جنود كل اقليم واحداً من القواد وجعلوه ملكا حتى كادت المملكة تمزق بهذا الانقسام فاختار جنود سواحل ايطاليا قائدهم سفيروس وبايعوه بالملك وكان على جانب عظيم من الشجاعة وحسن التدبير فاسرع الى رومية بعساكره وامتلكها بدون حرب وكان المجلس الاعلى أصدر حكماً بعزل يوليانوس فهجم عليه الجند وقتلوه بعد أن حكم ٦٦ يوماً وظل سفيروس يتقدم في الانتصار على أخصامه حتى أخضع كل المقاومين له

﴿ الجيل الثالث ﴾

﴿ ترجمة الاب ياركلاس البطريرك الثالث عشر سنة ٢٢٤م — ٢٤٠م ﴾

(١) الاضطهاد في الاسكندرية (٢) نفي الاب ديمتريوس ووفاته في مدينة أوسيم (٣) اقامة خليفة له

---

(١) قد اشتعلت نيران الاضطهاد في قرب ختام الجيل الثاني وبدء الجيل الثالث في العالم المسيحي سيما في مدينة الاسكندرية وكان ابتداء شرارة هذه النيران غضب الملك ساويرس وحنقه على المسيحيين ومن العبارات التي تدلنا على شدة هذا الاضطهاد في القطر المصري ما يأتي . كان في الاسكندرية فتاة بديعة في الجمال تدعى (بوطاميا) قد تأدبت حسب الاصول المسيحية وتربت في حضن الكنيسة وفي حضن أمها (مرسيلية) التي كانت تقية جداً فحاول رجل مراراً كثيرة ذو ثروة وغنى جزيل من تلك المدينة ان يزيل بكارتها ويلطخ قداستها بالفساد والدنس فلما قاومته البتول بعزم ثابت ورفضت وعده ولم تخف وعيده احتدم غيظاً وشكاها للوالي بأنها مسيحية ورشاه بالمال ملتمساً منه أن يجعلها ترضخ لمطلوبه الوخيم فأحضر الوالي الفتاة واستعمل معها كل وسيلة لتقبل ذلك الرجل زوجاً لها فلم تقبل ذلك ولم ترهب ترهيبه ولم تجنح الى ترغيبه ولم ير منها الا كل عزم ثابت حكم عليها بان توضع في قدر مملوء من الزفت المغلي فشجعتها والدتها على قبول هذا الحكم بمزيد الشكر غير أنها طلبت الى الجند أن لا ينزعوا عنها ثيابها فتأثروا منها وأجابوها لذلك وكان من ضمنهم واحد يدعى باسيليدس تأثر أكثر منهم من وداعة البتول وسكنتها فكان وهم يرافقونها الى محل العذاب يمنع المتفرجين عليها عن الاقتراب لها وينتهر الذين يسخرون بها ويزدرون فلما رأت هذا الجميل والمعروف منه وعدته بالمكافئة وهي أنها سوف تشفع لدى منبر المسيح من أجله وقد فعلت بحسب وعدها فانها بعد ما كابدت الجهاد التام ونالت اكليل عذابها صلت من أجله فمست نعمة الله قلب هذا الجندي فانقلب حالاً مسيحياً واتفق ان واحداً من

رفقائه طلب اليه أن يحلف بالآلهة فاجابه أنه مسيحي وأن شريعته لا تأذن له أن يحلف بآلهة الوثنيين فظن أنه يمزح في بدء الامر لكن لما تأكد منه ذلك بادر الى الوالي هو والجند وشكوه له فأمر القاضي بسجنه فأودع في السجن ولما علم بذلك الانبا ديمتريوس أرسل وفداً ليتفقده ويمنحه الصبغة المقدسة فاعتمد وقص على الذين حضروا معموديته قائلاً (انه بعد وفاة العذراء (بوطاميا) بثلاثة أيام ظهرت لي في المنام وبيدها اكليل وضعته على رأسي وقالت لي انه بعد قليل تكون معي يا باسيليدس فتيقنت حينئذ ان هذا المنظر كان من أجل دعوتي الى الايمان فآمنت بالمسيح) ثم من بعد سجنه بمدة أخرج وقطعت رقبته

(٢) وحدث من بعد ذلك ان الوالي سطا على الدار البطريركية ونهب ما فيها من الامتعة والاواني الكنائسية وقبض على الاب ديمتريوس باهانة واحتقار وغلله بالقيود ونفاه الى مدينة أوسيم حيث أقام مدة يعظ نصاراها ويثبتهم على الإيمان بالمسيح وتوفي ١٢ بابه سنة ٢٢٤ م

(٣) كان الاب ديمتريوس أقام شماساً اسمه ياركلاس معلما في مدرسة الاسكندرية من بعد ما طرد منها أوريجانوس العلامة وكان أحد تلامذة هذا الاخير فأحسن عشرته مع التلامذة وغرس في عقولهم المبادي المسيحية الحقة وعودهم على ممارسة الفضيلة وأعمال التقوى واكتسب بذلك سمعة جيدة وفاق بشهرته الممدوحة على كثيرين من أقرانه وعشرائه وقد هدى نفراً ليس بقليل من شبان الوثنيين الى معرفة الاله الحقيقي خصوصاً لما رقاه البطريرك منبر واعظ الكرسي المرقسي فانه أصبح قدوة للفضيلة ومثالا صالحاً بالقول والعمل والسيرة والسريرة فلما توفي انبا ديمتريوس وقع اختيار عموم الاساقفة على رسامة هذا الواعظ المومأ اليه بطريركا ورسموه في شهر بابه سنة ٢٢٤ م ومن شدة اعتبار الكهنة والشعب ومحبتهم له دعوه (بابا) أي جد الاسم الذي لم يسم به أحد قبله من بطاركة المسيحيين

وبعد ان خدم الوظيفة البابوية مدة ستة عشر سنة وشهراً واحداً وستة وعشرون يوماً توفي في (٨ كيهك سنة ٢٤٠)

﴿ ترجمه الاب ديوناسيوس البطريرك الرابع عشر سنة ٢٤١ م — ٢٦٢م ﴾

(١) كيفية اهتدائه الى الايمان بالمسيح (٢) بطريركيته واضطهاد الوثنين له ونجاته من أيديهم (٣) رسالته الى بطريرك انطاكية بسبب الاضطهاد (٤) علاقته مع بعض الاساقفة والكنائس (٥) مقاومته للهراطقة

---

(١) كان ديوناسيوس في جنسه يونانياً وفي مذهبه ودينه صابياً وفي موطنه اسكندرانياً فبينما هو جالس ذات يوم مرت به عجوز مسيحية فقيرة وبيدها كراس من رسائل القديس بولس الرسول تريد بيعه فعرضت عليه مشترى هذا الكراس فاشتراه ولما قرأه اذهل من دقيق معناه وبلاغة عبارته التي تفوق بلاغة دروسه الفلسفية التي طالعها في سنين عديدة ثم طلب من تلك العجوز ان تأتيه بغير ذلك الكراس لانه رأى ان المعنى فيه ناقص وان أقوالا أخرى تستلزمه وتتعلق به ووعدها ان يدفع لها قيمة كل ما تحضره اليه وزيادة فانطلقت المرأة وعادت اليه وهي حاملة بيدها جزءاً آخر من تلك العبارات الرسولية فدفع لها ثمنه وأخذ يحدق نظره فيه مندهشاً من رقة مبناه ودقة معناه فلما أحست العجوز ان النعمة الالهية أخذت تمس قلب هذا اليوناني الوثني وبدأت تتجلى له الحقائق المسيحية قالت له علانية ان كنت ايها الفيلسوف تروم ان تطلع على نظير هذه الاقوال وارفع منها فينبغي لك ان تذهب الى الكنيسة فانك تجد فيها من يعطيها لك بدون مقابل فذهب من ساعته الى أحد الشمامسة وطلب اليه أن يسلمه ذلك الكتاب فدفع له رسائل القديس بولس الرسول بأكملها فطالعها رسالة بعد الاخرى ثم بدأ يقرأ كتب المسيحيين الى أن وقف على كل ما اشتمل عليه الكتاب المقدس وحوى شذرات معناه في صدره ومن ذلك الحين بدأ يلازم المسيحيين ويعاشرهم حتى تحصل على أن ينتظم في سلك الموعوظين وفي يوم معين احتفل القديس ديمتريوس وعمد ديوناسيوس ضمن الذين عمدهم . ثم بعد مدة تقلد من يد هذا الاب وظيفة الشماسية ولما جلس البابا ياركلاس على الكرسي

الاسكندري رفع منزلة هذا الشماس الى درجة المعلم في المدرسة الدينية وحين كان تلميذاً فيها عاشر اغريغوريس العجائبي وتلمذ لاوريجانوس العلامة مدة

(٢) ولما توفي البابا ياركلاس عقد الآباء الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية ليقيموا عليهم بطريركا فوقع اختيار جميعهم على هذا الدكتور اللاهوتي ورسموه سنة ٢٤١م من شهر كيهك واتفق ان ديسيوس الامبراطور الروماني أصدر أوامره الصارمة ضد المسيحيين وضد رؤسائهم بنوع خصوصي فصار لاشغل آخر لولاة المملكة سوى اضطهاد النصارى وتعذيبهم وحملهم على التضحية للاوثان وفي هذا الاضطهاد أدى الشهادة القديس اسكندر أسقف بيت المقدس ومات في السجن وقتل بابيلاس بطريرك انطاكية مع ثلاثة شمامسة من كنيسته أما البابا ديوناسيوس الاسكندري فقد شدد الملك في طلبه وحرض حاكم الاسكندرية على ذلك كثيراً ولكن أبى الله الا أن يحفظ هذا القديس لخير أولاده وصالحهم وقد بلغت الينا حكاية من هذا القبيل وذلك ان الكفرة لما شرعوا يقتلون مسيحي الاسكندرية طلبوا هذا البطريرك وفتشوا عليه بكل اعتناء أما هو فكان لابثاً في دار البطريركية لا ينتقل مدة أربعة أيام منتظراً قدوم المفتشين عليه فظن قائد العسكر انه هرب واختفى ولم يخطر بباله انه لا يزال في مكانه كي يذهب ليقبض عليه بل أخذ يبحث عنه في أماكن أخرى ولما لم يجد له أثراً عدل عن التفتيش عليه وبعد مضي مدة الاربعة أيام من عدوله خرج البطريرك وقت الغروب وذهب مع شمامسة الكنيسة وبعض المسيحيين ليفتقد أحد أولاده فبينما هو سائر مع هذا الجمهور التقاهم العسكر وقبضوا على جميعهم وأودعوهم السجن ولم ينج أحد منهم الا تيموناوس أحد تلاميذه وفي أثناء ما كان يعدو هارباً التقى به أحد معارفه فسأله عن سبب عدوه فأخبره بواقعة الحال واتفق ان ذلك الرجل كان مدعواً لوليمة فلما ذهب اليها أخبر من فيها من المسيحيين ان البابا ديوناسيوس اعتقل وأودع السجن فقام المجتمعون عند سماعهم هذا الخبر وبادروا مسرعين الى السجن وهم يصرخون ويضجون أثناء الطريق فلما اقتربوا من ذلك السجن وسمع العسكر صراخهم وضجتهم انذعروا منهم وخافوا وتركوا أبواب السجن مفتوحة وفروا هاربين أما المسيحيون فحلوا ديوناسيوس وأصحابه من وثاقاتهم وأطلقوا سراحهم

(٣) وقد بعث برسالة الى بطريرك انطاكيـة شرح له فيها شـدة ماقاساه المسيحيون من العذاب في هذا الاضطهاد ومما قال له فيها . أن الوثنيين مسكوا رجلا يقال له (مترا) وطلبوا منه أن ينكر ايمانه فأبى فضربوه بالعصى وقلعوا عينيه ثم رجموه بالحجارة حتى مات وقبضوا على امرأة تدعى (كوينتا) وساقوها الى هيكل الاصنام وطلبوا منها أن تخر للآلهة فأبت فربطوها بحبل في رجليها وأخـذوا يجرونها في الاسواق المحجرة وهم يضربونها ويزدرون بها ولما بلغوا الى حيث قتل (مترا) رجموها فماتت ثم ذهبوا بعـد ذلك الى بيوت المسيحيين ونهبوها وأوقدوا فيها النار وفي أثناء ذلك وجدوا رجلاً مسيحياً يقال له سرابيون قبضوا عليه وبعد أن كسروا أطرافه رموه من الشباك من ثالث طبقة وقبضوا على فتاة عذراء تسمى (بلومية) كسروا عظامها وطرحوها في النار وقبضوا على رجل ذي جسم ضخم يقال له يوليانس وساقوه مع اثنين الى منقع العذاب فطرحوهم في النار ومن شدة ما قاسوا أنكر أحـدهم وثبت كونيان مقاسياً العذاب مع يوليانس الى آخر نسمة وقبضوا على رجل آخر يسمى ابكندر مع جمـاعة فقطعوا رقابهم وأحرقوا كثيرين بالنار وقطعوا رقاب غيرهم بالسيف وتاه عدد وافر في البراري والجبال

(٤) انه في أوائل الجيل الثالث ذاع النزاع والخلاف بين كبريانوس وأساقفة أفريقيا وفرميليانوس وأساقفة آسيا الصغرى من جهة وبين استفانوس أسقف رومية وكنيسته من جهـة أخرى وسبب ذلك هو ان الفريق الاول اعتقـد ان ليس للمعمودية قوة وصحة الا في الكنيسة الارثوذكسية التي تتم فيها الاسرار على وجـه الصواب والحق وان معمودية ذوي البـدع والمرطقات فاسدة لا صحة لهـا ولذلك كان يعيد معمودية من يرجع الى حضن الكنيسة من المراطقة وأما الفريق الثاني فكان يعتبر ان معمودية المراطقة صحيحة لا يصح اعادتها وكان يكتفي بوضع الايدي والصلوة على من اهتـدى منهم الى الكنيسـة فعقد فرميليانوس أسقف قيصرية مجمعاً سنة ٢٣٠ م قرر فيه عدم صحة المعمودية في غير الكنيسة الارثوذكسية وفعل مثل ذلك كبريانوس أسقف هبو بعقده مجمعاً في قرطجنة سنة ٢٠٠ م وذلك عقيب ظهور بدعة نوبتيانوس قسيس كنيسة رومية الذي سيم أسقفاً على روميـة في حيوة كرنيليوس أسقفها وكان يعلم بوجوب

رفض توبة من جحد الايمان بدعواه ان لا خلاص له وبناء على ذلك كان يعيد معمودية التائبين ومعمودية من يشترك معهم من الارثوذكسيين أو يتساهل في قبولهم وعقيب ظهور بدعة أخرى عكس هذه كان رئيسها فيليكيسموس الذي كان يسلم هو وأشياعه بوجوب الصفح عن الساقطين بمجرد الشفاعة التي يحصلون عليها من المعترفين الذين كانوا في السجون مزمعين أن ينالوا الشهادة وكان ذووالبدعتين حاضرين في هذا المجمع فبعد مناظرات طويلة حكم آباؤه بوجوب رفض معمودية الهراطقةوبإعادة عماد من كان معتمداً عندهم ورجع الى الكنيسة وأما الذين كانوا معتمدين في الكنيسة وسقطوا في كفر أو هرطقة فحكموا بعدم اعادة معموديتهم ضداً لاعتقاد نوبتيانوس أسقف رومية الهرطوقي ثم انعقد هذا المجمع مرة أخرى سنة ٢٥٦م حكم بما حكم به قبله وأعلن قراره لاستفانوس الذي كان وقتئذ أسقفاً على رومية ومن جملة ما قاله له هذا المجمع (اننا نرفع هذه الرسالة اليك أيها الاخ الحبيب لتقف على حقيقة الامور رعاية لرتبتنا العامة وكرامتنا المتبادلة وبرهاناً للمحبة الخالصة والشركة ولنا الثقة بتقواك الحقيقي وايمانك ان كل ما هو تقوي وحقيقي يكون حسناً عندك أيضاً وقد علمنا أن بعضاً لا يريدون أن يرفضوا مايتعلمونه أول مرة ولا يمكن أن يغيروا عزمهم بسهولة بل انهم مع المحافظة على رباط السلام والاتحاد بين الاخوة يحافظون على خصوصيات قام استعمالها عندهم من أول مرة فما كان مثل هذه الخصوصيات نحن أيضاً لا نغصبهم فيه ولا نسن شريعة لاحد لان كل رئيس حر بإرادته في سياسة الكنيسة وهو سيقدم للرب حساب أعماله (رسالة ٧٢ لكبريانوس)

أما استفانوس فرفض أحكام هذا المجمع ورد على أعضائه بلهجة شديدة وقاسية وهددهم بالقطع ان أصروا على رأيهم وبرهن على وجوب اعتبار معمودية الهراطقة بهذه الالفاظ (يجب عليكم أن لا تحدثوا شيئاً بل ان تجروا على التسليم وتقبلوا بوضع الايدي فقط الذي يأتي اليكم من أية هرطقة كانت لان الهراطقة أنفسهم لا يعمدون الذين ينتقلون من هرطقة الى أخرى بل يقبلونهم قبولاً بسيطاً في شركتهم) فحرر الاساقفة رسالة وأرسلوها اليه بصحبة مندوبين فرفض الرسالة ولم يسمح للمندوبين

تبيت ولا مأوى وجواب الاساقفة بعبارة أشد قساوة من الاولى سمى فيها كبريانوس رسولاً كاذباً وعاملاً غشاماً وحكم فيها بالقطع على من يخالف رأيه منهم

ومن جهة أخرى اجتمع أساقفة آسيا الصغرى بصفة مجمع تحت رئاسة فرميليانوس أسقف قيصرية في ايقونية وفي سناد نحو سنة (٢٣٠ م) وفي كلا الموضعين قرر المجمع ما قرره مجمعا أساقفة افريقا ولما شعر استفانوس اسقف رومية بما فعله فرميليانوس وأساقفته عقد مجمعاً سنة (٢٥٤ م) حكم فيه بالقطع عليهم كما حكم بعد ذلك على أساقفة افريقا . فأرسلوا سفارة لتقنعه بدوام السلام والمحبة وتطلب اليه أن يتنازل عن رأيه فعامل هذه السفارة كما عامل غيرها وفي هذه الاثناء تبادلت المكاتبات بهذا الخصوص بين كبريانوس وفرميليانوس ومما كتبه هذا الاخير عن اختلاف الرومانيين في بعض الامور عن المسيحيين قوله (ان الذين في رومية لا يحفظون في كل الامور التسليمات القديمة وعبثاً يستندون على تثبيت الرسل وهذا الامر يستطيع كل واحد ان يحققه من أنهم في تعييدهم أيام الفصح وعملهم أسراراً الهية وغير ذلك لا يحفظون ولا يجرون بالتمام على كل ما هو جار في أورشليم لكنهم يعملون ذلك على وجه مغاير كما انهم في ابرشيات أخرى أيضاً يغيرون أموراً كثيرة بحسب مغايرة الامكنة والاسماء ولكنهم لم يبتعدوا البتة لهذه العلل من سلام الكنيسة الجامعة والاتحاد معها كما تجاسر استفانوس الآن أن يفعل بخرقه ضدكم السلام الذي قد أكرمه اسلافه معكم بالكرامة والمحبة المتبادلتين . ثم ان استفانوس قد رشق على الرسولين القديسين بطرس وبولس لكنه تعييهما بقوله ان هذا التسليم هو تسليمهما فيما أنهما قد لعنا الهراطقة في رسائلهما وأمرانا أن نبتعد منهم ومن هنا يتضح أن هذا التسليم الذي يثبت الهراطقة ويقول ان لهم معمودية مبداه من البشر اذ ليست معمودية في غير الكنيسة وحسناً أجيتم استفانوس في الرسالة عينها عن قوله (ان الهراطقـة أيضاً يوافقوننا في المعمودية ولا يعمدون الذين يأتون اليهم منا بل يقتصرون على طلب الاشتراك منهـم) فمـع أننا برهنا بكم ان اقتفاء أثر الضالين أمر مضحك جداً نزيد على ما ذكرتم عبارات يستغنى عنها وهي أنه لا عجب فيما اذا نحا الهراطقة هذا النحو والفروق فيما بينهم جزئية وهم متفقون جميعاً في الامر الاعظم أعني اتفاقهم في كيف يجدفون على الخالق مختلقين احلاماً وأوهاماً

لانه غير معروف فان الذين اتفقوا في رفض حقيقة اللاهوت ينتج انهم يتفقون في فساد المعمودية أيضاً ... ان استفانوس والذين يرون رأيه ويدعون ان غفران الخطايا واعادة الولادة يمكن ان يمنحا بمعمودية الهراطقة وهم أنفسهم يعترفون أيضاً بأن الهراطقة ليس لهم الروح القدس نصحناهم أن يفكروا حسناً ويعرفوا ان الولادة الروحية من دون الروح غير ممكنة فان الذين عمدهم يوحنا قبل ان يرسل الروح القدس من الرب قد عمدهم بولس المغبوط مرة ثانية بالمعمودية الروحية ووضع عليهم يده لينالوا الروح القدس فمادام بولس عمد تلاميذ يوحنا وقد كانوا معمدين منه كيف نحن نقاوم ان يعمد القادمون من الهرطقات الى الكنيسة بعد تلك المعمودية المحرمة والمخالفة الشريعة ما لم نعتقد ان أساقفة عصرنا أعظم من بولس حتى انهم يستطيعون أن يمنحوا الروح القدس للقادمين من الهراطقة بوضع اليد فقط .... فعلينا من ثم ان نسأل مساعدي الهراطقة ما قولهم في معموديتهم أجسدية هي أم روحية فانها ان كانت جسدية فلا فرق بينها وبين معمودية اليهود التي يستعملونها بمثابة حمام دارج يغسلون به أوساخهم وان كانت روحية فكيف يمكن ان تكون معمودية روحية عند الذين ليس لهم الروح القدس ولذا فالماء الذي يعتمدون به ليس سراً بل هو حمام جسدي واذا كانت معمودية الهراطقة كفواً لان تمنح اعادة ولادة الميلاد الثاني فالمعمدون من الهراطقة ليسوا هراطقة بل يجب ان يسموا أبناء الله لان الولادة الثانية بالمعمودية تلد أبناء لله ولكن اذا كانت عروس المسيح واحدة فمن الواضح ان الكنيسة الجامعة هي وحدها التي تلد أبناء لله لانها ليست عرائس كثيرة للمسيح اذ قال الرسول (اني قد خطبتكم لرجل واحد لاقدم للمسيح بكراً نقية (٢ كو ١١:٢) ... فليست جماعة الهراطقة واحدة معنا لان الزانية والفاسقة ليست عروساً ولا تستطيع ان تلد ابناء لله ما لم يكن استفانوس يعتقد ان الهرطقة تلد وتربي والكنيسة تجمع المرمين وتربي الذين لم تلدهم كما لو كانوا أولادها فانها لا تستطيع أن تكون أماً لاولاد غرباء . ولذا قد أوضح المسيح مخلصنا ان عروسه واحدة وأظهر هذا السر فقال في الفصل الحادي عشر من لوقا (من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يبدد (فان كان المسيح معنا والهراطقة ليسوا معنا فالهراطقة بلابد هم ضد المسيح

وان كنا نحن نجمع مع المسيح والمراطقة لا يجمعون معنا فهم بلا شك يبددون ...
أما أنا فلا أستطيع ان أطيق حماقة استفانوس الواضحة بهذا الصدد فانه مع كونه يفتخر بأسقفيته كل هذا الافتخار ويدعي بأنه خليفة بطرس الذي عليه تأسست أساسات الكنيسة يدخل صخرات كثيرة ويقيم أبنية جديدة لكنائس كثيرة مقراً بأن لتلك معمودية بسلطانها الخاص فان الذين يعمدون يؤلفون بلا شك عدد الكنيسة والذي يقبل معمودية أولئك يثبت أن لهم كنيسة يؤلفها المتعمدون عندهم ولا يدري بأنه خان الوحدة وسود وجهها ومحا على نوع ما حقيقة الصخرة المسيحية ... فانه لو كانت المعمودية خارجاً باسم المسيح تستطيع أن تطهر الانسان لكان وضع الايدي هناك باسم المسيح نفسه يستطيع أيضاً أن يمنح الروح القدس وهكذا يصير كل ما يعمله الهراطقة من الامور الباقية حقاً وشرعياً لكونه عمل باسم المسيح فما ذكرتم أنتم في رسالتكم أن اسم المسيح يفعل في الكنيسة فقط التي منحت لها النعمة السموية من المسيح هذا وحده يكفي لرفض العادة التي يظهر أنهم يتشبثون بها ضد الحقيقة فمن هو الاحمق الى هذه الدرجة حتى يفضل العادة على الحقيقة ومن لا يترك الظلام متى ظهر النور ما لم يكن انتفع اليهود من تمسكهم بالعادة القديمة حين جاء المسيح أي الحقيقة بكونهم تركوا طريق الحق الجديدة وثبتوا على عتيقهم الامر الذي لكم أنتم أبناء افريقيا أن تقولوه ضد استفانوس فانكم حين وقفتم على معرفة الحقيقة تركتم ضلال العادة .)

فهذه الامور المحزنة التي جرت في هذا الوقت بين الكنائس المسيحية القويمة الرأي الاسيوية والافريقية وبين استفانوس الروماني أضرمت نار الغيرة في رأس القديس ديونيسيوس البطريرك الاسكندري ووجد سبباً وداعياً لان يكون الواسطة في ضم الكنائس المتنافرة الى الوحدة المسيحية فكتب من ثم الى استفانوس ينصحه بقوله له (اعلم الآن أيها الاخ ان جميع الكنائس المنشقة قبلا في الشرق وما بعده قد اتحدت وجميع الرؤساء في كل مكان متفقون في الرأي وهم فرحون بالسلام الذي صار على غير انتظار منهم ديمتريانوس في انطاكية وثاوكتستوس في قيصرية ومازابان في أورشليم ومارينوس في صور بعد رقاد اسكندر والميوذوروس في اللاذقية بعد وفاة

نيليمدس وايلينوس في ترسوس وسائر كنائس كيليكية وفرميليانوس وسائر الكبادوكية وقد ذكرت أشهر الاساقفة فقط لكي لا أطيل الرسالة ولا أثقل الكلام أما سورية كلها والعربيــة الذين تكفونهم دائماً والذين أرسلتم اليهم الآن وبين النهرين والبنطس وبيثينية وبالاجمال في كل مكان يبتهجون بالاتحاد والمحبة الاخوية ممجدين الله)

على ان استفانوس الذي كان متعطشاً للرئاسة المطلقة على الكنيسة المسيحيــة نظير باباوات روميــة المتأخرين لم يهتد بنصيحة انسان يعادله ويفوقه في الاســقفية نظراً لكثرة قداسته التي اشتهر بها في ذلك الزمان . فلما توفي وأقيم اكيستوس على كرسي رومية خليفة له كتب له ديوناسيوس رسالة قال فيها (ان اسـتفانوس كان كتب قبلاً في ايلينوس وفرميليانوس وسائر أساقفة كيليكية وغلاطية الشعوب المجاورة لهم قائلاً بأنه لا يشترك معهم لهذه العلة عينها أي لانهم يعيدون على زعمه معمودية الهراطقة وحقاً أنهـا تقررت كما أعلم في أعظم مجامع الاساقفة عقائد بأن الاتين من هرطقة يوعظون أولاً ثم يغسلون ويطهرون من ذنب الخميرة العتيقة وقد أرسلت اليه ورجوته في هؤلاء جميعهم)

واتفق ان واحداً من مؤمني الاسكندرية كان نال المعمودية من الهراطقة فلما رجع الى الكنيسة قبـله البابا ديوناسيوس الاسكندري وأشركه مع المؤمنين وقربه من جسد الفادي ودمه فبعد ما لبث هذا الرجل زماناً وهو مشترك مع المؤمنـين ارتاب في صحة معموديته فجاء الى البطريرك طالباً بدموع وبكاء وعويل ان يعيـد اعتماده أما ديوناسـيوس فلم يجب طلبـه بل طمأنه وطيب خاطره وفيما كان يكتب رسالة الى اكيسـتوس أسقف روميــة خطر على باله ان يستشيره في أمر هذا الرجل فقال له (فاني بالحقيقة أيهـا الاخ أطلب النصيحة وأستمد الرأي منك في هذا الامر المهـم الذي ورد عليّ خوفاً من أن أكون غلطاناً فان مؤمناً من الاخوة المجتمعين يظن أنه قديم أقدم من شرطونيتي وأظن انه مشـترك في الكنيسة قبـل اقامــة المطوب الذكر (ايراكلاس) وقــد اتفق ان يكون من المعمدين تعميداً على قفا اليد فلما سمع السؤلات والاجوبة عندنا تقدم اليّ باكياً ونادباً نفسه وكان يقع أمامه رجلي معترفاً ومنكراً باقسام المعمودية التي تعمدها عند الهراطقة . بانها ليست مثل هذه ولا شركة

لها معها لانها مملوءة كفراً وتجاديف وقائلاً ان نفسه قد تخضبت الآن تخضباً عظيماً وليست له دالة ان يرفع عينيه الى الله ما دامت بدائته من تلك الاقوال والاعمال الشريرة ومن ثم طلب ان يحصل على هذا التطهير والقبول والنعمة الصحيحة الخالصة الامر الذي أنا لم أجسر ان أعمله قائلاً ان اشتراكه زماناً كثيراً يكفي لذلك فاني لا أستطيع ان أجسر وأعيد بنائه مرة ثانية من الاول بعد ما سمع الشكر وقال معنا آمين وحضر المائدة ومد يديه لتقبل الغذاء المقدس وناله أيضاً واشترك زماناً كافياً بجسد ودم ربنا يسوع المسيح وقد أمرته ان يتشجع ويتقدم بايمان ثابت وضمير صالح الى الاشتراك بالقدسات أما هو فما ينكف نائحاً ويجزع ان يتقدم الى المائدة وبالرجاء العظيم يكاد الا يطيق حتى الوقوف معنا في الصلوات)

(٥) وقد قضى ديوناسيوس حياته كلها شغلاً وعملاً واهتماماً في اثبات الايمان المسيحي محتجاً على سلامته ومؤيداً استقامته بالعقل المستقيم والنقل السليم امام الوثنيين والهراطقة ونخص بالذكر من هؤلاء

(أولاً) نويتوس الذي نبغ من أزمير وانتقل الى رومية وأخذ ينشر تعاليمه فيها وكان موضوع بدعته ان الله أعطى الناموس لبني اسرائيل بصفة أب وصار انساناً في العهد الجديد بصفة ابن وحل على الرسل بصفة روح قدس وان الذي اتحد بالانسان يسوع وحل على الرسل جزء انفرز من الاب فقد أقام هذا المبتدع أوائل حياته في رومية وعاصر ابراكسياس رئيس الهرطقة المعروفة بهرطقة مؤلمي الاب الذي جاء أيضاً الى رومية من آسيا الصغرى وجذب كثيرين الى ضلاله بواسطة مدرسته التي أنشاها في هذه المدينة وقدر ان يجذب الى تعليمه الفاسد زفيرينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته فلما علم القديس ديوناسيوس ان بدعة نويتوس أخذت تمتد بسرعة في انحاء رومية وكادت تتسلط على عقول المسيحيين حرر له رسالة طويلة شرح له فيها التعليم الصحيح وفند كافة اعتراضاته

(ثانياً) سابيليوس وهو من بطوليمايس ليبية ببلاد مصر وهو أحد طلبة مدرسة نويتوس الازميري أقام بتعليم دروسه مدة أوائل حياته في رومية ولما عاد الى بلاد مصر أخذ يلقي فيها بذار تعليمه في أواسط هذا الجيل حتى قاد كثيرين الى ضلاله ومن

من الاساقفة أنفسهم فكتب القديس ديونيسيوس منشوراً الى أساقفة الكرازة المرقسية واستنهض همة الاساقفة الافريقيين الى الجهاد ضد هذه الهرطقة ثم عقد مجمعاً نحو سنة ٢٦١م حرم سابيليوس فيه وكتب قراراً ضد تعليمه

(ثالثاً) نيبوس وهو أسقف مصري ذهب الى ان المسيح يملك على الارض الف سنة بالجسد ويحظى المؤمنون بملكوته ويأكلون ويشربون ويسرون فقاوم تعليمه ديونيسيوس بالمباحثات الشفاهية وبالرسائل الكتابية زماناً طويلاً

(رابعاً) بولس السميساطي بطريرك انطاكيةومن أمره انه كان فقيراً ولكنه اكتسب غنى عظيماً وبسماح الهي صار أسقفاً على انطاكية وتقلد الوظيفة المدنية بصفة وال وكان على جانب عظيم من الفخفخة والرفاهة وكان مغرماً بحب الغنى حتى انه أبدل تراتيل الكنيسة بنشائد تنشدلمجده وكلف النساء ان ينشدن بها داخل الكنيسة واذا خطب في الكنيسة كان يكلف الناس ان تصفق له آخر كل مرة ثم سقط في الهرطقة وكان موضوع هرطقته انه يوجد اله واحد تسميه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته أو كلمته ليست أقنوما بل انها في العقل الالهي بقاء الفهم في العقل الانساني وان المسيح انسان محض ولد من مريم وحلت فيه الحكمة الالهية حتى صار قادراً على عمل العجائب وفارقته هذه الحكمة حين قدم على الآلام فانعقد ضده مجمع في انطاكية تكرر انعقاده مراراً وكان المتقدمون في هذا المجمع فرميليانوس أسقف قيصرية خصم استفانوس أسقف رومية واغريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة وأخاه أثينوذورس وايلينوس أسقف طرسوس الذي كان قطعه استفانوس البادي الذكر مع من قطعه من أساقفة آسيا الصغرى وأساقفة أفريقا . وايمناوس أسقف أورشليم ودعي ديونيسيوس الاسكندري للحضور في هذا المجمع فلم يستطع ان يحضر لعجزه وانحطاط صحته واكتفى بان يرسل رسالة الى المجمع ورسالة الى بولس السميساطي حل له بها عشرة سؤالات وكان هذا الهرطوقي حين يحضر جلسة المجمع يخفي مكنوناته ويتظاهر بالارثوذكسية ويتلون بكلامه وكاديحل المجمع بلاجدوى لو لم يكشف برقع ضلاله القس ملكيون رئيس مدرسة انطاكية في آخر جلسة فحكم عليه المجمع من أجل ضلاله ومن أجل كونه تقلد وهو أسقف الوظائف المالية ومن أجل فخفخته وكبريائه وتغطرسه

واحتقاره للمساوين له في الدرجة والوظيفة ثم أقام بدله دمنوس أسقفاً على انطاكيه وكتب منشوراً وقع عليه كل اعضائه وأرسله الى البابا مكسيموس الاسكندري (لان سلفه ديوناسيوس كان توفي في هذه الاثناء) الى البابا ديوناسيوس الروماني أمر كلا منهما ان يكتب تحرير السلام الى بطريرك انطاكية الجديد فخضع كل منهما لهذا الامر ومدح المجمع في هذا المنشور فرميليانوس أسقف قيسرية

أما بولس فلم يخضع لقرار المجمع واحتمى بزينوبيا ملكة تدمر فطلب المجمع اجاره من أوريليان قيصر الرومان فلما بلغت الشكاية الى الملك حكم بان تعطى الاسقفية للذي يرسلها اليه أساقفة ايطاليا ومدينة رومية ولما قهر الملك زينوبيا طرد بولس من انطاكية فقام دومنوس الى كرسي أسقفيتها أما البابا ديوناسيوس الاسكندري فتوفي سنة ٢٦١م في اليوم الثالث من شهر توت بعد ما أقام على الكرسي البطريركي تسعة عشر سنة وتسعة أشهر واحدى عشر يوماً وقيل ان مدة بطريركيته هي ٢١ سنة

البابا مكسيموس وهو البطريرك الخامس عشر سنة ٢٦٢ — ٢٧٤ م

(١) علاقة البابا مكسيموس مع الكنائس (٢) مقاومته لبدعة ماني (٣) مبادي هذه البدعة (٤) خاتمة مطاف ماني وموته الشنيع

---

(١) ولما رقد البابا ديوناسيوس بالرب ولحق بسلفائه انعقد مجمع الاساقفة في الثغر الاسكندري وأجمع رأيهم على تقدمة مكسيموس أحد قسوس مدينة الاسكندرية وتكريسه بطريركا وتم ذلك سنة ٢٦٢ م في شهر بابه ولم يمض على بطريركية هذا الاب حتى وردت اليه رسالة مجمعية من أعضاء مجمع انطاكية تتضمن الاسباب التي بنى عليها المجمع تنزيل بولس السميساطي واقامة دمنوس بدله على الكرسي الانطاكي وتأمر مكسيموس بتحرير رسالة تهنئة الى البطريرك الجديد فعند وصول هذه الرسالة ليده واطلاعه على فحواها بادر حالا بكتابة رسالة من جهة الى المجمع شكر مساعيه واتعابه ورسالة الى دمنوس هنأه فيها بمنصبه الجديد ومن جهة أخرى حرر منشوراً

الى كراسي الاساقفة حذرهم فيها من تعاليم بولس وشرح هم التعليم المستقيم الذي ينبغي التمسك به

(٢) وما كادت الكنيسة تستريح من قلاقل بدعة السميساطي حتى وقعت في شر منها فان مبتدعاً اسمه ماني من بلاد فارس رام أن يوفق بين الديانة المسيحية وديانة الفرس فضاعت بذلك مخيلته وصار يخبط خبط عشواء وقد موّه على كثيرين من المسيحيين وجذبهم الى ضلاله وتعليمه الشنيع ولما أخذت تمتد أضاليله في العالم المسيحي شمر آباء الكنيسة ساعد الجد لصد هجماته فشرع البابا مكسيموس يكتب ضد هذه البدعة الى كل مكان ويقاومها مشافهة وكتابة

(٣) ومن مبادي ماني أنه يوجد مبدآن لكل شيء أحدهما مادة رخوة أو براقة والثاني مادة كثيفة مظلمة ولكل من هاتين المادتين رب فرب المادة الرخوة أو النور يسمى الله ورب الظلمة يدعى ديمون فالاول سعيد محسن يرغب أن يكون كل ما عداه سعيداً والثاني خبيث شقي يرغب أن يكون كل ما سواه رديئاً وشقياً

وقد لبث رب المادة الخبيثة زمناً طويلاً لا يشعر بوجود اله النور ولما علم به بحدوث حرب في مملكته سعى في ان يتملك عليه فصادمه رب النور بجنوده فانتصر الاول عليه وأخذ جانباً عظيماً من النور وخلطه بالمادة الخبيثة ثم خلق منها والذي الجنس البشري فكان لكل انسان جسد مادي ونفسان احداهما حاسة وشهوانية من المادة الخبيثة والثانية نورانية من النور فلكي يخلص رب النور هذه الانفس من أجسادها صنع هذه الارض وأخرج من ذاته كائنين الواحد المسيح الذي كان مسكنه الشمس والثاني الروح القدس وهو مادة حيوية براقة منتشرة في كل الجلد المحيط بارضنا فيدفيء النفوس ويثمر الارض فبعد ما أنذر رب النفوس بواسطة أناس علمهم أرسل لهم المسيح فنزل من مسكنه الى عالمنا هذا لابساً جسداً خيالياً ولما نظره رب الظلمة أهاج اليهود على قتله فسكه هؤلاء وصلبوه بدون ان يتأذى جسده بما انه خيالي فطار الى مسكنه وكان قبل صلبه اختار تلاميذ وعلمهم الديانة وأمرهم ان ينشروها في كل العالم ووعدهم ان يرسل لهم رسولاً أعظم منه سماه البارقليط ألا وهو ماني

وينقسم تعليمه عن النفس الى قسمين فالنفس الطاهرة مهما بلغت الى درجة النقاوة لا يمكن أن تنقى بالتمام ولذلك بعد خروجها من الجسد يعرض عليها تطهيران أحدهما بالماء المقدسة والثاني بالنار فتذهب أولا الى القمر حيث تمكث في الماء ١٥ يوماً ثم تنتقل الى الشمس فتنقى كاملا بالنار وترجع الى عنصرها الاصلي والنفس الشريرة التي لم تقاوم النفس الشهوانية تتقمص قصاصاً لها بعد الموت غير أجسادها أو تسلم لارواح شريرة يعذبونها زمناً ثم ترجع بعد ذلك الى عالم النور وأخيراً يرسل الله ناراً ويحرق هذا العالم ويسجن رب الظلمة وجنوده وتبعاً لهذه المبادي قد رفض ما في كتاب العهد القديم زاعماً انه ليس عمل الله بل عمل رب الظلمة ورفض كتاب العهد الجديد واخترع انجيلاً ملطخاً بأرائه الفاسدة وقد جعلت له عيشته الصارمة وتقواه الرياني قبولا ونفوذاً في العالم لكن لما رأى ان قوانينه هذه لا يستطيع كل أحد أن يسير بموجبها قسم تابعيه الى نوعين الاول المختارون وهم الذين فرض عليهم ان يجتنبوا أكل اللحم والبيض والحليب والسمك والخمر والزواج وكل لذة وأمرهم ان يعولوا أجسادهم بالخبز والخضرة والحبوب والبطيخ زاعماً ان تلك من صنع رب الظلمة وهذه من عمل رب النور وبكل تأكيد نقول ان هذه التعاليم أنذر بها الوحي من قبل بروزها الى عالم الوجود بثلاثة أجيال فقد قال الرسول بولس . ان الروح يقول صريحاً ان في الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم مانعين عن الزواج وآمرين ان يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق (١ تي ٤ : ١ ـ ٣) والثاني الموعوظين وهم الذين كان مصرحاً لهم أن يعيشوا بنوع الطف .

(٤) فبعد ما طاف (ماني) امكنة كثيرة زارعاً فيها زوان تعليمه رجع الى بلاد الفرس فقبض عليه ملكها وسلخ جلده وقتله وسببه هو انه لكي يحصل اعتباراً جزيلا ادعى بعمل العجائب وكان يعلم قليلا من علم الطب فاتفق ان ابن الملك مرض فدعي لمعالجته فاعطاه دواء ساماً أماته به فغضب الملك عليه والقاه في السجن فسرقه تلامذته وهربوه فذهب الى بلاد فلسطين حيث قاومه أحد الاساقفة وانكر عليه تعليمه وطرده خوفاً من أن يضل الشعب بضلاله فذهب الى العربية حيث شعر به ملك

لعرس فارس قبض عليه وسلخ جلده وقيل أن موته كان خلاف ذلك وهو بسبب جداله مع ضرير امام الملك وذلك ان ماني طلب من ملك الفرس ان يحضر له أسقفاً ليجادله فلما أحضره اليه القى عليه سؤالا معضلا فطلب الاسقف ثلثة أيام مهلة ليرد له الجواب فبعد تمام المهلة أحضر له ضريراً محتجاً انه يستطيع أحقر مسيحي أن يرد سؤال ماني وكان ملوك الفرس يتشاءمون من مقابلة أعمى فمنع الضرير من الدخول اليه لكن نال رخصة بواسطة ماني الذي ظن ان جلب الضرير لجداله امام الملك انما هو حيلة من الاسقف كونه لم يستطع ان يجب على سؤاله فلما دخل الضرير مسك يد الملك سائلاً ماني ان كانت خلقة رب الظلمة أو رب النور فلم يقدر ان يجيب الا بكونها خلقة رب الظلمة لانه كان يسلم بان الاجساد خلقة رب الظلمة فغضب الملك من ماني وسلخ جلده والله أعلم .

ثم ان البابا مكسيموس استمر على كرسي حبريته اثني عشر سنة وسبعة أشهر ويوماً واحداً وتوفي سنة ٢٧٣م

البابا ثاونا البطريرك السادس عشر سنة ٢٧٤ م — ٢٨٤ م

(١) انشاؤه بيعة في الاسكندرية على اسم العذراء (٢) تفرد القديس بولا في البرية للعبادة

---

(١) ولم يشعر الاساقفة بوفاة البابا مكسيموس حتى اجتمعوا في الدار البطريركية في أقرب وقت لانتخاب خليفة له وبعد الاخذ والرد وقع اختيار جميعهم على القس ثاونا أحد كهنة الاسكندرية ووضعوا عليه الايدي في شهر برمودة سنة ٢٧٤ م وقد ذكر في بعض النسخ ان الاساقفة كرسوا واحداً بطريركا قبل هذا الاب اسمه بنودة استمر على الكرسي سنة شهور وبعد مضي هذه المدة عقد الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية ضده وأسقطوه من درجته بدعوى انه خصي نفسه وأقاموا بدله البابا ثاونا وقد ذكر هذا الامر الاب يوانس مطران دمياط في مجموعته لتاريخ بطاركة الاسكندرية

أما البابا ثاونا فلما اعتلى كرسي الخيرية انتهز فرصة سكون القلاقل والاضطهاد وجمع من أغنياء الشعب مبلغاً وافراً صرفه على عمارة كنيسة شهيرة دعاها باسم العذراء مريم وقد كان المسيحيون قبل ذلك يجتمعون للصلوة والعبادة في المغاير والكهوف والاماكن التي تحت الارض من جراء الاضطهاد

(٢) ونحو هذا الزمان كان القديس بولس منفرداً في الجبل الشرقي للعبادة والانعكاف على الصلوة لله وقد كتب لنا القديس أنطونيوس قصته وقال ما مؤداه (انه بعد ما مضى عليّ زمان وأنا في العبادة اختلجني فكر العظمة وظننت اني أنا أول من سلك طريق الرهبنة وانفرد للعبادة والنسك في البرية فتداركتني نعمة الله وأعلمني تعالى بالهام الهي بان في هذه البرية رجلاً أقدم مني زماناً وأفضل قداسة . فأخذت حالاً عكازي الذي أتوكأ عليه وخرجت أطوف في البرية قاصداً مكان عبد الله وبعد ما سرت يوماً باكمله ولم أجد أثراً يدلني عليه قمت مصلياً الليل أجمع مستمداً الارشاد من الباري ثم أخذت أطوف في اليوم الثاني كما في اليوم الاول ولما صار الغروب نظرت ذئبة صاعدة الى جبل فتعقبت أثرها ولم أدعها تغيب عن نظري حتى خيم الظلام بيني وبينها فتركتها وملت الى مغارة كانت بالقرب مني قاصداً ان أبيت فيها وبينما أنا سائر في الظلام الحالك نظرت فيها من بعيد ضوء سراج فلما دنوت من النور شعر بي القديس بولس فأسرع وأغلق دوني الباب أما أنا فجثوت على الارض وصرخت باكياً وقلت (اني لواثق بأنك تعلم من أنا ومن أين جئت ولماذا أتيت ولا يخفى عليك اني لا أخرج من هنا أو ابصرك فهل يمكنك يا من تقبل الحيوانات ان تطرد الانسان . اني طلبتك وقد وجدتك وقرعت بابك لتفتح لي فان لم تقبل طلبتي فاني أموت ههنا فاقل ما يكون أنك تلحدني بعد موتي) ففتح لي من ثم الباب وعانقني فسلمت عليه باسمه كما سلم عليّ باسمي ثم قال لي (أبصر الآن من فتشت عنه بعناء عظيم فترى أعضائي قد وهنت من الشيخوخة وقد ابيضت لحيتي كلها وجف جلدي فانظر انساناً يرتد الى الرماد سريعاً قد تعبت كثيراً بالاستقصاء عني فاخبرني عن حال العالم من يدبره وهل يوجد فيه بعد من يعبد الشيطان فاجبته على ذلك بالتفصيل ثم سألته عن السبب الذي أحضره الى هذا المكان فاجابني قائلاً أنه بينما كان الملك ديسيوس يفتك بنصارى مصر

والصعيد حيث ولدت مات والدي اذ كان عمري ١٢ سنة فدخلت مدارس الفلاسفة وحزت علوماً وافرة فلما اشتدت المصائب على المؤمنين انفردت في منزل كان لي بين مزارعي فعرض لي خطر عظيم وذلك ان زوج أختي (أو أخي) قام عليّ ورام ان يختلس أموالي أو يشكيني الى الوالي باني مسيحي وكنت سمعت ان هذا الوالي أرسل الى كل مكان رسلاً يفحصون عن المسيحيين ليعذبهم أو ينكروا المسيح فهربت الى هذه البرية وتخلصت من خبث صهري (أو أخي) والتجأت الى هذه المغارة وعشت فيها منفرداً) وبينما كنا نتفاوض طار الينا غراب حاملاً في منقاره رغيفاً ووضعه بين أيدينا وطار فقال القديس بولس (مبارك الرب الذي أرسل لنا مأكلاً فاعلم يا أخي انه منذ ٦٠ سنة يأتيني هذا الغراب كل يوم بنصف رغيف واليوم أتى برغيف كامل من أجلك فشكراً لله الذي يهتم بقديسيه) ثم صرفنا الليل أجمع بالصلوة وفي الغد استدعاني القديس بولس وقال لي اني عرفت منذ زمان انك مستوطن هذه البرية وقد وعدني الله بانك تزورني وتواريني التراب فقد وافى الزمان الذي أفارق فيه هذا الجسد البالي وانطلق الى الرب فأطلب اليك ان تعود الى ديرك وتأتيني بالرداء الذي أعطاه لك اثناسيوس لتكفنني به فبدأت عند ذلك أذرف الدموع متأسفاً وطلبت الا يفارقني بل يلتمس من المسيح ان أنطلق معه فقال لي (انه ينبغي لك ان تمكث مدة من أجل خير اخوتك) ثم أنبائي عن مستقبل مجد الرهبنة وفضلها .

فودعته ورجعت الى ديري مسرعاً ولما صادفت اثنين من الرهبان وسألاني عن سبب غيابي فلم أجبهما بكلمة بل قلت لهما اني رجل خاطيء لا أستحق ان أسمى راهباً . ثم اخذت ذلك الرداء ورجعت مسرعاً الى حيث القديس بولس راجياً ان أعاينه وهو حي فلما لم يبق الا مسافة قليلة لوصولي أبصرت جوقاً من الملائكة يرتلون وبينهم نفس القديس فحزنت وبكيت بكاء مراً ولما دخلت المغارة وجدت جسده واقفاً كأنه جاث على ركبتيه ورأسه مستقيم ويداه مرتفعتان فظننت انه حي فجثوت أصلي بقربه ولما رأيت انه لم يتنهد كعادته في الصلوة تفرست فيه جيداً فتحققت انه توفي فوثبت على جسده وقبلته ذارفاً الدموع ثم كفنته بذلك الرداء وفيما أنا متفكر في كيف أدفنه اذ لم يكن معي آلة احفر بها حفرة ساق الله لي اسدين وبديا يحفران في الارض حتى أ كلا

الجيل الرابع

ترجمة الاب اسكندر البطريرك التاسع عشر سنة ٢٩٠م — ٣١٨م

(١) ارتقاؤه الى رتبة البطريركية ومكافحته لبدعة اريوس (٢) المجمع المسكوني الاول (٣) أهم أعمال هذا المجمع (٤) قوانينه

---

(١) ولم يعلم الاباء الاساقفة بوفاة الاب ارشلا البطريرك الثامن عشر حتى بادروا الى الثغر الاسكندري وعقدوا مجمعاً فانتخبوا للكرسي المرقسي اسكندر أحد كهنة البطريركانة وكان على جانب عظيم من الفضل والعلم والغيرة والنشاط فلما رقى كاندرا رئاسة الاساقفة شرع يصب قصارى جهده ويقوم بشؤون هذه الوظيفة السامية وقد اشتهر في محاربته لبدعة اريوس وتفنيد تعليه الوخيم فان اريوس لم يلبث بعد ان توفي الاب ارشلا مؤدياً وظيفة كاهن حتى تقدمت الى الاب اسكندر شكاية بحقه من قسيسين انه ينكر بخطاباته الجهارية لاهوت المسيح وكان جماعة من الآباء الاساقفة في الاسكندرية فاستدعاهم البطريرك الى مجمع خصوصي وفحص امامهم قضية اريوس فحكموا عليه بأن يكف عن تعليه الوخيم أما هو فبدلاً من ان يقبل هذا الحكم أصر على عناده وأخذ يكثر من تعليه وينادي به سراً وعلناً فسخط عليه الاب اسكندر وجمع مجمعاً مؤلفاً من مائة أسقف ليبيين ومصريين وحكم على بدعة اريوس حكماً رسمياً فامضى المجمع على هذا الحكم ما عدا أسقفين فقطعهما هما واريوس من الكهنوت غير ان اريوس لما كان رجلا عالماً ومتظاهراً بالتقوى والعفاف ومحبوباً من كثيرين لم يمتنع عن اقامة الخدم الكنائسية والقاء الخطب ضد التعليم القويم وتحريض الشعب واغرائهم على قبول مبادئه حتى استمال اليه الكثيرين فاضطر من ثم البطريرك ان يطرده من الاسكندرية ويكتب بحقه رسائل الى الكنائس فذهب اريوس الى فلسطين حيث وجد من يقوم بناصره وبدأ من ثم يخاطب الاساقفة في سائر الاماكن

ويستدعيهم ان يأخذوا بيده ويساعدوه على تصويب آرائه وتضليل آراء أخصامه فأول من انتصر لتعليمه أوسابيوس أسقف نيكوميديا واتفق ان الملك قسطنطين انطلق الى هذه المدينة فظل أوسابيوس يسعى ويجتهد حتى استطاع ان يستميل الى اريوس رضى الملك ومن جهة أخرى الف بعض أغاني سرد فيها أضاليله وسلمها لعامة الشعب فصاروا يتلونها ويشربون السم في الدسم واستطاع بهذه الحيلة ان ينشر مباديه بسهولة بين المسيحيين وكان الملك يعرف من قبل شيخاً جليلا في رؤساء الاساقفة اسمه أوسيوس أسقف قرطبة من اسبانيا الذي كان اعترف بالايمان في اضطهاد مكسيميانوس امبراطور الغرب فاستدعاه الملك وتذاكر معه ومع أساقفة آخرين فيما كان حاصلا من الاضطراب والنزاع بسبب مقاومة اسكندر لتعليم اريوس فاستقر رأيهم ان يرسل الملك أوسيوس نفسه الى الاسكندرية ليتوسط في أمر صلح اريوس والبطريرك فزوده برسالة الى الاب اسكندر ورسالة أخرى الى اريوس حرضهما فيهما على الاتفاق برأي واحد فلما حضر أوسيوس الى الاسكندرية وسعى مع بعض الاساقفة في ايجاد الصلح بين المتنازعين وجد ان الخرق اتسع على الراقع ووقف على حقيقة الحال قفل راجعاً الى الملك بلا جدوى وأخبره بكل شيء ورأى رأيه هو وبعض الاساقفة ان النزاع بين اسكندر واريوس لا ينحسم الا بواسطة انعقاد مجمع مسكوني مؤلف من سائر أساقفة الكنيسة فيحكم في هذه المسألة ويقرر مسائل غيرها مختلف فيها كمسألة الفصح والمعمودية

(٢) فأرسل الملك منشوراً الى أساقفة المملكة ليدعوهم بها الى الحضور وعين لهم سفناً على نفقته وقرر مكان انعقاد المجمع مدينة (نيقيا) فحضر بوقت وجيز ٣١٨ أسقفاً منهم اسكندر بطريرك الاسكندرية ومكاريوس أسقف أورشليم واسطاسيوس بطريرك انطاكية وأوسيوس المعترف أسقف قرطبة وبفنوتيوس المجاهد أسقف الصعيد الذي كان الملك يدعوه مراراً الى بلاطه ويتلذذ بسماع الفاظه ويعقوب أسقف نصيبين وأما سيلبسترس بابا رومية فلم يحضر شخصيا بسبب شيخوخته فأرسل كاهنين بالنيابة عنه وهما (ويتن وويكنديوس) . وحضر من حزب اريوس أوسابيوس النيكوميدي وثاوغنس أسقف نيقية ومارس أسقف خلكيدون ومعهم عشرة فلاسفة وحضر عدا هؤلاء جملة من الكهنة والشمامسة والعوام البعض منهم للفرجة والبعض

حيرا وجثيا امامي كلهما يطلبان اذنا للانصراف فاشرت هما بيدي ثم واريت جسد القديس بالتراب وأخذت ثوبه المنسوج من الخوص وعدت به الى ديري وكنت ألبسه في الاعيادالسيديه)

وقدم ختم هذا الحبر أحد اباء الكنيسة مادحاً نسك القديس بولس بقوله (اني اسأل الآن الاغنياء الذين لا يعرفون كية ثروتهم لزيادتها والذين يسكنون المنازل الفسيحة المزينة بالزخارف والنقوش ما الذي أعوز هذا الشيخ المتعري من كل غنى فانتم تشربون في كؤوس من فضة وذهب وهذا بولا يطفىء عطشه بكف يده انتم تلبسون البرفير وهذا كان متردياً بثوب من النخيل غير انه لا يكون الامر هكذا دائماً وهذه الحال ستنقلب الى حال أخرى فها ان السموات انفتحت لبولا المسكين وانتم ستهبطون الى جيع كنوزكم وهو قبر في لحد ليقوم للمجدوانتم تدفنون في قبور من الرخام والمرمر لتحرموا الى الابد .

البابا بطرس خاتم الشهداء البطريرك السابع عشر سنة ٢٨٠ — ٢٩٠م

(١) طفولية هذا الاب (٢) ارتقاؤه الى الرتبة البطريركية ومقاومته لملاتيوس الاسيوطي (٣) مقاومته لاريوس (٤) شهادته في دار البقر

---

(١) ان البابا بطرس هو ابن أحد كهنة الاسكندرية رزقه أبوه بوعدالهي بعد ان قطع الامل من ولادة البنين بالمرة الواحدة وتفصيل ذلك أن والدته حضرت الى البيعة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس فلما أبصرت نساء المسيحيين حاملات أولادهن على اكتافهن تنهدت من صميم فؤادها وطلبت الى الله بحرقة قلب وانكسار نفس ان يمن عليها بنسل وتناولت ذلك اليوم من السرائر الربية ورجعت الى بيتها حزينة ومتوجعة النفس وفي ليلة ذلك اليوم رأت اثناء النوم رؤيا واذا بشخصين يقولان لها لا تخافي ايتها المرأة فان الله قبل صلاتك واستجاب طلبتك وسترزقين ولداً كما رزقت حنة بصموئيل فاذا انتبهت باكراً اذهبي عند الاب تاونا واخبريه بذلك - قال لها هذان الشخصان ذلك وغابا عن نظرها فلما طلع الفجر أعلمت زوجها برؤياها فأمرها

ن تنطلق الى الاب تاونا لتخبره بما رأت وما سمعت ففعلت أما البطريرك فدعا لها وبارك عليها وصرفها بسلام ولم تمض تلك السنة حتى رزقت ولداً ذكراً وحين قدم لينال الصبغة المقدسة دعاه البابا تاونا بطرس لكونه بشرت والدته بالحبل به يوم عيد الرسول بطرس ولم ينم هذا الطفل قليلا حتى بدأت علامات النجابة و ... تظهر على جبينه فادخله البطريرك المدرسة الدينية ولما صار قادراً على تأدية وظيفة الوعظ والارشاد في الكنيسة قلده وظيفة الشماسية ثم وظيفة القسيسية ومن ثم صار بطرس يعتمد عليه ويعول في القول والعمل وحل المشكلات العويصة وقد ناظر سابليوس وشيعته تارة بالكلام وأخرى بالكتابة حتى خرج من هذه المناظرة فائزاً منتصراً على أخصامه . وفي أحد الاعياد السيدية بينما كان البابا تاونا محتفلاً مع مصاف اكليروسه برفع السرائر الالهية وقف رجل به شيطان على باب الكنيسة وبدأ يرمي بالحجارة كل من يأتي للصلوة فأمر البطريرك القس بطرس ان يزجر هذا الشيطان ويأمره باسم المسيح ان يخرج من الرجل فاطاعة لامر معلمه أحضر أناء فيه ماء للبطريرك وطلب اليه ان يرسمه بعلامة الصليب ففعل ثم خرج القس بالاناء ورش منه على ذلك الرجل داعياً باسم الثالوث المقدس فسقط الرجل على الارض مزبداً وخرج منه الشيطان ولما قربت وفاة البابا تاونا أوصى الاساقفة ان يخلفوه باقامة القس بطرس

(٢) وفي سنة ٢٨٥م اجتمع الاساقفة في هاتور بالدار البطريركية ووقعوا على رسامة هذا الاب وكان الاضطهاد شديداً على مسيحي القطر المصري لم يسبق له نظير فلما رقى البابا بطرس الكرسي المرقسي بعث رسائل الى انحاء الكرازة جميعها يثبت بها ابناء رعيته على الايمان بالمسيح ولم يكتف بذلك بل انه طاف القطر المصري وافتقد كنائسه فثبت عزم المعترفين ورد الضالين واضعاً عليهم القانون واتفق انه لما بلغ الى مدينة ليكوبولس وجد أسقفها ملاتيوس الاسيوطي من ضمن الذين أنكروا المسيح وضحوا للآلهة خوفاً من العذاب فأفرغ جهده في أن يرد هذا الجاحد الى الايمان بواسطة التوبة والقيام بالقوانين الكنائسية فأبى ان يقبل ذلك وصفق يشنع على القديس بطرس مفترياً عليه فمال لسماع كلامه نفر ليس بقليل وهكذا شق الكنيسة في تلك الجهة وقسم المؤمنين الى جزئين فبعض تبعوه والبعض ... على

موالاة باباهم . أما باقي الذين جحدوا الايمان وأثرت بهم نصائح البابا فجاؤا اليه يطلبون منه الحل والقبول في شركة المؤمنين فوضع على كل منهم قانوناً ملائماً لحاله فأمر الذين سجنوا مدة وسقطوا بدون عذاب ان يتموا ذلك القانون سنة كاملة وأما الذين كفروا باختيارهم بدون ان يحتملوا عقوبة فلم يقبل منهم الا الذين ابتدؤا ان يثمروا أثمار التوبة بشرط ان يكملوا القانون الثاني وأما الذين تخلصوا بحيلة بدون ان يجحدوا الايمان علانية وذلك بواسطة سندات طلبوها من الغير تتضمن شهادة بأنهم كفروا بالايمان أو ارسلوا وثنيين يكفرون نيابة عنهم فأمرهم ان يكملوا ذلك القانون ستة أشهر وامر الذين ارسلوا غيرهم ليجحدوا الايمان عنهم ان يصوموا ثلث سنين .

(٣) ولم يستقر له قدم بعد عودته من افتقاد رعيته في مقر كرسيه حتى صدمت كنيسته زوابع بدعة أريوس ومن أمر هذا الرجل انه ولد في ليبيا مصر وتربى فيها ونزح من وطنه الى مدينة الاسكندرية ودخل مدرستها الدينية وتقدم في علومها تقدماً باهراً فتداخلته الكبرياء والعظمة وأحب ان يرقى درجات رفيعة بواسطة فصاحته بعد ارتقائه درجة كاهن ووظيفة واعظ في الكنيسة فاعجابه بنفسه ومحبته للرئاسة أثرا على عقله وجعلاه يبتعد أثناء الوعظ عن مركز التعليم المسيحي البسيط وصار يخلط فيه عبارات فلسفية تخالف قواعده الاساسية واتفق انه قال أثناء خطابه في حضرة البابا بطرس وعلى مسمع منه ان ابن الله كائن بعد ان لم يكن ففهم البطريرك هذه العبارة من بادىء بدء انه قال ذلك بالنسبة الى الناسوت المحدث من مريم العذراء ولكن لدى تكرار اريوس لهذه العبارة واستفهام القديس منه عنها علم يقيناً ان اريوس سقط من مجد الديانة المسيحية فلما خرج البابا من الكنيسة استدعى اريوس امام بعض الاساقفة ونصحه كثيراً ان يعدل عن رأيه ولما لم ينتفع بذلك كتب قراراً بحرمه وقطعه وفصله من شركة الكنيسة أمضى عليه هو والاساقفة الذين كانوا حاضرين في هذا المجمع وحدث بعد ذلك بقليل ان الملك حضر الى الاسكندرية وأمر بقتل البابا بطرس اذا لم يضح للآلهة فاعتقله الوالي ووضعه في السجن فلما علم اريوس بسجن البابا طلب من وجهاء الشعب ان يشفعوا به لدى البطريرك كي يقبله في شركة الكنيسة

وفي نيته ان يتسلق على عرش البطركية بعد موت القديس فتضرعوا اليه في شأنه فأبى ان يجيب طلبهم ثم أخذ ارشلا واسكندر كاهنيه الموقرين واعلمهما عن حال اريوس بقوله (اني وان كنت خاطئاً فسأموت بنعمة الله شهيداً وستجلسان بعدي على كرسي حسبما أنبأني بذلك سيدي يسوع المسيح فأقص عليكما رؤيا أنعم بها علي في هذه الليلة وذلك انه بينما كنت أصلي ظهر لي رب المجد بشكل غلام له من العمر ١٢ سنة وكان متصفاً ببهاء عجيب لابساً ثوباً أبيض ممزقاً من طوقه الى أسفل فسألته قائلا من هو يارب الذي مزق ثوبك فقال لي هو اريوس ثم أمرني بألا أقبله في الاشتراك الكنائسي وأوصاني بأن أقول لكما ذلك فخرجا من عنده .

(٤) ان رسائل هذا البابا التي بعث بها الى انحاء القطر المصري وغيرها وهجا بها العبادة الوثنية أوغرت صدر الملك مكسيانوس غيظاً فحضر الى مصر بذاته لينتقم من البطريرك وبعد ما فتك بنصارى القطر المصري ودمر بلادهم ونهب أموالهم وهرق دماءهم وسبى نساءهم وأولادهم وقتل منهم ما ينوف عن ٨٤٠٠٠ نفسا بعضهم بالسيف والبعض بالجوع والحبس عاد الى الاسكندرية وأمر بالقبض على البابا بطرس الذي احتسبه عدو آلهته الاكبر نظراً لتشنيعه على عبادتها وقيل ان الذي زاد غضب الملك على هذا القديس علاوة على ما تقدم هو ان امرأة سقراط أحد قواد الجند الذين جحدوا الايمان في انطاكية كان لها ولدان فلما كبرا قليلاً عزمت على أن تذهب بهما الى الكنيسة لتعمدهما فزجرها زوجها وهددها بانتقام الملك ولما ضاق ذرعها وسدت في وجهها المسالك جميعها حملت ابنيها وذهبت بهما الى الاسكندرية حيث عمدهما البابا بطرس وعادت الى انطاكية وكان القائد الجاحد قص أمرها على مسامع الملك فامره ان يحضرها امامه عند عودتها من الاسكندرية فلما رآها القائد استدعاها للحضور امام الامبراطور فحضرت فسألها عما حملها على الذهاب الى تلك المدينة فأقرت بكل ما فعلته فانكر عليها ذلك وقال لها انما ذهبت لتزني مع النصارى فانكرت ذلك وبرهنت على أداب المسيحيين وحسن سيرتهم بعبارة قوية أذهلت من سمعها وأغضبت الملك فأمر ان تربط يداها وراء ظهرها وينقل ولداها على بطنها وتحرق بنار وانتهت حياتها وحيوة ولديها على هذه الكيفية

ولما سمع الملك بان الاب بطرس يحتفل جهراً بشعائر العبادة المسيحية حنق عليه بنار البغضة والانتقام فحضر الى ديار مصر وفعل ما فعل ثم تمكن أخيراً من القبض على القديس بطرس وأودعه في السجن فاضطرب لذلك نصارى الاسكندرية واجتمعوا على باب السجن مريدين ان ينقذوا راعيهم بالقوة فلما رأى القائد المأمور من القيصر بقتل القديس هذا الجمع الكبير خشى ان يحدث قلق وتعصب فأبقى تنفيذ أمر الملك الى الغد أملاً بان هذا الجمع يعود كل واحد منه الى منزله اذا دخل الليل غير انهم استمروا جميعاً فلم يجسر القائد ان يخرج القديس خوفاً من ان الشعب يختطفه من بين يديه فاستدعاه القديس وأشار عليه ان ينقض قليلاً من حائط السجن من الجهة التي لم يكن المسيحيون بازائها فانذهل القائد من هذه الشهامة ثم فعل كما أمره الاب وأخرجه من السجن سراً وذهب به الى مكان بقرب قبر مار مرقس الرسول يدعى بدار البقر فلما وصل القديس الى ذلك المكان جثا على ركبتيه وبدأ يطلب من الله ان يجعل دمه خاتمة هرق دماء المسيحيين وتمام زوال الاضطهاد عن بنيه وكان بالقرب منه بيت مسيحي فيه صبية عذراء كانت تصلي فلما انتهت من صلاتها سمعت صوتاً يقول بطرس أول مصاف الرسل وبطرس آخر شهداء الاسكندرية ولما أتم القديس صلاته تقدم بشهامة الى السيافين فلم يجسر أحد منهم ان يدنو منه لان الخوف اعتراهم فدفع القائد لاحدهم ٢٥ ديناراً فأخذ هذه الكمية وتقدم الى القديس وقطع رقبته ثم تركه الجند ومضوا أما الشعب فلم يعلموا به الى ان رأوا السجن منقوضاً فأسرعوا الى حيث جسد القديس وألبسوه ثياب الحبرية وأجلسوه على كرسي مار مرقس الذي لم يرض ان يجلس عليه أبداً وهو حي ثم صلوا عليه ودفنوه باكرام جزيل وكان ذلك سنة ٢٩٥ في ٢٩ من شهر هاتور

البابا ارشلا البطريرك الثامن عشر سنة ٢٩٥ م

وبعد موت البابا بطرس اجتمع الاساقفة وأقاموا القس ارشلا خليفة له في شهر كيهك من تلك السنة فلم يستمر على الكرسي أكثر من ستة شهور وتوفي في ١٩ بؤونة

وحدث في أثناء مدته ان اريوس تمكن بواسطة خداعه من استمالة قلوب وجهاء الشعب وجعلهم يتوسطون به لدى البطريرك فالتمسوا منه ان يشرك اريوس في الخدم الكنائسية ومن كثرة لجاجتهم عليه قبله

الحوادث المدنية في هذا الجيل

انه لما صفا الجو للامبراطور ساويرس بدأ يشتغل بتنظيم أحوال المملكة وبحسن تدبيرها ويغير ويبدل ويعزل وينصب فيها وقد اشتهر بسفك دماء المسيحيين سيما مسيحي بلاد مصر وأفريقا وأبلاهم باضطهاداته المريعة حتى خيل لهم ان المسيح الدجال قد ظهر الى عالم الوجود وذلك في مدة بطريركية الاب ديمتريوس ١٢ ومما وصل الينا من أخبار اضطهاده لمؤمني مدينة الاسكندرية القصة الآتية ٠ كان في هذه المدينة فتاة بديعة في الجمال تدعى بوطاميا تأدبت حسب الاصول المسيحية وتربت في حضن امها القديسة مرسيليا فحاول رجل ذو ثروة وغنى جزيل ان يلطخ بتوليتها بالفساد والدنس مراراً كثيرة فلما قاومته البتول ورفضت وعده ووعيده وترغيبه وترهيبه سخط عليها وشكاها الى الوالي بانها مسيحية ورشاه بالفضة والتمس منه ان يجبرها على ان تجنح لمطلوبه الوخيم فأحضرها الوالي ولاطفها كثيراً فلم ير منها الا العزم الثابت ولما ضجر من مقاومتها حكم عليها بأن توضع في قدر مملوء من الزفت المغلي فقبلت هذا الحكم بمزيد الشكر باغراء والدتها فلما عمد الجند ان يعروها توسلت اليهم ألا يفعلوا ذلك فقبلوا سؤالها وكان فيهم رجل يدعى باسيليدس قد تأثر من وداعتها فكان وهم يسيرون بها يمنع المتفرجين عن الاقتراب اليها والازدراء بها فلما رأت منه هذا الجميل والمعروف الجليل وعدته بأن تكافئه عن معروفه بالطلب الى الله من أجله لكي يستنير بنور الايمان وقد أنجزت هذا الوعد الصالح بعد ما كابدت اتعاب جهادها وتوفيت فانها تضرعت الى المسيح من أجله فست نعمته الالهية قلب الجندي وانقلب للحال مسيحياً ومات شهيداً وتفصيل ذلك ان جندياً طلب اليه ان يحلف بالآلهة

فقال له اني مسيحي وشريعتي لا تأذن لي بأن أحلف بآلهة الوثنيين فظن رفقاؤه في بدىء الامر انه يمزح لكن لما تحققوا منه صحة قوله أخذوه الى الوالي واشتكوا عليه بأنه مسيحي فامر القاضي بسجنه فلما شعر المؤمنون بذلك بادروا اليه ومنحوه الصبغة المقدسة ثم سألوه عن كيفية اعتناقه الايمان فقال لهم (ان العذراء بوطاميا ظهرت لي في رؤيا الليل بعد وفاتها بثلاثة أيام وبيدها اكليل وضعته على عاتقي وقالت لي (انك يا باسيليديس عما قليل تكون معي) فتيقنت ان هذا المنظر كان من أجل دعوتي الى الايمان) وقد انتهت حيوة هذا المجاهد بقطع الرقبة. وقد ابلى هذا الطاغية مسيحي قرطجنة بالنكبات فناضل عنهم ترتوليانوس العلامة واحتج على الملك امام ديوان رومية فاستطاع ان يخفف عن رعايا كنيسته وطأة الاضطهاد وكانت رزايا مؤمني بلاد أوروبا سيما غاليا أي فرنسا ليست بأقل من رزايا غيرها وسبب ذلك ان هذا الطاغية عين يوماً لمولده ودعا سائر الناس الى ان يحتفلوا فيه بتقديم القرابين للآلهة فلم يشترك المسيحيون مع غيرهم بهذا العمل الفظيع فاسعر نيران الاضطهاد فيهم وقتل كل نصارى مدينة ليون وقتل ايريناوس أسقفها الذي كان تلميذ بوليكربوس أسقف أزمير وهذا كان تلميذ يوحنا الرسول كما ذكرنا ذلك في ترجمة الاب ديمتريوس. وقام على تخت الامبراطورية الرومانية كاركلا نحو سنة ٢١١م وكان شريراً قتل أخاه وجرح أمه في ذراعها وقتل باكابر الناس وقتل منهم نحو ٢٠٠٠٠ نفس فاستولى عليه القلق والوسواس من جراء ذلك وصارت الاحلام تريبه في الليل فكان يلهي ذاته عنها ويشغلها بالولائم والالعاب المختلفة وكانت نقوده جميعها مغشوشة فانه جعل دنانيره من نحاس مغشاة بالذهب ومسكوكاته من رصاص مغشاة بفضة وفي آخر حيوته كان يتزيا بزي اسكندر المكدوني ويماثله في اللبس والعوائد وقد اتخذ لنفسه ستة آلاف من الجنود المكدونية ودعا نفسه اسكندر واستعد للغزو والفتوحات على منوال ذلك الملك فلم ينجح في مسعاه وقتل وهو في بلاد سوريا بدسيسة بسيانوس الذي أخلفه على كرسي المملكة سنة ٢١٨م

ومن البلايا التي أبلا بها كاركلا اهل الاسكندرية ما هو انه لما دخل هذه المدينة بدأ أهلها يتندرون على عيوبه التي من ضمنها قتله لاخيه ومحاولته للتزوج بأمه فلما بلغ

اليهذا الازدراء اصدر أمراً الى شبان المدينة ان يخرجوا الى سهل ويصطفوا على قصد ان ينتخب منهم فرقة ويقلدهم السلاح ويجعلهم جنوداً له وهو يقصد على وجه الحقيقة ان يفتك بهم فلما خضعوا لهذا الامر اكتنفهم جنوده من كل جانب وحصروهم ضمن دائرة ثم انسحب الامبراطور من الوسط وأشار الى عسكره بعلامة مخصوصة فوقعوا بأولئك الشبان وقتلوهم عن آخرهم

أما خليفته الذي نظراً لصغر سنه وبديع حسنه وجمال منظره دعي بسيانوس أي الشمس فكان في أغلب الاوقات يتزيا بزي النساء فيضع في عنقه قلادة وفي يديه أساور من ذهب وكان ينشر في قصره أنواع الزهور والرياحين والروائح الذكية وكان اذا اجتمع اليه كبار رعاياه يطلق في وسطهم الوحوش الضارية ليرعبهم بها فاستقبحوا أفعاله الذميمة وقاموا عليه وقتلوه وأراحوا البلاد والعباد من شره فأخلفه ابن عمه اسكندر نحو سنة ٢٢٢ م وكان ملكاً عادلاً ووديعاً الى الغاية وكانت أمه جوليا مسيحية وغيورة ومحبة لأئمة دينها وقد استدعت عندها أوريغانوس العلامة وكانت تلتذ بسماع خطاباته الفصيحة وكان الملك يستشيرها ويعمل برأيها فأبطل جميع الامور المخالفة التي سلك فيها سلفه وطرد من امامه أرباب الملاهي وجعل ندماءه من ذوي الاخلاق الكريمة والاذواق السليمة وأبطل عبادة الاوثان وأخرج الاصنام من رومية ودعا الناس الى الديانة المسيحية ووجه جل عنايته نحو اصلاح خلل المملكة ورفع عن عاتق رعاياه المظالم والمغارم وخفف الضرائب وأصلح حال العسكرية واعتنى بافرادها اعتناء الوالد بولده وكان يزور مرضاهم . وكان اردشير ملك العجم حاول أن يستولى على جميع الولايات التي كانت خاضعة لكورش الفارسي فلما أحس اسكندر بهذا العزم زحف بجيشه على بلاد الشرق ولما وصل الى مدينة انطاكية عصت عليه فرقة من عسكره وقصدت ان تقتله فقادها الى الطاعة بحسن درايته وشجاعته وثبات جاشه ثم تقدم الى محاربة العجم وحاربهم وانتصر عليهم وعاد محفوفاً بالنصر الى رومية واستمر ملكاً الى ان قام عليه بعض العساكر وهو يومئذ يحارب القبائل المتبربرة وقتلوه مع أمه بدسيسة مكسيمينوس أكبر قواده وبايعوا هذا القائد بالملك فلما جلس على كرسيه أصدر أوامر لابادة المسيحيين بعكس ما كان يفعل معهم سلفه ومبدأ

هذا الاضطهاد هو انه لما جلس جديداً على تخت الامبراطورية أتم حسب عادة اسلافه على عسكره فكان كل واحد يتقدم اليه وهو واضع اكليل من غار على رأسه فتقدم عسكري مسيحي وبيده اكليله ونال الانعام من الملك ومضى فلما سمع رئيس العسكر دمدمة ارفاقه عليه وتعنيفهم له على عدم وضع الاكليل على رأسه استدعاه وسأله قائلاً (لماذا لا تضع اكليلك على هامتك نظير رفقتك) فقال له . (اني مسيحي وشريعتي لا تأذن لي ان أجعل أكاليلكم على رأسي فاني أعتبر ذلك ضرباً من العبادة الوثنية) فعراه من شكله العسكري وطرحه في السجن وشرع من ثم الملك يصب رجسه على المسيحيين سيما الرؤساء منهم ولكنه لم تطل مدته فان العسكر هاج عليه لشدة ما قاسوا من الجوع وقتلوه وهو في مضربه . فأخلفه على تخت المملكة غوردريان وكان الفرس قد غزوا أكثر الولايات الرومانية واستولوا عليها فحاربهم هذا الملك وانتصر عليهم واستخلص من أيديهم كل البلاد التي اغتصبوها

وفي سنة ٢٤٤ م تبوأ كرسي الملك رجل عربي الاصل يدعى فيلبس وكان حاذقاً نجيباً فأحسن معاملة المسيحيين وأعطاهم الحرية التامة وقد استمر حاكماً خمس سنين في نهايتها عزله الجند وأقاموا بدله ديسيوس وكان طاغياً وظالماً ومحباً لسفك الدماء فجدد الاضطهاد على المسيحيين و تفنن فيه واخترع طرقاً كثيرة لعذابهم حتى انتصر على ضعاف الايمان وغير الثابتين فيه وجعلهم ينكرون مسيحهم الاقدس وهاك روايتين مؤثرتين فالاولى هي ان أحد المسيحيين بعد ما عذب بتمشيط جسمه بأظفار الحديد ومد على صفائح محمية ولم ينثن عن عزمه الثابت طلي جسمه بعسل وربطت يداه وراء ظهره وبسط في الشمس المحرقة منكبا على وجهه مقاسياً حر الشمس من جهة ولدغ النحل والزنابير من جهة أخرى والثانية وهي ان واحداً كان في ريعان شبابه ونعومة عوده فأوتي به وعذب ولما لم ترتخ قوته نقل الى جنينة مبهجة وأقيم بين السوسن والورد بالقرب من منهل عذب وموقع لطيف وتحت أشجار مظللة فبسط على سرير مفروش بانواع الحرير الناعم وربطت يداه بمنديل من حرير أيضاً وترك وحده ثم أرسلت اليه امرأة بغي لتستميله الى تدنيس عفته فاصبح الشاب من ثم معرضاً لخطر مهول لا تستطيع قوة بشرية ان تنقذه منه فان الوسائل المؤدية لهلاكه كانت محدقة به من كل جانب

فاضرمت نعمة الله من محبة الدينيـة في قلبه وأوغرت العناية العلوية صدره بالغيرة والشهامة فقرضـانه بأسنانه وبصقه بوجه تلك العاهرة فهربت منه مذعورة . وقبض في هذا الاضطهاد على اسكندر أسقف بيت المقدس وطرح في السجن فمات فيه وقتل بابيـلاس بطريرك انطاكية مع ثلاثة من شمامسته . ولم تطل مدة ديـيوس على كرسي المملكة فان قبائل القوتيـين من الاقاليم الشمـالية زحفوا على الولايات الرومانيـة وحاربوها واستولوا عليها فالتزم الملك ان يصادمهم بخيوله ورجاله فحاربهم نحو سنتين ثم قتل اثناء الحرب وتنصب ملكاً بدله غالوس قائد جيشه فعقد صلحاًمع أهل الشمـال . وأتحفهم بالهدايا والعطايا لكي يهدأوا ويدعوه يتقلب على فراش حظوظه ولذاته وكان معه قائد يدعى أميليانوس فأخذ على عهدته الحرب معهم وبعد انتصاره عليهم حدثته نفسه بلبس تاج المملكة فلقب نفســه قيصراً فلمـا شـعر غالوس بذلك حاول أن يقهره ويخضعه فقتل أثناء الحرب وحدث أن طاعوناً فشا في زمانه وأهلك اناساً لا يحصيهم الا الله وحـده فخال الوثنيون أن الآلهة ساخطة عليهم بسبب وجود الدين المسيحي وسكوتهم عليه فهاجوا على غالوس قيصر وألزموه أن يصدر أمره باضطهاد النصارى أو يقدموا الذبائح للآلهة لترضى عليهم وترفع عنهم هذه الرزايا وفي اثناء هذا الطاعون أظهر المسيحيون كل نوع من الفضيلة فكانوا يثابرون على عمل الخير ومساعدة أصحاب الفاقة واشتهر بهذا العمل أكثر من غيره القديس كبريانوس أسـقف قرطجنة وصار أنموذجاً للاغنياء والمقتدرين من المسيحيين فساعدوا اخوتهم الذين كانوا يلقون مرضى وأمواتاً وجياعاً في الطرق وعاملوا الوثنيين بالمعروف والاحسان وقابلوا شرهم بالخير

وكان في رومية رجل شيخ اسمه فالريان تسمى قاضياً من طرف المجلس العالي في أيام ديـيوس فلمـا اغتصب أميليانوس القائد المملكة نهض بجيش عظيم لقتاله فـمالت اليـه الجنود وسلموه زمام الملك بدلاً عن ذلك المغتصب وكان ســابور الاول ملك الفرس استولى على بلاد سوريا فزحف اليه فالريان ليتخلص منه هذه البلاد وقبل ان يبارح رومية أقام ابنه غلينوس مقامه وكان شاباً عديم المعرفة لا يدري شيئاً من أمور السياسة أما فالريان فانكسر في الحرب وأخذه ملك العجم أسـيراً وكان يهينه ويحتقره ويلبسه أحسن الثياب الفاخرة للاستهزاء به وكان يستصحبه أينما حل واذا أراد ان يركب فرسه

يلويه على بطنه وداسه برجله جاعلاً اياه سلم ركوبه ولما مات سلخ جلده ودبغه وصبغه باللون الاحمر وحشاه بالتبن ووضعه في هيكل الاوثان .

وكان ابنه غلينوس في هذه الغضون أضرم نار الاضطهاد على النصارى بسبي ساحر وثني وقتل كبارهم فلما حلت هذه الرزايا بوالده تشاءم منها وعلل حدوثها بسبب ما حل على رؤوس المسيحيين من النكبات . ومن الذين ذهبوا فريسة هذا الاضطهاد بكستوس أسقف رومية فان الجنود هجمت عليه وهو مختبىء في السراديب التي كان يجتمع فيها المسيحيون وقت الاضطهاد فقبضوا عليه وساقوه للذبح وفيا كان يسير شاهده شماسه لورنسيوس فهتف باكياً (الى أين تذهب يا أبتاه تاركاً ابنك) فأجابه الاسقف (انك ستتبعني بعد ثلاثة أيام)فتعزى بهذا الكلام وأخذ يتأهب للعذاب موزعا ما تحت يده من أموال الكنيسة على الفقراء فلما بلغ الملك ان الكنيسة ذات ثروة جزيلة ورغب ان يستولى عليها وعلم ان ذلك الشماس هو المؤتمن عليها استحضره وطلب منه خزينة الكنيسة فأجابه الشماس (أي نعم ان كنيستنا غنية وعندها كنوز ثمينة ليس عند الملك نظيرها فامهلني وأنا أريك قسماً كبيراً منها) فأمهله ثلاثة أيام طاف في غضونها الشماس المدينة وجمع الفقراء الذين تعولهم وتهتم بهم الكنيسة ثم مضى للملك وقال له (اتبعني وأنا أريك خزائن كنيستنا فانك سترى أمتعة ذهبية تملأ داراً واسعة) فتبعه الملك ظاناً بانه يحوز أموالاً وافرة فلما شاهد جمهوراً من العميان والمقعدين قال له الشماس مشيراً اليهم (هذه هي الخزائن التي وعدتك بها وهؤلاء هم تيجان الكنيسة ورأس مالها فدونك اياها وتصرف بهذه الاموال كيفما شئت) فاحتدم الملك غيظاً ونظر اليه شذراً فقال له الشماس (مابالك تغتاظ ان الذهب ما هو سوى مادة حقيرة وهو علة لرزايا كثيرة انما الذهب الحقيقي فهو النور الحقيقي الذي يضيء على هؤلاء الفقراء) فقال له القيصر أنت تسخر بي يالورنسيوس وأنا أعلم انك لم تفعل ذلك الا لانك لا تبالي بالموت فلا ترجو ان أميتك سريعاً بل سأطيل عذابك) فضربه بالسياط حتى تهرى لحمه ثم أحمى ساجاً وربطه عليه ليموت مخبوزاً فلما احترق أحد جنبيه التمس ان يحول الى الجنب الآخر فحول ورفع عينيه وصلى ثم أسلم الروح

وفي هذه الآونة استشهد كبريانوس أسقف قرطجنة وكان محبوباً ومعتبراً جداً من المسيحيين والوثنيين أيضاً لكثرة ما فعله مع هؤلاء من الخير وكان اختفى في زمان اضطهاد ديسيوس وظل مختفياً الى ان ملك فالريان فظهر وأخذ يباشر أمور وظيفته وكان بمقته والي المدينة فلم يجسر على ان يضره خوفاً من الناس فطلب اليه ان يترك المدينة ففعل كذلك واستمر بعيداً عنها سنة كاملة ثم عاد اليها بعد ان عزل ذلك الوالي وسكن في بستان قريباً منها وكان الوالي الجديد شر من سلفه فطلب ان يقتله لما رأى من شدة اعتبار الناس له فألح عليه المؤمنون بالطلب أن يختفي فرفض طلبهم اذ كان رأى حلماً وهو في النفي مؤداه أنه مزمع أن يقتل شهيداً فقبض عليه الوالي وسلمه لفرقة من الجند لتقتاده الى منقع العذاب فعلم افراد رعيته بذلك وخرجوا يقتفون آثاره مريدين أن يشربوا كأسه عن بكرة أبيهم وكان بينهم عدد ليس بقليل من العذارى فاوصى القديس الشعب بهن لئلا يلحقهن ضرر واذاء من الجند ولما بلغ الى المكان المعد لقتله خلع عن ذاته ثياب الاسقفية وسلمها لشماس وصلى ثم دفع خمس قطع ذهب للجلاد وربط عينيه بمنديل وقدم عنقه للسياف ففرش المؤمنون ثياباً تحته ليأخذوا دمه بركة فقطعت رأسه وحملت جثته ودفنت باكرام جزيل . وهذا الاب معدود من الآباء الذين تعتمد الكنيسة على أقوالهم وتعاليمهم ومن أمره أنه كان وثنياً فارتد الى الدين المسيحي بعد بلوغه وزواجه وبعد انهماكه في الملاذ مدة طويلة وكان يرى في اقلاعه عن آداب الوثنيين صعوبة كبرى فكان يقول (كيف يمكن الاقلاع عن ملكات تمتقت وصارت كطبيعة ثانية وكيف يتعلم الامساك من اعتاد على مائدة متفننة بالاطعمة اللذيذة) ولما اعتنق الايمان واعتمد من يد سيسيليوس كاهن قرطجنة استحال من صفات الخشونة والفظاظة والكبرياء والشراهة في الاكل والشرب الى صفات حمل وديع وانسان حكيم تقي ولم يمض على قبوله الايمان مدة حتى رسم كاهناً ثم رقى كرسي رئاسة الكهنوت وكرس أسقفاً على قرطجنة وكان يقول كثيراً ما يرى في الناس اثنا عشر صنفاً ممقوتاً وهي (١) حكيم لا عمل طيب له (٢) شيخ لا دين له (٣) شاب لا طاعة عنده (٤) غني لا يتصدق (٥) امرأة لا تحي (٦) شيخ خال من الصلاح (٧) مسيحي لجوج (٨) فقير متكبر (٩)

ملك غير عادل (١٠) أسقف متغافل (١١) قوم لا نظام لهم (١٢) رعية لا سنة لها

وقد ساء تصرف الامبراطور غلينوس وأهمل صالح رعاياه وترك اعداء المملكة تتسلق على الولايات وتستولي عليها بلا مانع ولا رادع فمقته الجند وقاموا عليه وقتلوه واتخبوا مكانه كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠م وكان أحد رؤساء الجيش فسار لقتال القوثيين الذين كانوا شنوا الغارة على سواحل البحر الاسود فقتل اثناء الحرب فبايع العسكر بالملك أورليان في السنة نفسها وكانت بريتانيا وغاليا واسبانيا شقت عصا الطاعة ورفعت راية العصيان فاقتاد جيوشه اليها وحاربها وانتصر عليها وأدخلها تحت طاعته ثم وجه نظره الى ولايات الشرق وبالاخص سوريا فطردمنها الغاصبين فان زنوبيا ملكة تدمر في صحراء بلاد الشام أرملة أودنياتوس الذي كان متحالفاً مع المملكة على حرب الفرس وصد هجماتهم قد كانت قويت شوكتها بعد ان مات زوجها واستفحل أمرها وظلت تتقدم بفتوحاتها حتى مدت يديها الى الديار المصرية واستولت عليها فطردها هذا القيصر من بلاده وانتصر عليها في موقعتي انطاكية وحمص وقبض عليها وأخذها أسيرة الى رومية مقيدة بزناجير ذهبية

وقد عزم هذا الملك أن يصب رجزه على رؤوس المسيحيين غير أن حادثاً سماوياً منعه عن ذلك فانه بينما كان يريد أن يمضي منشوراً يقضي بهلاكهم انقضت صاعقة على رجليه فارتعد منها ثم مات مقتولاً وفي سنة ٢٧٥م جلس على تخت المملكة تاسيتوس من ذرية تاسيتوس المؤرخ الوثني في الجيل الاول وكان على جانب عظيم من العقل والذكاء وشيخاً طاعناً في السن فمات من جراء كثرة الهموم والغموم والاتعاب التي تراكمت على هامته ولم يستمر مالكاً سوى ستة أشهر فاخلفه أخوه فلوريانوس ودعا نفسه أمبراطوراً قبل أن يقر عليه المجلس فانتهز بروتوس قائد جيوش الشرق هذه الفرصة وقاومه بمساعدة المجلس وتولى مكانه سنة ٢٧٧م ومن صفاته انه كان يستخدم عساكره وقت البطالة في عمارة القناطر والجسور وتصليح الشوارع والطرق وفتح الترع فسئموا من هذه الخدم وقاموا عليه وقتلوه فأخلفه كادوس الوالي وكان له ابنان أشركهما معه في الحكم وأصحب معه أحدهما نوميريان والآخر كارينوس

أقامه نائباً في غيابه ولم يصل الى مابين النهرين حتى انقضت عليه صاعقة ومات سنة ٢٨٢م وفي اثناء رجوع الجيش من أسيا مات أيضاً ابنـه قتيلاً وأما كارينوس فلطخ سمعته بالعيوب وارتكب مالم يرتكبه نيرون في زمانه ومع ذلك فانه كان محبوباً من الجميع ما عدا جنود الشرق فانها أبت أن تؤدي له الطاعة ونادت باسم قائدها ديوكليتيان الذي كان في أول أمره فلاحاً من أهل دلماتيا ثم ارتقى باجتهاده الى رتبـة قائد جيش فوقع من ثم النزاع بين عساكر الولايات الشرقية والغربية ودارت رحى الحرب بين الفريقين واقتتلا حتى ظفر الفريق الاول بالثاني فأصبحت من ثم الحكومة بجملتها في يد ديوكليتيان ولما كانت الحكومة وسيعة الاطراف اشرك هذا الامبراطور معه صديقاً له مخلصاً يدعى مكسيميانوس وساواه بنفسه وجعل مقر كرسيه في ميلان وسلطه على ايطاليا وأفريقيا وكان هذا على جانب عظيم من الخشونة وفظاظة الطبع فانه أباد فرقة مسيحية من الجنود تشتمل على ٦٦٦٦ عسكرياً بسبب كونها لم ترض ان تضحي للاصنام وأبت ان تساعده على قتل المسيحيين وجاء بنفسه الى بلاد مصر وضايق على نصاراها وسخط على الاب بطرس البطريرك وأمر بقتله فقتل وفي هذا الاضطهاد الذي أضرم نيرانه في بلاد مصر مات من نصاراها نحو ٨٤٠٠٠ واحداً

الآخر للانتصار لاحد الفريقين واجتمع المجمع في قاعة متسعة في ساحة انقصر الملكي حيث أعدت لهم الكراسي وأعد كرسي من ذهب للملك في صدر القاعة فلم يشاء ان يجلس عليه بل جلس على كرسي آخر في طرف القاعة حتى أشار عليه الآباء ان ينتقل من مكانه ويجلس على الكرسي المعد له ففعل وجلس الآباء العمد عن يمينه وشماله والجمهور على جانبي القاعة ولما جلس كل واحد في مكانه انتصب أوسابيوس أسقف قيصرية المؤرخ الشهير وارتجل بخطاب اثنى به على همة الملك وشكر مساعيه في صالح الكنيسة وقبل انعقاد أول جلسة حدثت مجادلات عنيفة ومحاورات شديدة اللهجة بين كل من حزب اريوس واعضاء المجلس وكان بين هؤلاء المناضلين عن الايمان القويم أثناسيوس شماس اسكندر البطريرك الاسكندري فاشتهر بالعبارة البليغة والمعاني الدقيقة والاجوبة السديدة حتى استحق حين انعقد المجمع رسمياً أن ينتاب فيه مناب معلمه الذي شيخوخته كانت تمنعه عن أداء أمور كثيرة ولما افتتح المجمع منح الملك الحرية لأعضائه لكي يتفاوضوا في أمر الايمان معتبراً أن الأساقفة مقامون من الله قضاة لامور الدين غير أنه التمس على كل حال أن يجري الاتفاق على رأي واحد محتسباً أن اتفاقهم هو أمر الهي فكثر الاخذ والرد في اليوم الاول وطال النزاع وعلت الضوضاء وأرفضت الجلسة على غير طائل وفي اليوم الثاني قدم أريوس تجاديفه بورقة فقرأها أعضاء المجلس ومزقوها فأحدث حزب اريوس بسبب تمزيقها خصاماً عنيفاً اضطر القيصر ان يستعمل شيئاً من قوته حفظاً للنظام والامن في المجمع فاسكن الهرج وأسكت الثائرين وبعد مفاوضات طويلة ومداولات كبيرة قرر المجمع وعدة أعضاؤه ثلاث مئة وثمانية عشر أسقفاً على أن المسيح هو ابن الله حقاً وأنه مساو لابيه وهو اله حق دائماً مع أبيه فسلم الحزب الاريوسي بهذه العبارة من غير أن يقلعوا عن ضلالهم اذ وجدوا سبيلاً لتحريف معناها فلما كشف الحاذقون من الاعضاء نواياهم الخبيثة وزيفوا ضلالهم وأظهروا أن تسليمهم بقبول ما قرره المجمع انما هو من قبيل الدهاء والمكر اضطر من ثم المجمع أن يعبر عن وحدة الطبيعة الالهية وعدم انقسامها بلفظة المساوي بالجوهر فصارت هذه العبارة دستوراً يميز القويمي الرأي من غيرهم ثم كتب المجمع قراره فأمضاه سائر الاعضاء عن رضى وقبول ما عدا

رهط قليل من حزب أريوس فانقضت على رؤوسهم من المجمع صواعق الحروم هم واريوس وجردوا من وظايفهم الكهنوتية وكتب قرار بابعادهم من كراسيهم فأمر الملك بتنفيذه فنفي اريوس الى اليريكون وأما أوسابيوس وثاوغنس فندما على ما فعلا وتابا الى المجمع فردهما الى كرسيهما

(٣) ان المسائل المهمة التي فصل فيها هذا المجمع عدا مسألة اريوس هي انه أولا نظر في أمر ملاتيوس الاسيوطي أسقف ليكس الذي قاوم بطرس الشهيد البطريرك الاسكندري ونازعه منازعة أدت بالبطريرك ان يقطعه من شركة الكنيسة كما مر بنا فبحث المجمع في أمره وقرر ان يعطي له لقب الاسقفية فقط بغير ان يتعاطى سلطان الكهنوت أو يشرطن أحداً أو ينتقل من مركزه الى مكان آخر فلم يرض الملاتيون أشياعه بهذا الحكم واستمروا منشقين ينازعون بطاركة الاسكندرية سيما أثناسيوس كل مدة بطريركيته فانهم اتحدوا مع الاريوسيين وصاروا يبثون ظلماً بين الارثوذكسيين واستمروا يفعلون ذلك الى ان انطفأت شيعة اريوس وباد ذووها ثانياً ان المجمع أنهى الانشقاق الذي كان حاصلاً بين أساقفة آسيا الصغرى وسيحي رومية بسبب تعييد عيد الفصح فحكم بأن يعيد المسيحيون قاطبة هذا العيد يوم الأحد الذي يلي البدر الذي يكون فيه عيد اليهود والا يعيد النصارى عيدهم قبل فصح اليهود ولا فيه لئلا يشترك أولئك مع هؤلاء في العيد ثالثاً انه حسم النزاع الذي كان حاصلاً بين أساقفة أفريقيا وآسيا الصغرى وأسقف رومية ونصاراها على معمودية الهراطقة فحكم بمعمودية واحدة وحدد ألا يقبل بعض من الهراطقة الا بالمعمودية لان معموديتهم هي غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس وذلك بخلاف ما كان يرتأيه أسقف رومية وذووه وقرر ان يقبل البعض الآخر بلا معمودية لكون المعمودية التي نالوها من الكنيسة الارثوذكسية ليست فاسدة ولا ممنوعة من أرائهم ثالثاً ان المجمع حكم على ذوي الكهنوت ان يكونوا متزوجين وقد كان ارتأى اعضاء المجمع بعكس ذلك أي ان يكون الكهنة بأجمعهم بتوليين وكاد يتم هذا الامر لو لم ينتصب في وسط المجمع بفنوتيوس أسقف الصعيد الذي كان بتولاً ويقاوم هذا الرأي بقوله (انه لا يجب التثقيل على ذوي الكهنوت بهذا المقدار لئلا يتأتى ضرر

للكنيسة بدل النفع) فعدل المجمع عن رأيه وقبل اشارة هذا الاسقف المطوب وحكم بوجوب واكتفى بمراعاة العادة القديمة وتأييدها . وحرم الزواج الثاني على ذوي الكهنوت فقط

(٤) وقد سن المجمع عشرين قانونا فقط لم تزل بحمده تعالى موجودة الى الآن بغاية الصحة والضبط بدون أن يطرأ عليها أدنى تحريف ويشهد لصحة هذه القوانين النسخ اليونانية واللاتينية والترجمات العربية التي تتداولها الآن خصوصاً الترجمة العربية القديمة المعروفة بالنسخة الاسكندرية والمسيحيون يتنازعون الآن على عدد هذه القوانين فالغربيون منهم أي اللاتين أو بالحري الكاثوليك يدعون ان عددها ثمانون قانوناً ويستدلون على اثبات هذه الدعوى ببعض النسخ العربية الموجودة في الكنائس الشرقية التي تحوي عدد هذه القوانين وغايتهم واضحة في محاولتهم اثبات ... قانوني (٣٧ و ٤٤) من هذه القوانين المرتاب فيها يتضمنان تقدم أسقف ... على غيره من أساقفة القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية أما الشرقيون فيدحضون هذه الدعوى بما هو (أولا) ان الكنيسة القديمة الجامعة لم تسلم الا بالعشرين قانوناً وشاهدهم هو أن اساقفة رومية بما فيهم البابا زوسيموس اجتهدوا في القرن الخامس كما سنذكر ذلك في مكانه ان يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا (التي توجب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا الروماني) كقوانين مجمع نيقية فقاومهم مجمع أفريقيا المنعقد من ٢٢٠ أسقفاً سنة ٤١٩م وأثبت العشرين قانوناً بما استحضره من نسخ المجمع النيقاوي الصحيحة من الاسكندرية والقسطنطينية (ثانيا) ان المؤرخين الاولين لا يسلمون بأكثر من العشرين قانوناً فان ثيودريتس في تاريخ الكنيسة (مجلد ١ ف ٨) وجيلاسيوس (ج ٢ ص ٣١) يؤكدان بكل وضوح ان عدد القوانين النيقاوية عشرون قانوناً فقط . وقد قال العلامة يعقوب مردوك في حاشية له على تاريخ موسهيم (انه في القرن السادس عشر أتي من الاسكندرية الى رومية بنسخة عربية تحتوي على ثمانين قانوناً من جملتها هذه العشرون فترجمت حالاً وطبعت فحصل ريب ولكن في برهة وجيزة اقتنع كل العلماء بأن الستين قانوناً الزائدة لم تكن من الاصل النيقاوي (ك ٢ ق ٢ ف ٥) ثالثاً ان مضمون بعض القوانين العشرين ينفي غاية الكاثوليك في بعض القوانين الثمانين فان قوانين ٤ و ٥ و ٦ و ٧) من

الأول فضلاً عن كون كل واحد منها يقضي بمساواة رؤساء الابرشيات بعضهم لبعض بلا امتياز وهذا بخلاف ما يريده الكاثوليك بقانوني (٣٧ و ٤٤) من الأخر فانه ضد العادة المرعية عندهم اليوم بأن كل أسقف بل ان كل بطريرك من بطاركة الطوائف التابعة لهم محتاج الى تصديق من البابا دون غيره واليك نص تلك القوانين الموما اليها

(القانون الرابع) ينبغي ان يقام الاسقف على الخصوص من جميع أساقفة الابرشية فان كان هذا عسر اما لضرورة شديدة أو لبعد المسافة فلابد من اجتماع ثلاثة معاً بعد اشتراك الغائبين في الاصوات وموافقتهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية أما تثبيت الاجراآت فنوط في كل أبرشية بالمتروبوليت

(القانون الخامس) لقد رأينا حسناً ان تعقد مجامع في كل ابرشية مرتين في السنة لكي تفحص أمثال هذه المسائل باجتماع عمومي من جميع أساقفة الابرشية

(القانون السادس) لتحفظ السنة القديمة التي في مصر وليبية والخمس مدن بأن تكون السلطة على هؤلاء كلهم لاسقف الاسكندرية بما ان هذه العادة مرعية للاسقف الذي في رومية أيضاً ومثل ذلك ليحفظ التقدم للكنائس في انطاكية وفي الابرشيات الأخر وبالاجمال ليكن واضحاً ان كل من صار أسقفاً بلا رأي المتروبوليت قد حكم المجمع الكبير انه لا يجب ان يكون أسقفاً وأما اذا قام اثنان أو ثلاثة عن عناد شخصي لصوت الجميع العام رغماً عن كونه مصيباً وموافقاً للقانون الكنائسي فليعمل بصوت الاكثرين

(القانون السابع) بما انها جرت العادة والتسليم القديم ان يكون الاسقف الذي في آلية (أورشليم) ذا كرامة فلتكن له التبعية في الكرامة مع المحافظة على رتبة المتروبوليت الخاصة بها

ومن الواضح ان هذه القوانين سنها المجمع تحت ضرورة وهي ان بعض الاساقفة كانوا داسوا حقوق الاساقفة المتولين المراكز العظمى الرسولية سيما ملاتيوس الاسيوطي الذي كان قطعه القديس بطرس بسبب هرطقته فساقه عناده الى ان تعدى على حقوق البطريرك وصار يقيم شرطونيات بلا رأيه فلذلك جدد المجمع هذه

الحقوق المداسة وجعلها مرعية في دائرة البطريركية الاسكندرية كما ان حقوق أسقف رومية وحقوق أسقف انطاكية وحقوق أساقفة آخرين كانت لا تزال مرعية في مراكزهم

ترجمة الاب اثناسيوس البطريرك العشرون سنة ٣١٨ م — ٣٦٤ م

(١) طفولية هذا الاب وارتقاؤه الى الدرجات الكنيسية (٢) مقاومته للهراطقة وادعاؤهم عليه بالتهم الباطلة (٣) نفي قسطنطين الكبير له (٤) رجوعه وطرد قسطنس له مرة ثانية ورجوعه وهروبه مرة ثالثة (٥) محاولة يوليانوس الكافر ثم فالنس الاريوسي قتله ونجاته (٦) هدايته للحبشة

ولد اثناسيوس بمدينة الاسكندرية قرب ختام الجيل الثالث ومن أمره انه كان ابن أبوين عريقين في الاصل والاعتبار والشرف فلما مات والده ولم يصل بعد الى درجة البلوغ وبقي وحيداً لامه اجتهدت هذه بتربيته وحين بلغ رشده حاولت ان تستميله الى الاقتران بزوجة بطرق مختلفة فلم تنجح في مسعاها لان ولدها كان عاشر شبان المسيحيين الذين كان بعضهم يعيش طوعاً في البتولية طول عمره وتعلم من آدابهم وخشوعهم وصيانتهم وعشقهم للطهارة والعفة وسعى ان يدخل في زمرتهم الدينية وينتظم في سلكهم ويترك عبادة أهله الوثنية فلما اطلعت والدته على هذه النوايا الحسنة ورأت انها عبثاً تجتهد في اقناع اثناسيوس جاءت به الى القديس اسكندر البطريرك يومئذ على كرسي الاسكندرية وطلبت ان تدخل هي وابنها في الدين المسيحي فلبى طلبها وكان البطريرك رأى من اثناسيوس نجابة وأدباً وحشمة وفطنة فائقة فطلب ان يكون من ضمن التلامذة المقربين اليه والشمامسة القائمين بخدمة كنيسته فتركته والدته عند القديس اسكندر وفي مدة قصيرة رسمه شماساً ثم رئيس شمامسة ولما رقي هذه الدرجة الفاضلة برز الى ميدان المكافحة مع أعداء الايمان الارثوذكسي وأخصهم اريوس المنافق ولما ذهب القديس اسكندر الى مجمع نيقيا بدعوة الملك قسطنطين

الكبير واصحب معه هذا الشماس الفاضل فكان هو الآخذ على عاتقه المحاماة عن الايمان المستقيم والمتكفل دون سواه بالرد على كافة أدلة فلاسفة اريوس وبراهينهم الكاذبة فأظهر من الغيرة الارثوذكسية في احتجاجه ودفاعه عن الايمان ما لا يستطيع القلم ان يصفه حتى أدهش الآباء بحذاقة لبه وسلامة فكره وانتصر على أخصامه الاريوسيين وأيد أزلية الابن مع أبيه وروح قدسه . وحدث ان القديس اسكندر توفي من بعد رجوعه من المجمع الى كرسيه بخمسة أشهر على رواية أو بخمسة عشر يوماً على رواية أخرى وكان قبل وفاته أوصى الشعب ان يجعلوا اثناسيوس خليفة له وتنبأ على انه مزمع ان يهرب من البطريركية وان هربه لا يجديه نفعاً فانه لا بد ان يرقى كرسيها طوعاً أو كرهاً وبعد وفاة هذا القديس اجتمع الشعب حالاً واختاروا اثناسيوس بطريركا فحاول النجاة من ذلك بهربه ولكن بدون فائدة فان الاساقفة جميعهم كانوا وقعوا على انتخابه وأثبتوه فاضطر ان يقبل الارتقاء الى مقام البطريركية وكرس وهو ابن ٢٨ سنة من عمره في شهر برموده سنة ٣١٨ م

(٢) ولم يرق هذا المنصب العالي حتى أحدقت به المخاطر من كل جانب وبدأت الرزايا والاتعاب والتجارب تنهال عليه من كل جهة وسبب ذلك هو أن قسطنديا شقيقة الملك أوصت أخاها وهي على آخر نسمة بكاهن اريوسي كان أب ذمتها وكانت تعتني به دائماً فلما حصل هذا القس على التفات من الملك اقنعه بمساعدة أوسابيوس أسقف قيصرية بأن اريوس نفي ظلماً لان ايمانه لا يختلف بشيء عن ايمان المجمع فانخدع الملك لريائهم وأعاد اريوس من منفاه وأمره ان يكتب صورة اعترافه فكتب له اعتراف ايمان ملتبس المعنى وطلب اليه ان يعيده الى مركزه فأرسله مزوداً برسالة الى الاساقفة بأورشليم ليتوسطوا لدى القديس اثناسيوس في أمره فقبلوه في شركتهم واكراماً لخاطر الملك أرسلوه الى الاسكندرية وبيده رسائل منهم ومن الملك الى البطريرك يسألونه ان يقبل اريوس لانهم قبلوه هم أيضاً فرفض القديس هذه الطلبات واعتبر قبول الاساقفة والملك له مخالفاً لناموس الكنيسة وطرد هذا الذئب المتزيي بزي الخروف من الكنيسة فقفل راجعاً الى الملك بالخيبة أما اثناسيوس فبادر حالا وخاطب الامبراطور برسالة قال له فيها انه لا يمكنه ان يقبل في كنيسته رؤوس

المراطقة المحرومين من المجمع النيقاوي وان الكنيسة عموماً لا تقبل في شركتها اناساً ينكرون ألوهية يسوع المسيح . فظن الملك انه يفعل ذلك عن حقد على اريوس وتهدده بالنفي وفوق ذلك ان سفارة من حزب ميليتيوس حضرت من الاسكندرية عند الملك ووشت باثناسيوس انه يجمع ضريبة من المصريين ويدفعها الى فيلومنتوس عدو الحكومة الذي كان عازماً ان يملك بلاد مصر وأقاموا ثلاثة شهود ادعوا ذلك فاستدعى الملك اثناسيوس ليحتج عن نفسه فحضر الى نيكوميدية وكذب كل ما قرفه به أعداؤه بالبراهين والادلة وبشهادة كاهنين معتبرين كان لهما معرفة بحقائق الامور فسر الملك به سروراً بليغاً ورده الى كرسيه محفوفاً بالتجلة والاكرام ففرح بعجيئه الارثوذكسيون بمقدار ما حزن الهراطقة الميليتيون والاريوسيون الذين أخذوا يختلقون عليه من جديد دعاوي أخرى وهي انتهاك حرمة الاسرار المقدسة واقتراف اثم الفسق مع بتول والقتل والسحر فقدموا شكواهم عليه الى الملك ولكن نظراً لكون افترائهم الاول لم تثبت حقيقته أعرض عن سماع هذه الاباطيل والحكم فيها وفوض حلها الى أخيه دلماتيوس الذي كان وقتئذ في انطاكية فاستدعاه ليحتج عن نفسه ويبرئ ذاته مما قرفه به أخصامه فسافر الى انطاكية حيث قدم للملك المستندات والادلة القوية التي جعلت له مقاماً رفيعاً ومنزلة سامية لديه وغطت أوجه المدعين عليه بستار الخجل والعار وعاد مزوداً بمرسوم ملوكي الى مركزه فلم يقتنع الحزب الميليتي والحزب الاريوسي بما نالهم من الفضيحة فعمدوا الى طريقة أخرى وهي انهم استدعوا الاساقفة الى مجمع في قيصرية فلسطين واذ كان اثناسيوس عالماً مكيدتهم أبى الحضور فأجبر من قبل الملك ان يحضر الى المجمع بعد ما انتقل الى مدينة صور فخضع لامر الملك وانطلق الى المجمع وكان المتقدم فيه أوسابيوس أسقف قيصرية ولما رأى الاساقفة الارثوذكسيون ان اثناسيوس لم يسمح له ان يجلس معهم بصفة أسقف بل وقف امام المجمع بصفة رجل مذنب مع انه كان ينبغي ان يكون هو المتقدم فيه نظراً لاهمية مركز بطريركيته الدينية والمدنية يومئذ خرجوا من المجمع ذارفين العبرات فبدأ من ثم أخصام اثناسيوس يقدمون عليه دعاويهم الباطلة وهي أولا انهم قالوا ان كاهنا يسمى مكاريوس من كهنته كسر كأس التقديس لقس يدعى أسكيرا وهدم مذبحه

بأمر اثناسيوس لكن قد تفندت هـذه الدعوى فان أسكيرا الذي كان من الحزب الاريوسي حالما ندم تائباً اعترف بتزوير ماادعاه أخصام اثناسيوس ثانياً قالوا انه قتل أسقفاً يدعى أرسانيوس من القطر المصري وذلك انهم اتفقوا معه ان يسافر سراً الى أمكنة بعيـدة ويختفي بدون ان يدع أحداً يعلم به فلما اختفى تظاهروا انهم يفتشون عليه واذ لم يجدوه أخذوا ينوحون عليـه مشيعين أن اثناسيوس قتله وقطع ذراعه اليمنى ليستعملها في الرقاء والسحر واثباتاً لادعائهم هذا صنعوا علبة وأودعوا فيها ذراع رجل ميت وزعموا انها ذراع ارسانيوس فلما قرفوه بهـذه التهمة أمام قسـطنطين وأحيل النظر فيها الى دلماتيوس أخيهوأخبر هذا اثناسيوس بما ادعاه عليه أخصامه أمر اثناسيوس أساقفتـه ان يفتشوا على ارسانيوس حتى اذا وجدوهوعاينوه أرسلوا شـهوداً بذلك لتتبرأ ساحـة رئيسهم . الثالثـة أنهم أغروا احـدى النساء العاهرات وصـيروها أن تتهم خصمهم باقتضاض بكوريتها فدخلت المجمع ووقفت في وسطه وبدأت تهتف انها كانت ابنة عذراء مكرسة ذاتها لخدمة الله وأن اثناسيوس بينما كان مجتازاً في السفر نزل في بيتها واغتصبها على فعل الزناء فنهض تيموناوس أحد كهنة الاسقف المذكور للحال ووقف في وسط المحفل مخاطباً اياهاكأنه اثناسيوس وقال كيف يمكنك ان تتجاسري على ان تقولي اني نزلت في بيتك واني قهرت ارادتك بفعـل الدنس فلما لم تكن المرأة تعرف اثناسيوس شخصياً ظنت انه هو المخاطب لها فأجابته بجسارة وعدم حياء أي نعم انك أنت بذاتك قد أغصبتني ودنست عرضي وأفسدت بكوريتي . فقد كان كافياً هذا الامر الذي دبره الله لردع أخصامه وتفشيق دعاويهم لكن قد ازدادوا وقاحة بتجديد دعوى قتل ارسانيوس المار ذكرها والتي كشف غطاء تزويرها أمام دلماتيوس الملك فلكي ينصر الله صفيه في هذه القضـية الأخرى دبر بحكمته المطلعة على المكنونات أن يحضر ارسانيوس في تلك الليلة وكيفية ذلك هيأنهلما أقلع عن ضلال أخصام القديس وندم على ما اقترفه منه اشتاق ان يقابل اثناسيوس فجاء من أبرشيته الى الاسكندرية واذ لم يجده فيها جاء الى صور فلما رآه اثناسيوس أعطى مجداً لله فوضعهفيمكان خفي قريبمن المجمع اذ كان عالماًأن أخصامه عازمون ان يوردوا تهمة قتله فلما حضر في اليوم الثاني ضرب أخصامه صفحاً عن

ذكر قضية المرأة وأوردوا في الوسط ذكر قضية ارسانيوس بصورة شديدة مقدمين علبة فيها ذراع ويد رجل ففتحوها وبدأوا يظهرونها لواحد بعد آخر من الاعضاء وهم يشيرون الى أثناسيوس قائلين ان هذا الذراع هو المشتكي ضدك يا أثناسيوس وهذه اليد هي يد ارسانيوس فيلزمك ان تقول لنا كيف ولأية علة قطعتها . فبعد سكوت قليل قام القديس في الوسط وأجاب بوداعة وحشمة سائلاً هل يوجد أحد بينكم يعرف شخص ارسانيوس أسقف (أبيالا) فاجابه كثيرون منهم بأنهم قد نظروه ويعرفونه حق المعرفة فأرسل للوقت رسولاً احضر ارسانيوس مستور الذراعين بردائه واوقفه في الوسط سائلاً من اعترف بمعرفته ان كان هذا هو ارسانيوس أم لا فالتزم أن يقر جميعهم أنه هو بذاته فرفع حينذاك الرداء عن كتفي ارسانيوس كاشفاً ذراعيه وقائلاً هو ذا ارسانيوس بذراعيه ويديه فمن شدة ما حاق بأخصامه من الخزي والخجل طفقوا يضجون بضوضاء ان أثناسيوس هو سحار قد أظهر بقوة سحره ارسانيوس قالوا ذلك وهجموا عليه مريدين ان يقتلوه فبادر معتمد الملك وخلصه من أيديهم . فلما رأى القديس ان حياته أصبحت في خطر الموت ترك المجمع وفر هارباً الى القسطنطينية ليخبر الملك بما كان فانتهز اعضاء المجمع فرصة هربه وحكموا عليه بالعزل من كرسيه وكتبوا قراراً بذلك وأرسلوه الى سائر الكراسي . وعبثاً سافر اثناسيوس الى العاصمة وبلا طائل فان الجنود بأمر قسطنس بن الملك لم تمكنه من ان يقابل أباه وحدث ان الملك كان ذات يوم يجول في المدينة فلما رام ان يدنو منه دفعته الجنود فهتف بصوت عال قائلاً . أيها الملك أسأل جلالتكم ان يحضر الذين حكموا عليّ لكي احتج عن نفسي

(٢) فأجاب الملك طلبه وأمر بأن يحضر مجمع صور عنده فحضر وبدلاً من أن يورد أخصام أثناسيوس التهم التي زهق بطلها في صور اخترعوا شيئاً جديداً وقالوا للملك أن أثناسيوس قصد أن يمنع كل ما كان يرد من مصر الى العاصمة من القمح والشعير فصدق الملك هذه التهمة وظن من جهة أخرى أن القلاقل والانزعاجات لا تنتهي من الاسكندرية الا اذا أبعد أثناسيوس منها فأمر بنفيه الى مدينة (تريفير) في المانيا وقيل في فرنسا لخضع لأمره وذهب الى منفاه حيث التقاه أسقف تلك الجهة

وقابله قسطنطين الصغير قائد الجنود الغربية بالاحتفاء والاكرام . ففرح الاريوسيون بهذا الانتصار الغريب وطلبوا من الملك ان يصدر أمره بأن ينطلق اريوس الى مركزه في الاسكندرية ففعل ذلك ولما ذهب اريوس الى الاسكندرية ثارت النخوة في رؤوس الاثوذكسيين وقفلوا أبواب الكنائس في وجهه وأحدثوا شغباً في المدينة فخاف الوالي من سوء عاقبته وأمر اريوس بالخروج منها حالا فذهب الى القسطنطينية وسعى ان يشترك مع القديس اسكندر بطريركها فرفض طلبه فاستعان برجال البلاط الملكي وبالملك نفسه على الدخول الى الكنيسة والاشتراك بالصلوة مع الكهنة الارثوذكسيين فتضايق ذرع البطريرك من كل جهة وكان يومئذ القديس يعقوب أسقف نصيبين أحد اعضاء مجمع نيقيا في المدينة فأشار على القديس اسكندر ان يصوم هو والكهنة سبعة أيام وفي نهاية هذه المدة كان اليوم المعين لاشتراك اريوس في الخدمة الكنيسية فزحف بموكب حافل تتقدمه العساكر الى الكنيسة وكان حينئذ البطريرك منحنياً امام المذبح يذرف العبرات طالباً من الله ان ينقله من هذه الحيوة قبل ان يرى اريوس مشتركاً مع القويمي الرأي فبينما كان اريوس سائراً بهذا الاحتفاء في أعظم شوارع المدينة مع أصحابه أصابه بغتة اسهال شديد فقذف من جوفه مواداً كثيرة حتى أمعاءه كلها ومعها خرجت نفسه الشريرة فاقشعر الناس من هذا المنظر الفظيع وأيقنوا بأنه جوزي بشر كفره

(٤) وكان القديس انطونيوس كوكب البرية طلب اليه أرثوذكسيو مصر أن يتوسط لدى الملك في ترجيع أثناسيوس من النفي فحرر له رسالة بذلك فلم تأت بجدوى وفوق ذلك أن الملك قال للقديس برسالة أن اثناسيوس رجل جسور ومتكبر وعناتي فلما حل بأريوس هذا الانتقام الالهي قصد الملك أن يرد اثناسيوس من نفيه فأدركته الوفاة قبل أن يدرك هذا المنى فاقتسم ولداه المملكة بينهما فاستولى قسطنس الاريوسي على الشرق واما قسطنطين القويم الرأي فملك على الغرب واستدعى اثناسيوس وطيب خاطره وزوده برسالة وبعث به الى شعبه في الاسكندرية مجللا مكرماً . وكان حزب اريوس يقوى من يوم الى آخر فحاولوا ان يطردوا اثناسيوس عدوهم الالد من مركزه وتساعدوا على بلوغ مرامهم هذا بيوليوس اسقف رومية وقدموا له شكاوي منها انه

رجع الى كرسيه بلا قرار مجمع فبعث الاسقف الروماني بصورة هذه الشكاوي الى أساقفة مصر ليروا رأيهم فيها فاجتمع في الاسكندرية ثمانون أسقفاً وكتبوا منشوراً الى أساقفة المملكة يحتجون عن رئيسهم ويكذبون ماعزي اليه من المطاعن والاكاذيب وأرسلوا نسخة منه الى الاسقف الروماني . أما الاريوسيون فعقدوا مجمعاً في انطاكية تحت رئاسة اوسابيوس نصير اريوس الذي كان أسقفاً على القسطنطينية وقتئذ حكموا فيه بخلع اثناسيوس وأقاموا بدلاً عنه رجلا عاتياً يدعى غريغوريوس الكبادوكي فجاء هذا ورفقته فيلاغورس معتمد الملك بجند الى الاسكندرية ولما رآه الشعب حلول الجند أن يفتكوا بافراده وانتهز الفرصة رعاع اليهود وعبدة الاصنام ووشوا المكر وهيجوهم على الشعب فطيشوا به ودنسوا الاماكن المقدسة بالقتل والفتك ودنسوا العذارى المكرسات ذواتهن لخدمة الله وهجم البطريرك الدخيل على كنيسة يوم جمعة الآلام وقبض على أربعة وأربعين عذراء عراهن وضربهن بالسياط وقتل عدداً وافراً من الشعب قاصداً بذلك ان يقتل اثناسيوس وقد كان هذا هرب قبل الفصح الى رومية ليؤيد احتجاجات مجمع أساقفته و يبرر نفسه مما رشقه به أخصامه فلما وصل الى رومية عقد أسقفها مجمعاً مؤلفاً من ٧٠ أسقفاً وطلب ان يحضر فيه مجمع انطاكية فلم يجب دعوته واعتبرها تعدياً منه فحكم المجمع ببراءة اثناسيوس استناداً على قرار مجمع الاسكندرية . وحدث بعد ذلك ان أساقفة كثيرين شرقيين اجتمعوا في انطاكية لتكريس كنيسة (الذهبية) فعقدوا مجمعاً فيها استمر ثلاث سنوات وسنوا خمسة وعشرين قانوناً صدقت عليها بعد ذلك المجامع المسكونية وحكموا على بدعة اريوس لكنهم لم يصرحوا بموافقة دستور الايمان النيقاوي فانعقد مجمع آخر من الغربيين والشرقيين في (ميلان) رفض قرار المجمع الانطاكي وأثبت دستور الايمان النيقاوي وهكذا انشقت الكنيسة الى شطرين الامر الذي حمل القيصران قسطنس امبراطور الشرق واخوه قسطنطين امبراطور الغرب ان يتفقا على ان ينعقد مجمع مسكوني في (سرديكي) من اقليم الليريكون ليحسم هذه الشرور الكثيرة ويرجع السلام للكنيسة ولما اجتمع الاساقفة من كلا الفريقين تحت رئاسة أوسيوس الشيخ الجليل الاسقف الاسباني طلب الغربيون ان يكون اثناسيوس عضواً في المجمع فأنكر عليهم الشرقيون

ذلك فوقع النزاع بين الفريقين وافترق الاريوسيون من المجمع وذهبوا الى (فليبه) واجتمعوا بصفة مجمع أثبتوا فيه قرار مجمع انطاكية وحكموا على اثناسيوس وغيره وفعل مجمع سرديكي بعكس ذلك ومنح ايوليوس أسقف رومية نظراً لما أظهره من الثبات في الايمان القويم حق استئناف الحكم على الاساقفة اليه وعزل غريغوريوس الكبادوكي وأمر برجوع اثناسيوس الى كرسيه فلما أحس مجمع (فليبه) بهذا الحكم أهاج قسطنس ضد القويمي الرأي فنفى كثيرين منهم وأمر والي الاسكندرية أن يضع حرساً على أبواب المدينة كيلا يدخلها اثناسيوس فالتزم من ثم هذا ان ينفرد في احدى مدن (تراكيا) للعبادة الى أن دعاه الملك قسطنطين الى مدينة اكويلا وزوده برسالة الى أخيه في انطاكية شديدة اللهجة هدده فيها بالحرب ان لم يأمر برجوع اثناسيوس الى كرسيه فلما وصل القديس الى انطاكية طلب اليه الملك أن يعطي كنيسة واحدة للاريوسية في الاسكندرية فقال له نفعل ذلك بشرط أن يعطونا كنيسة واحدة في انطاكية فتعجب الملك من هذا الجواب ورجع عن طلبه ثم سمح له بالرجوع الى مركزه وكان الدخيل توفي قبل ذلك بقليل فلما جاء اثناسيوس الى الاسكندرية استقبلته رعيته بما يليق له من الاكرام والاحترام فأخذ يحارب تعليم اريوس ويخلع الاساقفة الاريوسيين ويصنع غيرهم أرثوذكسيين وظل يفعل ذلك الى ان استقل قسطنس بالمملكة فبدأ يحارب مستقيمي الرأي ولا سيما اثناسيوس لجمع عليه مجمعاً في (اريلاتي) من فرنسا وأجبر اعضاءه ونواب البابا على الحكم ضده وعقد بالتماس البابا مجمعاً آخر في ميلان من نحو ثلاثمائة أسقف نفى الذين لم يرضوا بالحكم على اثناسيوس ومنهم البابا ليباريوس وأقام على كرسي الاسكندرية رجلا عاتياً اسمه جاورجيوس وأبرز أمراً الى والي مصر كي يحجز عن القديس العلائف التي كان والده عينها للبطريركخانة وان يدفعها للاريوسيين الامر الذي لم يبال به القديس بل ظل مثابراً على اكمال شؤون وظيفته بهمة رفيعة ولكن تعقب ذلك مجيء قائد الى المدينة يدعى سيريانوس ادعى انه آت من طرف القيصر لطرد اثناسيوس فلم يزعجه هذا الخبر وكان ذات يوم محتفلا بصلاة الغروب مع شعبه فدخل القائد بجنده عليهم مجرداً سيفه فأخذ القديس ...

وهو واقف في كرسيه في اخوص الى شعبه ان يمضي كل واحد منهم الى بيته واخذ الاكليروس يتوسلون اليه ان يهرب أما هو فكان يجيبهم ان نفسي عندي ليست أعز من نفس أحد من الشعب فاني لا أهرب وأشاهد رجلا منهم لكن لما رأوا ازدياد الخطر ازلوه جبرا من الكرسي والزموه ان يهرب فاجتاز بطريقة عجيبة بين العسكر بدون ان يراه أحد منهم وأما الجند ففتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فأرسلوا للملك يشكون من الظلم الذي أوقعه بهم سيريانوس فبدلاً من ان يلبي الملك شكوى الشعب ويرثي لحالهم مدح ماعمل فلما نجا اثناسيوس من الموت ذهب الى برية تيبايس وانفرد فيها متعبداً ومعاشراً للرهبان ومجارياً اياهم بالسيرة المقدسة وقد الف في هذه الامكنة عدة رسائل فند بها تعليم اريوس فاستمر مبتعداً عن كرسيه خمس سنوات وحدث ان الاريوسيين اختلفوا فيما بينهم في المذهب فعقد القيصر مجمعاً في (سيرميوم) قرر فيه قرار يوفق بين مذهب الارثوذكسيين وأخصامهم بحذف لفظة (الجوهر) من القانون النيقاوي وأجبر ليباريوس ان يوقع عليه فعقد القويمو الرأي مجمعاً في (اجان) ثبتوا فيه الدستور النيقاوي وعقد أصحاب المذهب المتوسط مجمعاً في (انكيرا) ايدوا فيه دستور مجمع انطاكية ومجمع سرميون واقنعوا القيصر ان يعقد مجمعاً آخر في سرميون فاجتمع الى هذه المدينة الاساقفة وأيدوا قرار مجمع انكيرا واذ كان البابا قد سئم من المنفى مدة سنتين ونيف وكان يشغل مركزه في اثناء ابعاده عنه الاسقف فيلكس الاريوسي فغره حب الرئاسة والراحة أن يقبل قرار المجمع الاريوسي فأمضى عليه وهكذا رجع الى كرسيه ساقطاً في المذهب الاريوسي واستمر يسوس كرسيه بالاشتراك مع فيلكس الاريوسي الى انمات واما اثناسيوس فلم يرجع من منفاه الا بعد موت قسطنس وذلك حينما قام يوليانس على تخت المملكة واعطى الحرية لجميع الاساقفة ان يرجعوا من منفاهم فلما جاء الى كرسيه وجد الدخيل ميتاً بالقتل فبدأ يستعيض ما خسرته كنيسته في مدة غيابه بادخاله اليها عبده الاصنام واليهود يومياً الامر الذي لم يستطع ابليس مشاهدته بدون أن يلتهب بالغضب او يرى نمو المسيحيين وارتفاع شأن الفضيلة بغير ان ينهض للمحاربة ضد من كان العلة في ذلك فحرك يوليانوس شريكه وتلميذه في العصيان مقنعاً اياه بأنه

لا تمكنه ان ينتصر على الايمان المسيحي الا اذا قوي على اثناسيوس المعزز جانبه فأبرز أمراً حاكم مصر متضمناً قتل اثناسيوس سراً فلما وقف هذا على أمر الملك بروح نبوي عزى بنيه مؤكداً لهم ان هذا الحادث نظير زوبعة عابرة تباد بوقت وجيز ولما لحظ ان الجنود أزمعت ان تقبض عليه نزل بسرعة في مركب وسار في النيل قاصداً الهرب الى بلاد تيبايس أما الحاكم فلما شعر بهروبه أسرع بجنوده في مركب آخر وسار في أثره ولما كاد ان يدركه أمر اثناسيوس بالهام الهي النوتي ان يحول مركبه نحو الاسكندرية راجعاً ومتجها نحو الحاكم فلما تقابل المركبان معاً صرخ الحاكم على الذين في مركب القديس سائلاً اذا كانوا صادفوا في مسيرهم مركباً يقل اثناسيوس فأجابوه أي نعم ان اثناسيوس لم يكن بعيداً منه الا بمسافة وجيزة لانه قبل برهة كان ماراً بمركب نحو تيبايس فسار الحاكم مسرعاً مغتصباً ملاحي مركبه ان يقذفوا بسرعة ظاناً ان يدركه وأما مركب اثناسيوس فكان يسير بضد ذلك ولما بلغ المدينة خرج منه سراً واختفى في بيت حتى انقضت مدة الاضطهاد فلما تخلف يوبيانوس على سرير الملك أعطى الحرية للاساقفة وحرر لهذا القديس رسالة ملتمساً منه ان يرسل له رسالة تحوي تعليم الكنيسة القويم . فبعد ما تداول اثناسيوس مع أشهر أساقفته حرر رسالة باسمه واسم أساقفته وأوضح له فيها أخص التعاليم الارثوذكسية وأرسلها للقيصر فقبلها هذا بمزيد الاحترام واتقد شوقاً لرؤيته فاستدعاه للحضور . لكن من كان يظن ان ملكاً كهذا عظيم الشان قويم المعتقد محباً لاثناسيوس محبة شديدة يستطيع الحزب الاريوسي ان يقدموا شكوى له ضد البطريرك أي نعم فان جسارتهم لم تتقاعد عن ذلك فانه لما حضر اثناسيوس الى انطاكية ربطوا مكيدة ودسوا الى الملك أمراً فلم يقبله منهم مصماً أذنيه عن سماع كل دعوى قالوها في حقه فلما رجع الى كرسيه انتهز الفرصة فجال في أبرشيته متفقداً رعيته وآخر جهاد تجلد على مضضه هو الذي أنزله به فالنس قيصر الشرق الاريوسي وذلك انه أصدر أمراً الى جميع ولاته يأمرهم ان يطردوا جميع الاساقفة الذين سبق نفيهم بأمر قسطنس قيصر ورجعوا بسماح يوليانوس الامبراطور . فبناء على هذا الامر رام والي اقليم مصر ان يطرد اثناسيوس من كرسيه . لكن لما شعر وجهاء الشعب والاعيان منهم تجمهروا معاً وحضروا الى الوالي محتجين عن أسقفهم

بأنه لا يصح ان يدخل بزمرة هؤلاء لكونه رجع من منفاه ليس بأمر بوليانوس بل بأمر يوبيانوس ولما لم يقتنع بهذا الدليل قاوموه بجدة مصرحين أنه يقتضي أن يبقى اثناسيوس في كرسيه قالوا هذا واذا بشعب المدينة جاؤا بحركة مزعجة لاحظ الوالي منهم أنه اذا أجبر اثناسيوس على السفر كانوا مستعدين لتجريد الاسلحة فعدل عن رأيه أما اثناسيوس فخرج فتئذ من المدينة واختفى في قبر ابيه وكان ذلك بتحريك الروح القدس لان الوالي بعد ما سكنت الضوضاء مشى بجنده الى الكنيسة الكاندرانية مريداً أن يقبض على القديس فلم يجده فكتب حينئذ للملك قائلاً أنه لا يسكن شغب الشعب والقلقلة منهم الا بوجود أسقفهم وقد أجيب طلبه فالتزم الملك أن يرسل حالاً اعلاماً بأن اثناسيوس يبقى في كرسيه آمناً فخرج حينئذ القديس من ذلك القبر بعد ما مكث فيه أربعة أشهر وجلس على كرسيه مدبراً رعيته الى أن توفاه الله وذلك سنة ٣٦٤ م في اليوم السابع من بشنس وكانت مدة بطريركيته ٤٦ سنة وخمسة عشر يوماً

(٥) ومن مآثر هذا الاب الرسولي انه أدخل الدين المسيحي رسمياً في الحبشة وتفصيل ذلك ان رجلاً فيلسوفاً يدعى ميروبيوس من صور بعد ما اتى ممالك عديدة ومعه ابنا أخيه وهما فرمونات وايدوس ورغب ان يرجع الى وطنه ركب في سفينة وسار فلما وقفت على مينا لتأخذ زاداً للركاب هجم عليها القرصان وقتلوا من فيها جميعاً ما عدا فرمونات وايدوس فانهما اختبيا تحت شجرة فلما وجدهما اللصوص ورأوهما جميلين جداً لم يقتلوهما بل أخذوهما الى ملك تلك البلاد الذي كانت عاصمة مملكته يومئذ اكزيوم من بلادالحبشة فأخذهما الملك ولما أوشك ان يموت أرخى لهما عنان الحرية وعتقهما جزاء تصرفهما الحسن وخدمهما الجليلة فألزمتهما الملكة التي كان ولدها لم يبلغ اشده بعد ان يستمرا في قصر زوجها ليساعداها في تدبير الملك وصارت من ثم اشغال المملكة والحل والربط فيها بيد هذين الفاضلين فانتهز هذه الفرصة اللائقة واهتما في اذاعة بشارة الانجيل في البلاد وسمحا للتجار النصارى ان يتجروا فيها بلا حرج ومنحا لهما امتيازات وأمراهم ان يعلموا الاهالي الديانة المسيحية . ثم بلغ ولي للعهد رشده فترك كل من هذين الاخوين مركزه بعد ما قلد جيد الاهالي

أضواق الدين المسيحي فرجع يدوس الى صور وارتسم كاهناً وأمافرمونات فانطلق الى البابا اثناسيوس وأخبره بكل ما فعل وطلب اليه ان يرسل أسقفاً الى الحبشة فلم يجد القديس أكثر لياقة من فرمونات فرسمه وأرسله اليها وهكذا دخل الدين المسيحي الى تلك البلاد وتعين فيه مركز أسقفية تحت ملاحظة البطريرك الاسكندري وما زال كذلك الى الآن

البابا بطرس البطريرك الحادي والعشرون من سنة ٣٦٤ م — ٣٧٠م

ثم تخلف عن القديس اثناسيوس في كرسي البطريركية أحد تلامذته المدعو بطرس فبعد ان سيم من مجمع الاساقفة المصريين والليبيين القويمي الرأي شرع يقتفي أثر معلمه في مكافحته للهراطقة وتطهير البلاد من زوان تعليمهم النفاقي وقد اضطهده رجلان متقدمان في الحكومة المصرية أحدهما يدعى لوكيوس والآخر داديانوس فطل يسعى عند الملك حتى ظفر بهما وأبعدهما من المدينة ولم يستمر على كرسي الخيرية أكثر من خمس سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً وتوفي في اليوم [illegible] من شهر أمشير سنة ٣٧٠م

البابا تيموثاوس البطريرك الثاني والعشرون سنة ٣٧٠ م — ٣٧٦ م

(١) رسامة هذا الاب بطريركا (٢) المجمع الثاني المسكوني (٣) مساواة الاساقفة في السلطة الكنيسية (٤) اختلاف الرتب

---

(١) فلما توفي الاب بطرس الثاني انتخب الشعب المسيحي وعموم الاساقفة أخاه القديس تيموثاوس ووضعوا عليه الايدي في شهر أمشير من سنة ٣٧٠م ومن أمره انه كان أحد تلامذة القديس اثناسيوس المشارك له في كل ما قاساه من الاتعاب في ميدان محاماته عن التعليم القويم المقاوم للاريوسيين بكل همة وهذا الاب هو الذي كشف مكيدتهم في مجمع صور حين ادعوا على معلمه الرجل الرسولي باقتضاض بكورية عذراء

كما ذكرنا في وجه ٨٣ فبرز بحكمة معلمه من تلك التهمة وغطى وجوه المدعين عليه برداء الفضيحة والخجل

(٢) ولم تكن اتعاب هذا الاب بأقل من اتعاب معلمه فانه ما كاد يصدق ان حقل الكنيسة أوشك ان ينقى من اشواك البدعة الاريوسية بما أظهره ابؤها من الثبات وساعد به الملك ثاودوسيوس الكبير من التحامي حتى نبت في حقلها أشواك بدعة مكدونيوس النصف اريوسي بطريرك القسطنطينية الذي ذهب بفساد رأيه الى ان الروح القدس عمل الهي منتشر في الكون متميز عن الاب والابن فدعا الملك أساقفة المملكة الى مجمع مسكوني في العاصمة فلبى دعوته مئة وخمسون أسقفاً أشهرهم صاحب الترجمة وملاتيوس بطريرك انطاكية وكيرلس الاورشليمي وغريغوريوس الثاولوغس وغريغوريوس النيسي ونكتاريوس أسقف القسطنطينية ولم يحضر في هذا المجمع نواب من قبل البابا ولم ترد منه رسالة نيابة عنه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فقد وافق البابا وأساقفته على أعماله وكانوا ولم يزالوا يعترفون بأنه مجمع مسكوني . وقد انعقد هذا المجمع ضد جملة بدع منها بدعة مكدونيوس فأثبت الاعضاء أزلية الروح القدس ومساواته للاب والابن وعدم مخلوقيته بقرار أضيف الى الدستور النيقاوي وصار كما هو عندنا اليوم وكان الرئيس أولاً في هذا المجمع ملاتيوس بطريرك انطاكية فلما توفي قبل انحلاله تولى الرئاسة عليه غريغوريوس الثاولوغس الذي ارتقى الى كاثدرا بطريركية القسطنطينية قبل ذلك بزمان قليل فقاوم صاحب الترجمة وأساقفة مصر رسامته ورئاسته معاً وعزلوه من كليهما وأقاموا بدله نكتاريوس وجعلوه رئيساً للمجمع أيضاً فارتضى غريغوريوس الثاولوغس بذلك وتنازل عن كرسيه لنكتاريوس الذي كان صديقاً له للغاية

ومن تلك البدع التي اجتمع المجمع بسببها هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية ابن أبوليناريوس الاسكندري ومن أمره انه كان شديد المناضلة في اثبات لاهوت المسيح لكن لما كانت مقاومته للحزب الاريوسي بجهل وعدم تفطن هوى ساقطاً في قعر الهرطقة اذ انكر من ناسوت المسيح نفسه البشرية واعتقد ان اللاهوت مارس وظيفة النفس العاقلة واستنتج من ذلك ان اللاهوت امتزج بالناسوت واحتمل معه الآلام

والنصب والموت . وجعل تفاوتاً بين الثلاثة أقانيم فقال ان الروح عظيم والابن أعظم منه والآب أعظم من كليهما فحرم المجمع هذا التعليم وحكم على ذويه بالهرطقة

(٣) وقد سن المجمع سبعة قوانين تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها وهاك نص القانون الثاني (لا يتعدين الاساقفة الذين خارج ادارتهم على الكنائس التي خارج حدودهم ولا يشوشن الكنائس . بل وفقاً للقانون لاسقف اسكندرية ان يسوس أمور مصر فقط . ولاساقفة الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . ولاساقفة ولاية آسيا ان يسوسوا أمور آسيا فقط . وللذين في البنطس أمور البنطس فقط . وللذين في تراكي أمور تراكي فقط . فلا يتعدين أساقفة خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات أو معاطاة أمور أخرى كنائسية من دون ان يدعوا . والمحافظة على القانون السابق تدوينه في الادارات تقتضي صريحاً ان يسوس أحوال كل أبرشية مجمع الابرشية كما هو محدد في نيقية . وأما كنائس الله التي بين الامم البربرية (يعني خارج المملكة) فيجب ان تساس حسب عادة الآباء المرعية) .

وهاك القانون الثالث (أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد أسقف رومية لكونها (أي القسطنطينية) رومية جديدة)

وهذان القانونان يدحضان دعوى الباباويين بالرئاسة للبابا الروماني على غيره من أساقفة العالم المسيحي فانه منع بالاول تعدي أي أسقف كان على حقوق غيره وحكم بأن الامور الكنائسية المشاعة ينظر فيها مجمع الاساقفة استناداً على قوانين مجمع نيقيا لا أسقف رومية كما يدعي الباباويون وأحوال هذا المجمع وكيفية انعقاده واقرار الكاثوليك في كل زمان على أحكامه ينفي كل دعوى بالرئاسة لهم فانه انعقد بأمر الملك لا بأمر البابا واستمر سنتين والاباء الذين اجتمعوا فيه جميعهم شرقيون لم يحضر بينهم أحد من قبله مطلقاً ولم تقرأ في المجمع رسالة منه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فلم يعارض البابا في انعقاده ولا في أحكامه . وأما بالقانون الثاني فقد جاء جهينة الحق يدحض قول كل مكابر معاند ويوضح الحقيقة لكل ذي عينين فانه منح المجمع به للبطريرك القسطنطيني ما للبابا الروماني من الكرامة لداعي مساواة مركز الاول بمركز الثاني وتسميته ذاك باسم هذا وهو (رومية) وهذا يدل دلالة واضحة ان

أسباب تقدم الاساقفة بعضهم على بعض انما هي امتيازات المراكز العالمية فقط وهي حق يقبل التعديل والتبديل لا حق الهي كايدعي الكاثوليك فان الاساقفة هم متساوون بالرتبة الاسقفية ويمتاز أحدهم عن الآخر نظراً لاهمية مركزه المدني فقط واليك بيان ذلك

(٤) انه في بدء انتشار الدين المسيحي عين الرسل لكل مدينة أو لكل كنيسة كبيرة أسقفاً ولما امتد الايمان الى القرى والمزارع المجاورة المدن كان المؤمنون فيها يحضرون الى كنيسة المدينة التي يتبعونها ويصلون فيها واستمر الحال على هذا المنوال الى ان كثر المؤمنون في تلك القرى والمزارع ولم يبق في امكانهم ان يحضروا الى كنائس المدن تعين على كل كنيسة مدينة ان تقيم كنائس أخرى في القرى المجاورة لها تحت ولاية ورعاية أسقفها وصار مركز كنيسة كل مدينة بالقياس الى تلك الكنائس المجاورة مركز أم والكنائس المتجددة مركز بنات لها وكذلك صار مركز ذلك الاسقف مركز والد روحي بين أولاد له بالرب غير ان وجود الاسقف في جميع الكنائس صار غير ممكن على توالي الزمن وقيامه بواجبات كل منها أمراً شاقاً فاضطر من ثم ان يقيم أساقفة آخرين في القرى معينين له وتحت مناظرته دعوا (خور بيسكوبي) أي أساقفة القرى فتألفت من ذلك علاقة تابعية بين الاساقفة وعلاقة امتياز أحدهم وهو أسقف كنيسة المدينة على الآخرين وهم أساقفة القرى وهذا الامتياز كان قاصراً على الامور الادارية لا دخل له في الرتبة الاسقفية نفسها كأن رتبة أولئك الاساقفة ناقصة عن رتبة الرئيس فيهم حاشا فانهم كانوا متساوين معه فيها ولم يمتز عنهم بشيء ما خلا في الادارة التي كان يقتضيها مركز كنيسته وقد دعيت مدينة الاسقف الاول (ميتروبوليس) وهي كلمة يونانية معناها المدينة الام لانها ولدت بنات لها بالايمان ودعي أسقفها (ميتروبوليتاً) أي مطراناً لانه أسقف المدينة الام

ولم تنحصر العلاقات الكنائسية بين أساقفة المدن وأساقفة القرى بل استدعت ظروف كثيرة ان تكون هذه العلاقات بين أساقفة المدن وبعضهم وذلك أما بكتابة بعضهم الى الآخر أو باجتماعهم معاً ومذاكراتهم الشخصية عن أمور ايمانية وقضايا

كنائسية أو أخذ أراء من نحو صالح المسيحيين وخير الايمان ونجاحه فكانت الطبيعة تقضي ان يتقدم في هذه الاجتماعات واحد في جميعهم أو بعضهم على بعض لان المدن التي يراسونها ويسوسون كنائسها كانت غير متساوية من حيث الاهمية المدنية فان كان المجمع مؤلفاً من أسقف المدينة وأساقفة قراها كان يتقدم فيه أسقف المدينة وان كان منعقداً من أساقفة مدن كثيرة كان يتقدم فيه أسقف المدينة الاكثر شهرة كاسقف قصبة المملكة أو الامارة أو الولاية ويوجد داع آخر قضى على المؤمنين ان يوجهوا انظارهم الى بعض المراكز الاسقفية أكثر من غيرها وان يجعلوا لاساقفتها امتيازات على غيرهم وهو المراكز التي كان يشغلها بعض الرسل واتصلت الى الاساقفة بسلسلة الخلافة فدعيت الكراسي الرسولية والمشهور منها كراسي أورشليم وانطاكية وكورنثوس وأفسس ورومية واسكندرية فكان هذان الداعيان قاضيان بأن يكون لبعض الاساقفة امتيازات على الآخرين غير ان بعض مراكز هذه الكراسي فقد أهميته فان المركز كان اذا فقد أهميته المدنية يفقد أهميته الكنائسية أيضاً ولا يبقى له امتياز على غيره فان كرسي أورشليم فقد منذ القديم أهميته الادارية بسبب ما طرأ على المدينة من الانقلاب والاضمحلال وجرى مثل ذلك بكرسي أفسس حين نميت مدينة البزنطية قصبة الحكومة الرومانية وبعكس ذلك صار كرسي انطاكية مركز الدين المسيحي للشرق كله وكرسي الاسكندرية بقي متمتعاً بحقوقه منذ العصر الرسولي الى ان حاول ملاتيوس الاسيوطي ان يسلب شيئاً من حقوقه وصار يقيم شرطونيات بدون رضى البطريرك الاسكندري ومعلوميته فرد المجمع الاول المسكوني في قانونه السادس امتيازه وأقر على حقوقه وجعلها مرعية في دائرة الكرازة المرقسية وأبرشيات أساقفتها كما ان حقوق بطاركة رومية وانطاكية وأورشليم مرعية في كراسيهم . وأما كرسي رومية فكان في الاعصر الاولى اكثر اهمية من كراسي الاساقفة في البلاد الغربية لان رومية كانت عاصمة المملكة وقتئذ والمركز الوحيد الرسولي في الغرب واستمر على هذه الاهمية الى ان انعقد المجمع الثاني المسكوني في مدينة القسطنطينية عاصمة المملكة يومئذ فساوى بطريركها ببطريرك رومية ودعا المدينة رومية الجديدة اعترافاً بمساواة الواحدة بالاخرى كما تقدم ذكر ذلك

البابا ثاوفيلس البطريرك الثالث والعشرون سنة ٣٧٦ م — ٤٠٤ م

(١) مآثر هذا الاب في عمارة الكنائس (٢) محاولة الرهبان الهراطقة لقتله ونجاته منهم (٣) مقاومته للحرمين بمطالعة مؤلفات أوريجانوس

وحدث انه لما توفي البابا تيموثاوس في اليوم السادس والعشرين من أبيب سنة ٣٧٦ م أخلفه البابا ثاوفيلس في شهر مسرى من تلك السنة وكان يومئذ الجالس على تخت المملكة ثاودوسيوس الكبير الذي كانت أمياله بجملتها منصبة نحو صالح المسيحيين وتقوية شأنهم وتعزيز دينهم وتنقية الكنيسة من زوان الهرطقات سيما هرطقة اريوس فانه أصدر أمراً ملوكياً بأن يعتقد سائر المسيحيين اعتقاد بطريركي رومية والاسكندرية وكان مؤمنو الديار المصرية قد كثر عددهم وقل عدد عبدة الاصنام ونجم عن ذلك ازدحام شديد في الكنائس أثناء احتفالات المسيحيين في أعيادهم فعزم الاب ثاوفيلس بمشورة أعيان الشعب ان يقلب هيئة هياكل الاصنام المهجورة والمعابد الوثنية المتروكة ويجعلها معابد للمسيحيين فلما تعرض لاخذها قاومته الحكومة فاضطر من ثم ان يخابر ثاودوسيوس الملك بذلك ويطلب اليه ان يصدر له أمراً بأن يستولى على تلك الاماكن ويتصرف فيها كما يريد ويتهدد من يتصدى له ويمنعه من الوثنيين بالعقاب فأجاب الملك طلبه وأمر والي الاسكندرية بأن يسلمه المعابد المومأ اليها وان يتصرف فيها بلا حرج فلما بلغ أمر الملك الى الاسكندرية أعلن الوالي الاب ثاوفيلس بذلك فبدأ من ثم يصلح تلك الهياكل الوثنية ويجعلها كنائس للمسيحيين على ان هذا المشروع لم يتم بدون ان يحصل بسببه اضطرابات وقلاقل فان قوما من رعاع الناس كانوا لا يزالون متمسكين بخرافات الوثنيين فأحدثوا عند ذلك هيجاناً وقلاقل وقتلوا بعضاً من المؤمنين خصوصاً عند ما جاء هؤلاء يستولون على هيكل سيرابيس الذي كان على جانب عظيم من القوة والمتانة والاتساع والطول

لانه كان مبنياً على قمة تل يصعد اليه بسلم يبلغ مائة درجة وكانت حجارته من الرخام والمرمر وحيطانه من داخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب وكان فيه صنم كبير جداً يداه ممتدتان من الحائط الواحد الى الآخر وهو مصنوع من الخشب ومغطى من المعادن ومطعم بحجارة كريمة وكان اسود اللون لانه قديم فيها ذات يوم كان المسيحيون ينقلون الاصنام التي كانت في الهياكل ويمرون بها في الاسواق والشوارع هاج عليهم رعاع المدينة والسوقة وهجموا عليهم فأثخنوا بعضاً وقتلوا بعضاً ثم هربوا ودخلوا ذلك الهيكل وحاصروا فيه وكانوا كلما شاهدوا مسيحياً قريباً منهم قبضوا عليه وجذبوه عندهم وقتلوه فلما سمع الامبراطور بذلك أصدر أمراً بالعفو عنهم وبهدم باقي الهياكل حتى لا يبقى سبب للنزاع فلما سمع المسيحيون هذا الامر فرحوا وذهبوا الى الهيكل ودخلوه بقصد تحطيم ذلك الصنم فلما دنوا منه خاف بعضهم اذ كانوا لا يزالون مصدقين بخرافات اجدادهم ووقفوا جامدين ظانين انه اذا كسر هذا الصنم يخرب العالم ولكن تقدم جندي وبيده فاس وصعد الى أعلى الصنم فضربه وكسر فكه فخرج للوقت منه جملة فيران كانت معششة داخل فمه وحينئذ تقدم الآخرون وكموا عليه وأحرقوه وذروا رماده في الريح فاستصلح هذا الهيكل وجعل كنيستين . وقد ابتنى الاب تاوفيلس في الثغر الاسكندري خلاف ذلك كنيسة جديدة واسعة جداً على اسم يوحنا المعمدان واليشع النبي وانشأ للرهبان دير المحرق في الصعيد بمديرية أسيوط على اسم العذراء مريم وقيل ان الذي ساعده على هذه المشروعات الجسيمة هو انه وجد في الاسكندرية كنزاً تحت كوم من الاتربة

(٢) ولم تخل حيوة هذا الأب من القلاقل والبلبلات فان بدعة انتشرت بين رهبان الاسقيط كان رأسها افوديوس من بين النهرين محصلها ان الله ذو صورة بشرية وذو اعضاء جسمية فتمسك له كثيرون وساعدوا انتشار تعليمه سيما بين رهبان الاسقيط فلما شعر البعض من هؤلاء ان تاوفيلس يخالفهم في الاعتقاد تركوا من صوامعهم وجاؤا الى الاسكندرية وعزموا ان يفتكوا بالبطريرك عند أول مايقع نظرهم عليه فلما رآهم القديس ووجد ان قلوبهم قد استوعبت من الغيظ أسرع الى مرحبهم لارض وصعد عليه وخاطبهم بعبارات الترحاب والتلطف وثم قال لهم انه نظرهم كمن ينظر وجه

الله فأسكتت هذه العبارة الملتبسة اضطرابهم وازالت من قلوبهم الغيظ وظنوا ان البطريرك برأي رأيهم ويقول بقولهم

(٣) كانوا الاريوسيون يقتبسون عبارات من مؤلفات أوريجانوس ويستندون عليها فكره القويمو الرأي هذه المؤلفات ومنعوا قراءتها فحدث بسبب ذلك انشقاق في الكنيسة سيا بين رهبان مصر فبعضهم كانوا يحرمون المطالعة في هذه الكتب وهم رهبان الاسقيط والبعض الآخر كانوا متولعين بها وهم رهبان جبل نيتريا (الفرم) وكان في البطريركانة جماعة من الفريق الاخير فجاءت سفارة من الفريق الاول الى البطريرك وألحت عليه ان يحرم أوريجانوس ويحرم من يقرأ كتبه ففعل ذلك بخلاف ما كان يؤمل الرهبان الساكنون عنده ان يفعله فسخطوا عليه وأحدثوا سجساً فاستمان عليهم بالقوة وطردهم من عنده فالتجأوا الى رهبنة نيتريا وتحزبوا معهم وأرسلوا وفداً الى ديوسقوروس أسقف ارموبوليس وقرفوا الاب تاوفيلس بالعيشة الرخوة فقبل شكواهم وتحزب معهم أما البطريرك فأرسل الى رهبان الاسقيط يأمرهم ان يتجنبوا أولئك الرهبان وقطع الاسقف من شركته فتجمهر الثائرون معاً وانطلقوا الى القسطنطينية واشتكوا تاوفيلوس ليوحنا فم الذهب الذي كان مولعاً بقراءة تلك التصانيف نظيرهم فقبلهم على الرحب وكتب رسالة لتاوفيلوس يسترضيه عنهم ولكن الرهبان ما اقتنعوا بذلك بل انهم استغاثوا بأفدوكسيا الملكة وتوسطوا بها عند اركاديوس ليأمر بمحاكمة تاوفيلوس امام مجمع يكون رئيسه يوحنا فلما شعر البطريرك الإسكندري بهذه الحركة الغير المنتظرة نسب تحريكها الى يوحنا وكتب الى ابيفانيوس أسقف قبرص الشديد الكراهة لاوريجانوس ومصنفاته وادعى على يوحنا بأنه من أنصار ذلك المرطوقي فجمع مجمعاً في قبرص وحرم مؤلفاته وحرم من يقرأ فيها ثم توجه الى القسطنطينية بايعاز تاوفيلس الذي كان سبقه اليها وعقد معه مجمعاً على يوحنا بمساعدة الملكة التي كانت وقتئذ العدوة الالدة له بسبب تقريعه لها على ما تأتيه من الامور المنكرة ودعوه ليحضر أربع مرات فأبى وطلب ان ينظر في أمره مجمع مسكوني فقطعوه بدعوى انه خائن المملكة وأمر الملك بنفيه فنفي

﴿ ترجمة مؤسسي الرهبنة في مصر ﴾

(١) القديس أنطونيوس (٢) القديس مكاريوس (٣) القديس باخوميوس

---

(١) أن القديس انطونيوس هو نبراس الكنيسة في هذا العصر بأقواله وقدوته الصالحة فانه انتهج طريقاً تؤدي الى الملكوت بسهولة وجعل ذاته انموذجاً للعالم في كل زمان . ومن أمره أنه ولد نحو منتصف القرن الثالث في قرية تدعى كوما (قمن) وربي بين أيدي والدين عريقين في الحسب والنسب وغنيين جداً فنشأ من صغره على الاداب واغتذى من والديه لبان الصفات الحميدة مجتنباً عشرة الشبان المؤذية فلما بلغ العشرين سنة من عمره توفي والده فأمسى هو وأخت له يتيمين والتزم أن يعتني بتدبير بيته ويدير حركة أرزاقه ويستغل أملاكه بذاته وحدث أنه بينما كان سائراً ذات يوم الى الكنيسة أخذ يفكر في حال الرسل الذين تركوا كل شيء وتبعوا يسوع وكيف كان من يؤمن على أيديهم يبيع أملاكه ويضعه تحت أقدامهم لاعانة الفقراء وذوي الفاقة وفي حال دخوله الكنيسة سمع بتدبير الهي الانجيل يقرأ قائلاً (ان شئت ان تكون كاملا فامض وبع كل ما لك واعطه للمساكين فيكون لك كنزاً في السموات) فحمل هذا الكلام على نفسه وان المسيح يخاطبه به فأخذ من ثم شقيقته ووضعها في المكان الذي كانت العذارى يعشن فيه بالقداسة والعبادة لله وباع كل أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء وشرع يعيش من تعب يديه وردع أمياله الجسدية وقمع جسده وتجنب في أكله وشربه ولباسه كل ما يخالف واجب طريق الكمال المسيحي وتقدي بأولئك الذين كانوا يختبئون على نوع ما خالطة العالم ويسكنون بأماكن تبعد قليلاً من القرى والمدن فكان يصرف أنطونيوس نهاره أجمع بعد عمل يديه في تلك الاماكن مرتشداً من ذوي الكمال الى الطريق المسيحي

مضيفاً الى ذلك الصوم والصلاة والامانة فلما لم يطق ابليس أن يشاهد في شاب صغير تلك المحبة المضطرمة طفق يحاربه بأنواع كثيرة من التجارب فكان تارة يورد على باله سعة الغنى الذي بيده بدون أن يبقي شيئاً منه لنفسه سيما أخته الصغيرة العديمة الحيل وأخرى صعوبة الطريق التي احتمد أن يجتاز فيها هذا في النهار واما في الليل فكان يقابله بتجارب تضاد العفة مستحضراً له صوراً مختلفة واشباحاً متنوعة أما هو فكان ينتصر على هذه الحروب عما كان اعتاد عليه من رياضة البدن ونزاهة النفس مكثراً من التوسلات والهذيذ بقراءة الكتب المقدسة مقضياً نهاره أجمع صائماً فانه كان يأكل كل ٢٤ ساعة دفعة الخبز مع قليل الملح ويشرب الماء لا غير وكان يرقد على حصير وينام على الحضيض ويلبس ثوب مسح ورداء من جلد الشاة فوقه وكان كلما يزداد تقشفاً يزداد ابليس امتحاناً له وذلك أنه بعد ما قضى مدة على هذه الحال دخل في طريق أضيق منها اذ انفرد في قبر وحبس ذاته فيه فجاءه ابليس ظاهراً وشرع يضربه ويخيفه فوثب عليه ليلة ما وجلده بقساوة حتى القاه على الارض طريحاً نظير الميت فلما جاء صديقه ووجده على تلك الحال غائباً عن الصواب حمله واتى به الى كنيسة البلد حيث اجتمع حوله شعب تلك البلد وجلسوا ينتظرون عاقبة أمره فاستمر على تلك الحال حتى الليل فاستفاق ورجع الى ذاته ولما نظر حوله جملة من الناس وهم غارقون في سنة النوم سوى صديقه توسل اليه أن يحمله بلطافة من غير أن يحس به أحد وأن يرجعه الى حيث كان فأخذه ورجع به الى ذلك القبر وتركه فأخذ القديس يصلي وهو متكئ وعند ختام صلاته صرخ بأعلى صوته قائلاً هوذا أنا ههنا ان انطونيوس لا يخاف من الشر الذي صنعته به يا ابليس فان كنت تقدر أن تصنع معي ماهو أشد شناعة مما صنعت اضعافاً لا يمكنك أن تفصلني عن محبة سيدي ثم أخذ يرتل بكلمات داود قائلاً اذا اصطف علي عسكر فلا يخاف قلبي وان قام علي قتال فانا به واثق قال هذا واذا بابليس تجند بجمهور كبير وأتى بضجة وضوضاء وحركة مزعجة داخلا القبر بصور وحوش وحيات وعقارب وكل منها يزأر ويصرخ بخاصة شكله وبهم هاجماً عليه ليمزقه أما هو فلعلمه أنه في يد الله وان ابليس لا يستطيع أن يضره الا بسماح منه تعالى أخذ يزدري بابليس وجنوده قائلاً (انه لو كان لواحد منكم

اقتدار تكون بكفي محاربتي ولكن حيث ان الله سلب منكم كل قدرة فلهذا تحتالون ان تخيفوني بكثرتكم ودليل كونكم ضعفاء هوانكم بلغتم الى ان تشكلتم بصور الحيوانات الفاقدة النطق فان كنتم على جانب من القوة وتقدرون ان تأذوني فلماذا تتأخرون وتنضبون سدى وان كنتم فاقدي القدرة فلماذا تتعبون باطلاً فاعلموا انه قد يكفي لانكساركم علامة الصليب التي هي لي بمنزلة ترس) قال هذا واذا بضوء ساطع أضاء حوله فتبددت جميع حيل ابليس وعوفي للوقت من جميع جراحه ولما بلغ من العمر ٣٥ سنة اجتاز بحر النيل شرقاً وتوغل في البرية فوجد برجاً قديماً تسكنه الحيات والافاعي فلما سكن فيه هربت منه وكان أوصى صديقاً له ان يأتيه كل ستة أشهر بما يكفيه تلك المدة من القوت وبعد ما جرت له حروب كثيرة من عدو الخير أراد الله ان يظهر فضل قداسته للعالم وان يجعله انموذجاً للناس جميعاً فأتاحه موهبة الشفاء واخراج الشياطين وارشاد الانفس ولما بدأ الناس يتقاطرون اليه من كل مكان ويصطفون حول ذلك البرج مستمدين المعونة الروحية والمادية منه كان يخرج اليهم كبدر مشرق على أماكن معتمة وينيل كلاً منهم بغيته ثم رغب كثيرون ان يتمثلوا بسيرته فأجاب طلبهم والتزم من ثم ان يقيم لهم محلات كثيرة وان يبني قلايات وأديرة فاسكنهم فيها ووضع لهم قانوناً ليسيروا بموجبه وكان لا يفتر من وعظهم سواء كان بعيداً أو قريباً منهم منفرداً عنهم أو مجتمعاً معهم

ولم يكتف بهذه الفضيلة التي لم يسبقه أحد اليها بل قد اتقد بنار الرغبة لقبول اكليل الشهادة حين أسعر الملك مكسيميانوس نار الاضطهاد في الثغر الاسكندري فذهب اليها مع بعض رهبانه وأخذوا يتعهدون المؤمنين المسجونين ويقوون عزم المشتغلين منهم في حفر المعادن ويصبرون من يحكم عليه بالعذاب ولما شعر الوالي بهؤلاء الرهبان طردهم من المدينة فسار جميعهم ما عدا انطونيوس فانه ما برح يباشر ذلك العمل بدون رهبة والاغرب من ذلك انه ذهب ذات مرة الى شارع كان الوالي مزمعاً ان يمر فيه وصعد الى مرتفع كي يراه الوالي عند مروره فرآه ولكن لم يفعل به أذى لان العناية حفظته لخير أولاده واستمر في الاسكندرية الى ان انقضى زمان الاضطهاد وعاد الى ديره وشرع يسوس رهبانه ويدبرهم . وكان صيته ذاع في كل

مكان من المسكونة وبلغت شهرة قداسته الى بيوت الملوك والامراء وصارت ترد اليه الرسائل تترى من العظماء يلتمسون منه جواباً مكتوباً بيده ومنهم قسطنطين الكبير فانه حرر له رسالة فاندهل الرهبان من ذلك وفرحوا بما بلغ اليه معلمهم من الشرف فقال لهم القديس لا تندهلوا من ان الملك يحرر لي رسالة اذ ليس هو سوى انسان قابل للموت بل اندهلوا من ان الله حرر للبشر شريعته وبأكثر من ذلك انه تعالى خاطبهم بواسطة ابنه الوحيد. وبعض الفلاسفة لما سمعوا بصيته قصدوه وجاؤا اليه من بلاد بعيدة لكنهم لما شاهدوه انساناً مجرداً من معرفة علومهم احتسبوا أنفسهم مغرورين فسألهم قائلا . اخبروني هل جودة العقل وجدت قبل العلوم أو العلوم قبل جودة العقل وهل التفهم وحسن المعرفة يتلدان من العلوم أو هذه من ذينك فأجابوه أن العلوم تتلد من المعرفة الحسنة ومن جودة العقل فقال لهم فاذاً من كان ذا معرفة حسنة وجودة عقل ليست العلوم الطبيعية بضرورية له فخجلوا من هذا الجواب السديد

وأتاه آخرون معترضين ضد الديانة المسيحية ففند اعتراضاتهم وأوضح لهم الحقيقة واثباتاً لادلته أخرج الشياطين من رجلين كانا معترين بهم وذلك بمجرد استغاثته باسم المسيح ورسم الصليب ثم اقترح على المعترضين أن يفعلوا نظيره باستدعاء أسماء آلهتهم فخجلوا . وقد عاش من العمر ١٠٥ سنين ومات حينما كانت البرية ممتلئة من ثمار فلاحته الروحية .

(٢) وينبغي أن نحسب القديس مكاريوس درجة ثانية من واضعي أساس الرهبنة بعد انطونيوس لانه بينما كان هذا يبسط أنوار فضائله في سفحات الجبل الشرقي من الاقليم المصري كان ذلك عموداً مضيئاً لرهبانه في الجبل الغربي وهاك تفصيل ترجمته أنه قد ولد في مبادي الجيل الرابع ولما صار في سن البلوغ ظهرت به أمارات الفضيلة فانه سعى في تحصيل المناقب الحميدة منذ صغره واعتاد على محبة النسك والوحدة ثم انفرد في خص وبدأ يباشر أشغال التقشف فلما شعر به أسقف تلك الجهة ورأى فيه علامات النجابة والتقوى والوداعة كرسه شماساً لخدمة الكنيسة لكن لما لم يجد مكاريوس ذلك منافياً لمشروعه الاول هرب الى مكان بعيد وتمسك

سيرته الاولى وكان يشتغل السلال بيده ويعطيها لصديق يبيعها ويأتيه بما يقوم بقوته فسده ابليس واطغى عاهرة فأتهمته بفعل الزنى فنال من قبل ذلك اهانة كبرى فانه لما اتهم بارتكاب هذا الاثم جذب الى البلد بقساوة وجلد ومزيء به في شوارعها ثم حكم عليه أن يقوم بعماشها مدة حبلها فرضخ لهذا الحكم طائعاً وأخذ يشتغل نهاراً وليلا للحصول على قوته وقوت البغي وكان يخاطب ذاته عند ما يستحوذ عليه الكسل قائلاً (اكد يا مكاري لانه قد صارت لك امرأة) فلما فاجأ المرأة الطلق تعسرت في الولادة وأخذت تكابد المشاق فشعرت بذنبها واعترفت ببراءة ساحة القديس عما ادعت به عليه باطلا . فأما الذين ازدروا به وأهانوه فلما علموا ببراءته عما اتهم به دانوا أنفسهم وندموا وخرجوا يستغفرون منه فلما شعر بذلك فر منهم هاربا وذهب الى الصحراء فسكن فيها وكان وقتئذ قد بلغ الثلثين سنة

ولما شاع صيت فضائله في العالم هرع اليه جم غفير وتلمذوا له فانشأ لهم ديراً لا يزال الى الآن قائماً وهو (دير برموس) ثم انتقل الى مكان آخر قريباً وبنى ديراً آخر وهو (دير أبو مقار) ولما بلغ الاربعين سنة ألزم ان يرسم كاهناً لخدمة الاسرار الربية وتوزيعها على أولئك السواح العائشين تحت تدبيره وكان مرات كثيرة يختطف عقله وهو يقدم الاسرار وكان يحب الصمت أكثر من الكلام والانفراد أكثر من الالتئام ويفضل السيرة النسكية على العيشة الرخوة بفطنة وتعقل . ذكر عنه انه وافاه يوماً ما أحد رهبانه وقت الظهر وقد احترق بلهيب العطش فالتمس منه اذناً كي يتناول قليلاً من الماء فأجابه القديس قائلاً (اكتف الآن بان تستريح تحت ظل هذه الشجرة واعتبر أنه يوجد كثيرون من البشر في هذه الساعة يسيرون براً وغيرهم بحراً من دون أن يحصلوا على هذا الفيء الذي أنت فيه) ثم أردف خطابه محرضاً اياه على التقشف قائلا (تشجع ياولدي فاني قد أجزت مدة ٢٠ سنة من غير ان أصنع ما تطلبه مني أميالي الطبيعية لا في الاكل ولا في الشرب ولا في النوم لاني ما كنت آكل سوى كمية جزئية موزونة من الخبز ولم أشرب الا عياراً صغيراً من الماء وأما نومي فكان برهات وجيزة وذلك باسناد رأسي على الحائط حينما لم يكن فيّ جلد على فتح عيني

ان الله كي يواري فضيلة صفيه تحت غطاء التواضع وحقرة الذات قد كشف له

مثالاً وأوصى به بأنه لم يبلغه بعد وذلك ان القديس بينما كان يصلي يوماً ما سمع صوتاً يقول له (انك لم تبلغ بعد يا مكاريوس الى الكمال الذي بلغت اليه امرأتان عائشتان معاً في بيت واحد في الاسكندرية وقد يمكنك ان تشاهد ذلك عياناً) فلما سمع الاب هذا الاعلان الالهي لم يعط لذاته تراخياً بل اتقد بنار الرغبة لرؤية ذلك وقام لوقته وذهب الى المدينة ولما استدل على بيت تينك المرأتين قرع بابهما ففتحت له احداهما فاستدعاها وخاطبهما قائلاً (اني من أجلكما قد عانيت هذا السفر المتعب من البرية الى هنا تائقاً ان أعلم ماذا تصنعان وما هي حال عيشتكما) فقالتا له هل يمكنك ان تجد صلاحاً في امرأتين عائشتين في لذة ونعيم مع رجليهما فألح عليهما بأنه ضروري ان يفشيا له سرهما فقالتا له (انا قد اقترنا بسر الزواج مع أخوين ولنا لغاية الآن ١٥ سنة بدون ان يخرج من فم احدانا طول تلك المدة كلمة تشكي الاخرى ومن غير ان يحدث بيننا تساد مطلقاً ولم نميز بين أولادنا بل كل منا يهتم بما يرضي خاطر أولاد الاخرى وقد كنا اتفقنا بألا تخرج من فم احدانا كلمة مغضبة الى حد موتنا) فلما سمع القديس هذا الخطاب قال حقاً ان الله يمنح المتزوج كما يمنح الراهب ولا ينظر لسوى الضمائر السليمة . ان حياة هذا القديس لم تسلم من الاحزان سيما من الاضطهاد الذي كان سببه شيعة اريوس فان الملك (فالنص) لما أصدر أمراً بطرد رؤساء المعتقد القويم من أماكنهم أمر بطرد مكاريوس وسميه مكاريوس الاسكندري ورهبان كثيرين فنفوا الى جزيرة من اقليم مصر لم يكن فيها من يعرف المسيح ولما دخلوا فيها انقذوا ابنة كاهن الاصنام من الشياطين الذين كانوا بها فكان دخول كافة سكان تلك الجزيرة في ايمان المسيح بسبب هذه الاعجوبة أما الشعب الاسكندري فأجبروا البطريرك الدخيل على أن يرجع مكاريوس الكبير ومن معه من النفي فرجعهم الى أماكنهم وعاد القديس الى تدبير أولاده مثابراً على فعل الفضيلة حتى توفي بسن ٩٠ سنة

(٣) أن الطريق التي سار فيها الانبا انطونيوس وجعلها فريضة لرهبانه من بعده وهي أن يحصل كل واحد منهم قوته بتعب يديه كانت عسرة وشاقة وغير كافلة بحفظ الرهبانية ودوامها في عالم الوجود والفضل للانبا باخوميوس صاحب الشركة الذي بارشاد الروح القدس اتخذ طريقة سهلة قدر الناس أن يتبعوا الرهبنة وينتظموا

في سنكها في كل زمان وهي انه وضع كل قنية الرهبان ومحصول تعب أيديهم في مجمع واحد تحت سلطة أحدهم وتدبيره وجعلهم يعيشون عيشة روكية ودعا ذلك أيكونوميا (شركة) وكما فرض لهم هــذا القانون من أجل الحيوة الجسدية فرض عليهم قانوناً آخر من أجل حيوتهم الروحية فأمرهم ان يؤدوا فرائض الصلوة بأجمعهم في مكان واحد وفي أوقات معلومة من الليل والنهار ومنح الحرية لكل منهم ان يصوم خلاف الاصوام المفروضة على المؤمنين بقدر طاقته ومن وافر حكمته وغزير فطنته السامية انه تصرف مع الحديثين والرهبان الصغيري السن والمستجدين بالرفق واللين ومنحهم الحرية التامة من نحو الاكل والشرب عالماً ان طريق الكمال لا يصل اليه الانسان الا بالتدريج وممـا وقفنا عليه من هذا القبيل انه عزم دفعة ما ان يذهب ليفتقد الاخوة في أمكنة أخرى فاستدعى الطباخ وأمره ان يترفق بالاحداث وان يصلح لهم طعاماً مخصوصاً ثم سافر فلم يعجب الطباخ هذا الامر زاعماً ان ذلك غير لائق بالراهب وان فائدة الدير أولى منه فلمـا حضر الاب استقبله الرهبان الصغار وشكوا له قساوة الطباخ فاستدعاه ولمـا سأله عن عدم رضوخه لامره أجاب قائلاً انه صنع بدل ذلك فعلاً جيداً وهو انه انتهز فرصة واشتغل كثيراً لربح الدير فأمره القديس ان يحضر جميع ما عمل من الجدائل ففعل كذلك وكان عددها نحو خمس مائة فجمع الاب الرهبان وأحرقها امامهم ثم قال لهم ان الطاعة لا تأذن للراهب ان يفحص عن تصرفات رئيسه فان ذلك ممـا لا يسوغ له انمـا عليه ان يطيعه بسرعة وسرور · وحدث مثل ذلك ان راهباً نسج في يوم نسيجتين مع ان المقرر عليه لم يكن سوى نسيجة واحدة فوضعهما على باب قلايته مريداً بذلك أن يرى القديس نشاطه فلمـا رأى الاب ذلك تنهد متأسفاً وأشـار للرهبان الذين حوله قائلاً أرأيتم كيف عمل هــذا الاخ طول النهار بافراط النشاط ليقدم تعبه للشيطان لا لله لانه رام بهــذا ان يرضي الناس لا أن يمجد الباري ثم دعا الراهب ووبخه بصرامة وعاقبه وأمره أن يلازم قلايته مسجوناً خمسة أشهر لا يكلم أحداً ولا يأكل الا الخبز والملح ومرة أرسل وكيل الدير ليبيع مقاطف وقيل أحذية وقد عين له ثمنها فاتفق انه لمـا مضى الوكيل وجد أناساً قدموا له ثمناً زائداً عمـا

جيده له الاب فباع المقاطف مسروراً فلما علم الاب بذلك وبخه على مخالفته وأمره
ان يرد للشاري الزيادة ثم عزله من وظيفته وعاقبه

ولكنا نقف على ترجمة هــذا الاب نقول قد ولد في ختام القرن الثالث من عائلة
وثنية في اقليم الصعيد الاعلى ولمــا بلغ العشرين سنة صار جندياً تحت أيدي والد قسطنطين
الكبير الذي كان قائد جيش ديوكليسيان قاصي أن اسنا مدينة شقت عصا الطاعة وخالفت
عليه فعين هــذا القائد لاخضاعها وكان باخوميوس من ضمن هذه الحملة فلما بلغوا في
مسيرهم الى مدينة ديوسبوليس (اسنا) التي كان أغلب سكانها مسيحيين رأوا من هؤلاء محبة
ومعروفاً جيلاً اذ قدموا بسرور زائد ما يلزمهم من الاكل والشرب وأضافوهم في
منازلهم فاندهل باخوميوس من هذه الافعال الحميدة وأخذ يستخبر عن السبب الذي
دعا هؤلاء القوم الى أن يحسنوا هــذا الاحسان العظيم على قوم لم يروا منهم خيراً ولا
شراً فاجيب أن هؤلاء مسيحيون وديانتهم تأمرهم بالمحبة للغريب مثل القريب فازداد
عجباً من ديانة ذات شريعة سامية كهذه ومال بقلبه اليها فانفرد للوقت يصلي قائلا أيها
الاله الخالق السمــاء والارض اني أعاهدك بان أعبدك وأحفظ وصاياك كل أيام حياتي
اذا نظرت اليّ برحمتك وعرفتني لاهوتك

ولمــا انقضت مدة الحرب ذهب الى قرية في الصــعيد يسكنها النصارى وانخرط
بصف الموعوظين وفي الليلة التي أزمع ان يقتبل سر العمــاد رأى ان يده اليمنى ممتدة
نحو نداء السمــاء فاستحال حالا في يده نداحة وسمع صوتاً يقول له (احتفظ يا باخوميوس
على ما يأتي عليك الآن وهو علامة النعمة العظيمة التي أراد يسوع المسيح ان يسكبها في
قلبك) فلما اقتبل سر المعمودية وتقــدم نحو الكمال المسيحي هجر العالم وتتلمذ لسائح
يدعى (بلامون) وكان لما أتاه قال له الــائح انك لا تستطيع يا ابني ان تحتمل صعوبة عيشتنا
لاني لا آكل سوى الخبز والملح ولا أعرف الزيت ولا أشرب الخمر وأتناول الطعام مرة
واحدة في كل يوم في فصل الصيف وأما في فصل الشتاء ففي كل يومين مرة ثم أمضي
نصف الليل ساهراً وأحياناً الليــل كله في تلاوة المزامير فاشير عليك أن تتلمذ لغيري
لان كثيرين شرعوا أن يقتفوا أثري فما استطاعوا أن يستمروا

فلمــا سمع باخوميوس هــذا الكلام لم يفشل بل قال اني أرجو الله تعالى الذي

أرسلني اليك أن يساعدني على الاقتداء بسيرتك فاقبلني اذاً يا أبي فقبله الشيخ وألبسه اثواب الرهبنة

فظل يسير بسيرة معلمه حتى أدركه وكان يمشي يوماً في القفر قرب قرية خربة تدعى (طابانا) يلتقط حطباً فسمع صوتاً يقول له استقر هاهنا وابن ديراً واسعاً لان كثيرين سيأتون اليك ويعيشون تحت ارشادك فلما عاد الى معلمه أخبره بما سمع فذهبا الى تلك البقعة وابتنيا فيها ديراً ذا عدة أماكن وسمياه دير طابانا ومكثا فيه واتفق ان سائحاً مريضاً بمرض الكبرياء كان يصنع عجائب بقوة ابليس حتى انه كان يمشي على جمر نار ملتهب فلا يحترق فجاء اليهما وقال لهما هل حصل أحدكما على مثل هذا الايمان الذي حصلت عليه فاني أمشي في وسط النار بدون ان تمسني فأجابه الاب بلامون ان أحسنا التواضع فيكون حينئذ ايماننا حسناً فلما سمع باخوميوس هذا الكلام بدأ يزداد في فضيلة التواضع وأما ذلك المغرور فاسقطه ابليس في الزنى وأماته شر موت . ثم لما علم الاب بلامون ان تلميذه بلغ أشده وصار قادراً ان يدبر نفسه تركه ورجع الى مكانه ولم يعد اليه الا كل سنة مرة حتى توفي أما باخوميوس فلم يمض عليه زمان طويل حتى امتلأ ديره من الناس الذين كرسوا حياتهم لخدمة الله والتعبد له ولم يكن يلبس أحدهم شكل الرهبنة الا اذا جربه مدة ثلاث سنين بتجارب مختلفة ولما اتسع نطاق رهبنته في عدة أديرة على جرف النيل شرقاً وغرباً وكان دير طابانا هو الاكبر وبلغ عدد رهبان هذا الدير ١٠٠٠ نفراً وكان لكل واحد منهم أشغال ومهن وكان ما كولهم الاعتيادي الخبز والزيتون والجبن والتين مع الفواكه الاخرى والبقول والحشائش ولم يكن بينهم من يمارس الوظيفة الكهنوتية ولذلك كان يأتيهم كاهن علماني ويوزع عليهم الاسرار المقدسة وقد امتاز عنهم شخص كريم الاصل وشريف النسب يدعى تاودورس اشتهر بالحكمة والفطنة وجودة الرأي وفاق الشيوخ بالنسك والقداسة ولذلك كان خصيصاً بخدمة الانبا باخوميوس دون غيره ومشيراً له في الامور المهمة وكان مصرحاً له ان يقف خطيباً ويعظ الرهبان ومن شدة مثابرته على عمل الفضيلة وابتعاده عن عزاء العالم لم يسمح لامه ان تنظره مع ان معلمه أذن له بذلك . وقد أنعم الله على الانبا باخوميوس بمعرفة اللغات كما أنعم بذلك على الرسل وسببه هو ان راهباً جاءه من

رومية وقصد ان يرتشد منه فابتهل الاب الى الله من أجل فائدة ذلك الراهب وقال (انت تعلم أيها الاله اني لعدم معرفتي لغات لا أقدر ان امنح رجاً باسمك للذين يأتون اليَّ من أماكن بعيدة فاما ان تمنحني معرفة لغة من يقدم اليَّ لافيده او لا تدع أحداً يأتي اليَّ) فاستجاب الرب طلبه وسمع اعتراف الاخ وأرشده ولما قربت وفاته أقام راهباً يدعى بترونيوس رئيساً على الرهبان وفاه بخطابه الاخير لتلميذه العزيز لديه وتوفي وعمره ٧٤ سنة وقد بلغ عدد رهبانه قبل وفاته ٧٠٠٠ واحداً

الحوادث المدنية في هذا الجيل

ذكرنا في ختام القرن الثالث ان ديوكليتيان أشرك معه في الحكم صديقاً له يدعى مكسيميانوس وسلطه على ايطاليا وأفريقا وساواه بنفسه وجعل كرسي امبراطوريته في مدينة ميلان والآن نقول انه لم يكتف بذلك بل قد جعل قسطنطينوس خلورس قائد جيوشه قيصراً على فرنسا واسبانيا وبريتانيا وأقام غاليريوس صهره قيصراً على بلاد ايليريا وكان هذا الاخير على جانب عظيم من خشونة الطبع والقساوة الشديدة وكان يكره المسيحيين كرهاً بليغاً ويسعى دائماً في أذيتهم حتى بلغ من أمره انه تحصل على أربعة أوامر من ديوكليتيان تقضي بابادة كل من لم يحن منهم هامته للاصنام ويعبدها منكراً مسيحه . فالامر الاول أصدره الامبراطور وهو في نيكوميديا ومضمونه الحكم بخراب معابد المسيحيين وحرق كتبهم وقد قاوم هذا الامر كثيرون من النصارى ولم يريدوا ان يسلموا بكتبهم وفضلوا ان يموتوا شهداء على ان يسلموا نفائس دينهم المقدسة ومن هؤلاء شماساً مصرياً يدعى تيموثاوس أخذ امام حاكم تيبايس فأمره ان يسلم ما عنده من درر كتبه المقدسة الكريمة وكنوز صحفه الروحية الثمينة لكي يحرقها فأجابه الشماس انه لو كان لي أولاد لاسرعت بتقديمهم ضحية أولى من ان أسلم كلام المولى المقدس ليزدرى به ويحتقر فأمر ان تقلع عيناه فقلعتا فقال له حينئذ الوالي انك أصبحت لا تستفيد شيئاً من الكتب لانك لا تستطيع ان تقرأها فلم يرد عليه جواباً فاغتاظ منه الوالي وعلقه من رجليه وثقل عنقه وسد فمه فلما شاهدته امرأته على

هذه الحال وكانت تحبه بادرت تلح عليه ان يعدل عن رأيه فما كان منه بعد ان استطلق فه الا انه أخذ يلومها على محبتها له المحبة الجسدية ثم أوضح لها ما يكنه ضميره من العزم على قبول الشهادة من أجل المسيح فأثر كلامه فيها وعزمت ان تقتدي بأثره فانطلقت الى الوالي واعترفت جهراً بالايمان امامه فأصحبها مع زوجها الى منقع العذاب وصلبها معه

والامر الثاني كان سببه احتراق قصر نيكوميديا فاتهم الوثنيون النصارى بحرقه · وشكوهم للملك فأثاروا غيظه حتى أصدر أمراً بقتلهم فذهب القديس جاورجيوس الكبادوكي أحد متقدمي الدولة فريسة هذا الاضطهاد لمجاهرته بالاعتراف بالدين المسيحي امام الامبراطور في تلك المدينة وعقيب ذلك بقليل أصدر أمراً ثالثاً وسببه حدوث فتن في بلاد ارمينيا وسوريا اتهم بها النصارى أيضاً فأمر الامبراطور بالقبض على الاساقفة وحكم على بعضهم بالموت حالاً وعلى البعض الآخر بالاشغال الشاقة في الورش والمعادن وفي هذا الاضطهاد أنكر مركلينوس أسقف رومية المسيح وذبح للاصنام معترفاً ان الصنم اله لكنه تاب أخيراً على يد مجمع مكاني اجتمع في سينوسيا ونال عقيب ذلك اكليل الشهادة واما الامر الرابع فكان مضمونه ان يقدم المسيحيون القرابين والضحايا للاصنام وان من امتنع منهم عن ذلك يعذب بأشد العذاب ويموت قتلاً فعظم مصابهم واشتدت وطأة العذاب عليهم ومن الادلة على شدة هذا الاضطهاد القصة الآتية · انه لما سمع شماس من قيسارية يدعى رومانوس بمصائب انطاكية انطلق اليها ليحامي عن نصاراها ويثبتهم على صخرة الايمان القويم فلما دخل باب المدينة رأى جمهوراً يساقون الى هيكل الاصنام ليسجدوا فيه فاخذت تلعب برأسه المروءة واوغرت صدره الغيرة والحماسة فتخلل بينهم وشرع ينذرهم محرضاً اياهم أن يثبتوا على ايمان المسيح ولا يلطخوا بوصمة تلك الحلة المقدسة التي اتشحوا بها من المعمودية فتأثروا من كلامه ورجعوا ناكصين على أعقابهم فلما شعر الحاكم بما فعله رومانس حنق عليه واستدعاه قائلاً اني لاختبرنك لاراك هل تكون وقحاً في العذاب كما انت الآن فاجابه الشماس حسنا لي ان أكون وقحاً غير اني بنعمة سيدي سأكون في الاعتراف باسمه الى آخر نسمة من حياتي فقد وضرب بحبال معقدة برصاص ثم مزق وجهه بأظفار من حديد وهو مع

ذلك لم يفتر من الاقرار بالمسيح ثم قال فقال له الحاكم ان مسيحك المصلوب انما هو اله أمس ولكن آلهة الوثنيين فهي من قديم فكانت امرأة حاضرة وبيدها طفل فاستدعاها وقال للملك انظر هذا الطفل الذي لم ينطق بعد أريد ان اسأله وهو يخبرك بالحق فذهل الحاكم ورضي ذلك فنادى القديس الطفل (وكان اسمه باروﻻس) قائلاً من هو الاله المستحق وحده السجود فأجاب الطفل ان الله واحد والسيد المسيح وأما عبادة آلهة كثيرة حتى الاولاد لا يمكنهم تصديقها فتعجب المحفل من هذه الاعجوبة أما الحاكم فأمر بجلده وفيما كان يجلد طلب ان يشرب فدنت منه أمه وقالت اعطش يا ابني الى تلك الكاس التي شرب منها أطفال بيت لحم مرة ثم أذكرته ان اسحق مع مشاهدته السكين والمذبح لم يأنف من تقريب ذاته ضحية فلما أغلظ الملك بضرب الطفل على هامته صرخت والدته تحمل ياولدي فانك جائز الى من يتوج رأسك بتاج المجد الدائم ثم أمر الحاكم بضرب عنقه فقبلته أمه تقبيل الوداع الاخير وفرشت ازارها تحت رجليه فضرب ومات شهيداً

أما رومانس فاضرم الحاكم ناراً ليحرق فقال له ان النار لا تفني حياتي فربط على خشبة وأضرمت ناراً تحته فارسل الله وابلا أطفأ النار وكان ديوكليتيان يومئذ بانطاكية فلما أخبر بهذه المعجزة دعى الحاكم وقال له من شهدت السماء ببره يجب اطلاقه فاجابه الحاكم ان هذه الاعجوبة من فعل السحر وانه اذا أطلق رومانوس جميع المدينة تصبح نصارى فاقتنع وشرع من ثم الحاكم بتعذيبه قال أوسابيوس المؤرخ أنه لما ضجر من كلام القديس وتعظيمه للخالق قطع لسانه فظل ينطق بما كان ينطق به ثم شنق .

وحدث ان ديوكليتيان بعد ما استمر يحارب الفرس مدة تنازل عن الكرسي سنة ٣٠٤ م وفعل كذلك في تلك السنة مكسيميانوس صديقه بعد ماقضى مدة في اطفاء نيران الثورات في أفريقيا وجرع المصريين كؤوس الموت وأذاق المسيحيين منهم كل نوع من العذاب المريع فانتقلت امبراطورية الغرب الى قسطنديوس خلورس وبقي امبراطوراً ١٥ شهراً فوقع مريضاً في مدينة يورك من أعمال انكلترا وكان ابنه قسطنطين في نيكوميديا فلما شعر بمرضه أسرع اليه سراً فسماه خليفة له وصادق على

دت أهل بريتانيا ونادوا باسمه فيها سنة ٣٠٦ م ثم زحف على فرنسا وبعد ما دبر أمورها سار الى ايطاليا وكان المجلس الكبير غير راض بقسطنطين فهيج الاهالي ضده ونادوا باسم مكسنتيوس بن مكسيميانوس امبراطوراً في رومية فعزم ان يقهر قسطنطين وبدأ بمحاربه وبعد عدة مواقع جرت بينهما كان الفوز في جميعها لقسطنطين عمد هذا ان ينازل عدوه في حرب جازمة فزحف بعسكره على ايطاليا ودنا من رومية ولما شاهد قوة جنود خصمه ارتاع وحاول ان يستمد العون من اله ما ولكن لما كانت آلهة الرومانيين كثيرة ولم يكن بعد مسيحياً ما عدا انه كان يعز اله المسيحيين كما كان يفعل أبوه احتار ان يطلب المساعدة من أيها وارتأى ان يوجه أنظاره نحو اله النصارى وحده وبينما كان يسير في مقدمة جيوشه شاهد في أفق السماء والفلك رائق صليباً من نور مرقومة عليه هذه الكتابة (بهذا تغلب) فاندهش هو وقواده من هذا المنظر العجيب واحتاروا في ماذا يكون منه وبينما كان الملك نائماً ظهر له المسيح في الرؤيا ومعه صليب وأمره ان يصنع مثاله ويجعل ذلك راية في حروبه فلما انتبه من النوم استدعى رجالاً ورسم صورة الصليب وأمرهم أن يرسموه راية على تلك الهيئة ففعلوا كما أمرهم وكانت هذه الراية حربة مصفحة من ذهب وفي وسطها عارضة بشكل صليب معلق بها منديل منسوج بذهب مرسومة فيها صورة الملك وصور أولاده وفي أعلى الصليب اكليل فيه الحرفان الاولان من اسم المسيح وانتخب لحملها من محافظي رأس الملك خمسين رجلاً باسلاً ثم اقتاد جنوده الى ميدان الحرب ففاز على عدوه وغلبه وفيما كان جيش مكسنتيوس فاراً من امام جيوشه الباسلة مر على جسر نهر تيبر فسقط الجسر وغرقت الجنود في النهر ففتحت من ثم رومية أبوابها لقسطنطين فدخلها واكليل النصر على هامته ثم صار مسيحياً واعتمد من يد سيلبسترس أسقف رومية . وأما علامة الصليب فقد أثبت ظهورها للملك أوسابيوس القيصري المؤرخ الكنائسي الشهير بما يقرب من العبارة التي أوردناها

وحدث ان الملك لما دخل رومية منصوراً ولم يلق من أهلها بشاشة وجه لتمسكه بالديانة المسيحية غضب من ذلك ولا سيما من انعكاف الاهالي على العبادة الوثنية فاختار لكرسي السلطنة مدينة البزنطية لنزاهتها وحسن موقعها بين أوربا وآسيا

ولكونها مشرفة على ثلاثة أبحر وهي بحر مرمرا والبحر الاسود والبسفور فرممها وبني أسوارها وقصورها ودعاها باسمه (القسطنطينية) . هذا ولما أخضع قسطنطين الغرب لسلطانه وجه شكية جواده لاخضاع مملكة الشرق وكان يومئذ غاليريوس (الذي كان في زمان ديوكليتيان قيصراً) امبراطوراً للشرق وكان أقام مساعداً له في تدبير المملكة كاليريوس بن أخته وفلافيوس ساويرس فمات هذا الاخير بعد ان استمر حاكماً سنتين فأقام بدله ليسينوس ولما مات غاليريوس أثناء الحرب مع قسطنطين وكان هذا صديقاً حميماً وصاحباً عزيزاً لليسينوس أمره ان يطرد كاليريوس ابن أخت غاليريوس من المملكة فحاربه وانتصر عليه في طرسوس نحو سنة ٣١٣ م واستقل من ثم بملك الشرق وجار على الرعايا وظلمهم وضيق على النصارى وقتل منهم أناساً كثيرين والقى أربعين شاباً في بحيرة مائي بلد تدعى سبسطية من بلاد ارمينيا أثناء برد الشتاء القارس فماتوا شهداء على اسم المسيح فلما سمع قسطنطين بسوء تصرف صديقه مع المسيحيين وباستقلاله في مملكة الشرق لامه كثيراً ولكنه لم يرعو فزحف قسطنطين بجيوشه الباسلة على الشرق وحاربه وانتصر عليه فدخلت من ثم المملكة الرومانية باسرها تحت حكمه ولما ارتاح من عناء الحروب وجه عنايته نحو خير الكنيسة وصالح بنيها فاخرج من خزائنه مبالغ جسيمة من الاموال لاجل عمارة الكنائس في مدينة اورشليم والارض المقدسة وسلم هذه الاموال لامه الاوغسطا هيلانة وأرسلها الى فلسطين وكان سفرها علة لسعادة سكان تلك البلاد الذين كانوا يلتجئون اليها من أغنياء وفقراء وأرامل وأيتام ومديونين ومرضى فكانت تعولهم وتتفقدهم وتسد احتياجاتهم وتوزع عليهم أموالاً وعند وصولها الى القدس هدمت معبد الزهرة الذي كان الوثنيون شيدوه على جبل الجلجلة واعتنت بكشف قبر المسيح فوجدت في مغارة بجانب القبر ثلاثة صلبان ووجدت لوح الكتابة الذي علق على الصليب المجيد منفصلاً لوحده ووجدت باقي ادوات الصليب ولما لم تعرف أن تميز صليب المخلص من غيره قدمت الثلاث صلبان بمشورة القديس مكاريوس أسقف المدينة ووضعت الواحد والثاني بحضور أعيان المدينة على امرأة كانت مصابة بمرض عضال منذ زمن مديد ولما وضعت الثالث قامت العليلة بريئة من دائها وزاد (زوسيموس) بانها وضعت الصليب على ميت فقام حياً

ولما مات قسطنطين سنة ٣٣٧ م اقتسم أولاده الثلاثة المملكة بينهم فاستولى قسطنطين على اسبانيا وفرنسا وبريتانيا وقسطنديوس على بلاد الشرق وقسطنس على ايتاليا وأفريقيا وصقليا وكانوا قساة القلوب منعكفين على الملاهي والتنعمات فأصدروا أمراً بقتل سبعة اشخاص من أقربائهم خوفاً منهم على الاحكام وأخذوا يعدمون باقي أعضاء عائلتهم شيئاً فشيئاً حتى أهلكوا الجميع ولم ينج من أيديهم سوى ولدين ضعيفين من أبناء عمهم وهما غالوس ويوليانوس ثم وقع بينهم الشقاق وعادى كل واحد منهم الآخر وبعد ما رجع قسطنديوس من محاربة سابور الثاني ملك الفرس منهياً ذلك بعقد شروط الصلح معه وقع بينه وبين أخيه قسطنس منازعة مات بسببها سنة ٣٤٠ م وبقي قسطنس حاكماً على الاقطار الشرقية مدة عشر سنين الى ان قتله مغنطيوس قائد الجنود الرومانية في غاليا طمعا باختلاس منصبه ولما بلغ ذلك قسطنطين نهض بجيش عديد للانتقام من القائد فحاربه في عدة وقائع حتى هلك من نخبة عسكره أربعة وخمسون الفاً واذ رأى مغنطيوس ما حل به من الذل والدمار قتل نفسه فاستقل قسطنطين بالمملكة باسرها وأشرك معه ابن عمه يوليانوس وسماه قيصراً ووجه به لمحاربة الافرنج وحلفائهم الذين كانوا نبذوا الطاعة له واماهو فاشتغل بصد هجمات الفرس ثم ان القيصر حارب الثائرين وانتصر عليهم فمالت اليه قلوب الجنود وأحبوه ودعوه امبراطوراً وذلك سنة ٣٦٠ م فزحف بهم على القسطنطينية واستولى عليها وكان الامبراطور مشتغلا بحرب الفرس فمات قبل وصول يوليانوس اليه وانفرد هذا بموت ابن عمه بكل المملكة وكان ذلك سنة ٣٦٢ م ومن أمره انه تعلم في مدارس المسيحيين ولكنه كان يميل للوثنيين فسمح أولا برجوع الاساقفة من النفي وباعادة أملاك الكنائس المغتصبة وسمح لكل انسان ان يعتقد بالله ما شاء وان يتمسك بأية ديانة يرغبها وقصد بذلك ان يجعل الناس سيما المسيحيين القويمي الرأي يمقتون أحكام قسطنطين الصارمة لانه كان يلزمهم ان يتمسكوا باعتقاد اريوس الوخيم . ثم شرع بعد ذلك بقليل في ترميم الهياكل الوثنية وصار يقدم كل يوم ذبيحة للاوثان وبدأ يعاكس المسيحيين وصار يمنح الوثنيين امتيازات مدنية ويطرد أولئك من خدمة الحكومة ويمنعهم من ان يحاموا عن أنفسهم في المحاكمات وابتدأ يسلب الكنائس ويعريها من الزينة ويسلب أوانيها ويجد باجتذاب

من كان ضعيفاً في الايمان الى الكفر بالمسيح تعالى بطرق مختلفة ومنها انه استدعى يوماً ما بعض الجند المسيحيين وأعطاهم نقوداً وطلب اليهم ان يلقوا بخوراً على نار كانت مشتعلة بجانبه فأطاع بعضهم خوفاً وفعل البعض الآخر ذلك من غير ان يدركوا القصد منه لكن لما وقفوا على ان الغرض منه احترام الآلهة نتفوا شعورهم وطفقوا يصرخون جهراً قائلين لم نخنك يايسوع مخلصنا ولكن الامبراطور خدعنا فليعلم الجميع اننا مسيحيون ثم ذهبوا الى قصر الملك ورموا الدراهم عند رجلي يوليانوس قائلين له اذبحنا تقدمة ليسوع المسيح واعط ذهبك لمن يسر بأخذه فغضب عليهم وأمر بقتلهم ثم عفى عنهم

لانه كان يجتنب القتل لعلمه أن المؤمنين لا يخشون من الموت ويفتخرون به فكان يثقل عليهم بالجزية وذكر أنه فرض على كل مسيحي أن يدفع أقة نفط مع ان هذا الامر قل من يقوم بوفائه منهم لكن لم تطل مدة اضطهاده اذ قتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ م ذكر أنه لما نبذ الفرس طاعته وخالفوا عليه شرع يحشد الجنود وأخذ بالاستعداد لمحاربتهم فبينما كان كذلك جاءه باسيليوس الكبير مع بعض الاساقفة فلما شاهدهم قال لهم لاي غرض أتيتم وماذا تطلبون فأجابه باسيليوس قائلاً أتينا نطلب راعياً صالحاً يرعانا بالاستقامة والعدل فقال له الملك ابن تركت النجار وجئت (يعني المسيح) فأجابه قائلاً تركته يصنع لك تابوتاً لتوضع فيه لانك فقدت المعرفة فقال له الملك قد قرأتها وحفظتها فأجابه القديس أي نعم لكنك لم تفهمها ولم يعها عقلك فاحتدم غيظاً من جرائه وأمر باعتقاله مع من معه قائلا لهم اذا عدت سأجرعكم كاس الموت فقال له القديس انك لن تعود والا فلم ينطق الله بفمي فصرخ الملك قائلا أعتقلوا هذا الجليلي الكذاب الذي يدعي النبوة ثم سجنهم وسار بجيشه الى بلاد الفرس فقتل في بلاد العجم وقيل انه في أثنا نزاعه صرخ قائلا غلبتني أيها الجليلي

أن الامور الخارقة الطبع المستحقة الاعتبار والواجب ذكرها دون غيرها التي حدثت في أثناء شروع هذا الملك بالحرب هي نجاز ما بقي من نبوة المسيح على خراب هيكل اليهود وذلك ان هذا الملك لبغضه للنصارى ولطمعه بمحق الوهية مسيحهم أدنى منه اليهود وقربهم اليه ووازرهم على اعادة بناء هيكلهم قاصداً بذلك ان يرشق نبوءه

المسيح بخرابه مؤيداً بسهام الكذب فوكل بذلك رجلا يدعى اليبيوس وأعطاه النفقات اللازمة وأمره ان ينجز هــذا المشروع بكل سرعة فاخذ اليهود يتقاطرون الى أورشليم من كل مكان واجتمع منهم فعلة في الهيكل بمــا لا يحصر فجرفوا المكان وحفروا الارض وقلبوا حجارة الاساسات القديمة وكان يشــترك الصبيان والشيوخ والنساء بهذا العمل متناولين في أطراف أرديتهم الحجارة والتراب وكان القــديس كيرلس أسقف أورشليم ينظر ذلك ويسخر به عالمــا انه أتى الوقت الذي تم فيه نبوة المسيح عن خراب الهيكل حرفياً بحيث لا يترك فيــه حجر على حجر فلــا انهوا من رفع حجارة الجدران القديمة وهموا أن يضعوا أساساً جديداً حــدثت للوقت زلزلة عظيمة ملأت الحفر ترابا وبددت أدوات البناء وكلت بعضاً من الفعلة أما اليهود فلم يرعووا ولم يتخذوا ذلك علامة لردعهم عن عمل كهذا مخالف لمقاصد غير مدركة ولذلك لمــا سكن جاشهم وهدأ روعهم عادوا الى الشغل مرة ثانيــة حينئذ خرجت من جوف الارض كرات نارية ورشقت الفــعلة بالحجارة التي كانوا مزمعين أن يضــعوها في الاساس وأذابت آلات البناء وحدث ذلك في كل مرة كانوا يشرعون بالعمل حتى تعجب الناس وكثير من الامم واليهود آمنوا بقدرة المصلوب فهذا الامر لم ينص على صحته آباء الكنيســة فقط كنفريغوريوس النزينزي وفم الذهب اللذين أخبرا به جهوراً كان كثير منهم يمكنهم ان ينثلم صحته لو كان غير صحيح لكن ذكره مؤمنون ويهود ومنهم ابيــان المؤرخ وأحد علمــاء اليهود في الجيل التالي أتى بذكره على سبيل العرض

ولمــا مات يوليانوس سنة ٣٦٣ م نودي باسم يوبيانوس أمبراطوراً فعقد صلحاً مع الفرس بعد أن اعطاهم أربع ولايات رومانية وفي ايامه تشيدت النصرانيةتانية ولكنه توفي قبل أن يصل الى القسطنطينية فأخلفه فالنتيانوس ســنة ٣٦٤ م وكان فظاً غليظاً فاشرك معه في الحكم أخاه فالنص وخصه بأحكام البلاد الشرقية وكان أريوسي المذهب وقد انتهج منهج يوليانوس الكافر فصرح للوثنيين بالتضحية للاوثان ورخص لليهود ان يجروا أمور دينهم بحرية ونفى الاساقفة المستقيمي الرأي وضيق على الارثوذكسيين في كل مكان وقتل منهم خلقاً كثيراً وأمر قائد جنوده بأن يقتل ٨٠ رجلا كانوا اكليروس القسطنطينية أرسلهم وفداً يشكون له ممــا حل بهم من الاساءة فأنزلهم القائد في مركب

وأحرقه بهم حين بعد قليلا عن البر - وحدث انه لما نفى اسقف الرها وأقام بدله أسقفاً غير شرعي أمر قائد جنده ان يجبر الاكليروس على ان يشتركوا مع الاسقف الدخيل فجمعهم القائد وحاول ان يقنعهم فلم يرضوا بل صرحوا انهم لا يقبلون غير راعيهم الشرعي فنفاهم جميعاً أما الشعب فلم يرضوا ان يشتركوا مع ذلك الاسقف ولما طردوا من الكنيسة صاروا يجتمعون كل يوم في الحقول ويتممون الفرض الكنائسي فلما شعر الملك بذلك غضب على قائده ووبخه توبيخاً عنيفاً على سكوته لم يمنع تلك الاجتماعات ثم أمره ان يزحف عليها بكل جنوده ويشتتها بالعذاب والقتل وكان القائد يحب حقن الدماء فانذر المؤمنين سراً بألا يمضوا في اليوم التالي الى مكان الاجتماع للصلوة حسب عادتهم فازدروا بنصيحته واحتسبوا قبولها والعمل بها اثماً عظيماً فبادروا في الغد باكراً جداً الى ذلك المكان فلما علم القائد بذهابهم استولت عليه الحيرة واذ لم يجد لنجاته سبيلا زحف بجيشه وأمرهم ان يضجوا ليرعبوا الشعب ويهربوا من امامهم وفيما هو مار في شوارع المدينة رأى امرأة مسكينة خارجة من بيتها غير مبالية بغلق بابه وعلى يديها طفل وهي تعدو بسرعة جارة ذيل ردائها على الارض بغير ان تهتم لكي ترفعه فلما تجاوزت صفوف العسكر بدون رهبة وقربت من القائد وقصدت ان تجاوزه أوقفها وقال لها الى أين تمضين أيتها المرأة مجدة في سيرك فقالت له الى الحقول حيث يجتمع المؤمنون فقال لها الا تعلمين ان الملك أمر بقتل كل من وجد هناك فقالت له بلى ولهذا أنا أسرع سائرة كي أبلغ الى هناك لئلا يفوتني اكليل الشهادة قال لها ولم تأخذين هذا الطفل معك فقالت له لكي يشترك في مجد أطفال بيت لحم الذين هرق هيرودس دماءهم فتعجب القائد من بسالتها ونكص راجعاً على عقبيه الى الملك وأخبره بكل ما رأى وسمع وتوسل اليه ان يعدل عن عزمه فاقتنع الملك برأي قائده وارخى للقويمي الرأي عنان الحرية

ثم توفي فالنتيانوس سنة ٣٧٦ م فتخلف عنه ابنه غراتيانوس واستقل بحكم الشرق والغرب حين مات فالنس بحرب الغوتيين الذين كانوا زحفوا بجموعهم على القسطنطينية وحاصروها وخرج فالنس لقتالهم فقتلوه ولما اتصل هذا الخبر الى غراتيانوس نهض لانقاذ المملكة الشرقية وأشرك معه ثاودوسيوس وولاه عوض فالنس وكان اسبونيولي

الاصــل موصوفاً بالحذاقة وحسن التدبير فحارب القوتيين واخضعهم ثم عقــد معهم صلحاً وحدث ان مكسيموس القائد الروماني في الغرب قتل غراتيانوس واغتصب المملكة لنفسه فاستجارت امرأة الامبراطور وابنها فالنتيانوس بتاودوسيوس فالتقاها بالترحاب وحارب ذلك المغتصب وقهره وقتله ورد المملكة لابن غراتيانوس سـنة ٣٨٨ م فاستمر قليلا ومات وبموته انفرد تاودوسيوس بحكم السلطنة الرومية الى ان توفي سنة ٣٩٥م في مدينة ميلان . وكان هذا الملك ذا همة عالية وغيرة شديدة بقدر ما كان سريع الغضب والدليل على سرعة غضبه وعدم تأمله في عاقبة الامور أمران وهما (الاول) انه كان رسم على أهل انطاكية فريضة باهظة سببت لهم نفوراً منــه وسخطاً عظيماً حتى انهم رموا تمثاله وتمثال الملكة من مكانهما وأخذوا يجرونهما في أزقة المدينة ساخرين بهما فلما شعر الملك بهذه الاهانة أصبح سكراناً بالغضب فباول حركة من غيظه عمد على ان يدمر المدينة لكن لما فاق من سكره أرسل من قبله معتمدين يفتشون عن المقترفين هذا الذنب

أما أهل المدينــة فلما شعروا بمصيبتهم القطعية أصبحوا مرتاعين لا ينتظرون سوى فروغ الاجل أما فلابيانوس أسقف المدينة الذي كانت احشاؤه متفطرة وجعاً وغماً وكان مقضياً ليله ونهاره بالبكاء والنحيب مبتهلاً الى الرب ليلين قلب الملك عن شعبه فقدم ذاته ضحية عن شعبه وخاطر بنفسه وسافر الى الملك فلما نظر نفسه حزينة وقلبه كئيباً رق له وأخذ يذكره بجميع الاحسانات التي أصبغها عن أهل انطاكية قائلاً أهذا هو جزاء احساني اهانة واحتقار فتأثر الاسقف واجابه قائلا (أيها الملك اننا مستحقون كل عقاب ان هدمت انطاكيــة وصيرتها أرضاً بلقعاً لا يقوم ذلك مقام ذنبنا وجزاء معصيتنا انما يوجد علاج لجميع شرورنا اعتبر أيها الملك بجودته تعالى كيف أنزل عظمته الى تواضع خليقته المخالفة والعاصــية فغفر لها وفتح لها أبواب الحيوة فان غفرت لنا كانت نجاتنا ديناً علينا أما حنوك فيزداد جلالا ويتعجب منه الكــفرة ويتحدون به الله عز وجل قائلين ما أعظم اله النصارى فانه يرفع ذويه الى أعظم المراتب ويصــيرهم مضارعين الملائكة تواضعاً ووداعة فلا تخف أيها الملك ان عفوك عن ذنبنا يجعــل باقي المدن تمرد وتخالف سطوتك لان حالنا المنكودة قد القت بهم الرجفة وخوفنا قد أضحى أمر من سائر ضروب العذاب فلا يلحقنك الحياء من أن تتنازل لشيخ ضعيف فانك ان

تنازلت وقبلت منه فأنت لله متنازل لأنه هو أرسلني لأقدم لك الانجيل باسمه القائل (انا لم تغفروا للناس زلاتهم فلا أبوكم السماوي يغفر لكم زلاتكم) فتذكر ايها الملك ذلك اليوم الذي به تقوم الملوك والرعايا أمام منبر الملك العادل واعتبر ان جميع ذنوبك تكون مغفورة ان صفحت عن ذنبنا) فلما سمع الملك هذا الخطاب أجابه متأثراً (امض يا أبت الى شعبك وطمئن مدينة انطاكية فأنا قد عفوت عن ذنبها اكراماً لرب المجد الذي اتخذ صورة العبد وسأل الغفران لمعذبيه الذين أغرهم باحسانه اذهب لرعيتك فانها لا تطمئن بعد هذا العارض حتى تشاهد راعيها)

(الثاني) ان أهالي تسالونيكي من أعمال مكدونية عصوا وخالفوا على الملك واحدثوا شغباً في المدينة قتل فيه الوالي فلما بلغ الخبر الى الامبراطور سعرت في قلبه نيران الغيظ فأمر على الفور بقتل جميعهم بدون تمييز بين البرئ والجاني فاهلك منهم بوقت واحد سبعة آلاف نسمة وكان وقتئذ في (ميلان) فكتب له امبروسيوس أسقفها يبين له فظاعة اثمه وحرضه على التوبة وأعلنه بعدم دخوله الى بيت الله قبل تمميمه واجبات التوبة فلم يرعو الملك ولم يلتفت الى تحديده بل ذهب ذات يوم الى البيعة فلقيه الاسقف في الطريق وقال له (قف في مكانك أيها الملك لاني اراك لا تشعر بجسامة ذنبك امعن نظرك جيداً ألك عينان تستطيع ان تبصر بهما هيكل الله وكيف يكون لك جراءة أن تطأ بمقدس الله الرهيب ويداك ملطختان بدم زكي) فأجابه الملك معتذراً عن ذنبه بداود الملك الذي زنى وقتل فقال له الاسقف قد ماثلته باثمه فعليك ان تماثله بتوبته فقبل الملك هذا الحكم ورجع الى بلاطه حزيناً واستمر ٨ أشهر فلما قرب عيد الميلاد تضاعف حزنه فقال في نفسه أيكون باب هيكل الرب مفتوحاً لاسافل رعاياي وتجاهي مغلوقاً) فذهب الى مكان قريب من الكنيسة حيث التمس من الاسقف أن يسمح له بالدخول اليها فقال له الاسقف ان الخطية الجهارية تقتضي توبة جهارية فرضي الملك بهذا الشرط ثم طلب الاسقف منه أن يسن سنة بتوقيف اجراء الحكم بالقتل على المجرم مدة ٣٠ يوماً فقبل ذلك وكتب هذه السنة وأمضاها حينئذ شفق الاسقف عليه وأذن له بالدخول فدخل الى الكنيسة خالعاً ملبوسه الملوكي وجاثياً على ركبتيه وعيناه تسكبان الدموع وهو يقول (لصقت نفسي بالتراب فاحيني ككلمتك) فخشع الشعب عند مشاهدتهم مليكاً عظيماً منطرحاً على الارض ساكباً نفسه قدام الرب وعيناه تقطران العبرات السخينة

الجيل الخامس

البابا كيرلس الكبير البطريرك الرابع والعشرون سنة ٤٠٤ م — ٤٣٠ م

(١) علوم هـذا الاب واحتجاجه عن الايمان ضد يوليانوس الكافر وغيرته ضد اليهود (٢) علاقته مع أساقفة افريقا (٣) تعليم الآباء في المسيح (٤) بدعة نسطور ونصيحة كيرلس له (٥) الحكم ضد نسطور في مجمع مسكوني عام

---

(١) ان كيرلس هو ابن أخت البطريرك السالف البابا ثاوفيلس وقد دعاه خاله الى مدرسة الدين في الاسكندرية حين بلغ من العمر سن الشبيبة فلبى دعوته ودخل المدرسة ودرس فيها العلوم الفلسفية التي كان الآباء يرون تعليمها للشبان ضرورياً للدفاع عن الايمان المسيحي ضد الذين كانوا يهجمون عليه ويرشقونه بالتمويهات والاكاذيب ثم أرسله خاله الى برية الاسقيط عند شيخ عابد اسمه سرابمون فتلمذ له وقرأ عليه سائر كتب الكنيسة وأقوال الآباء وارتاض عقله بممارسة التقوى والفضيلة مدة من الزمان الى ان دعاه خاله الى البطريركخانة ورسمه شماساً وعينه واعظاً في كنيسة الكاندرا فأحرز بهذه المهنة صيتاً حيداً واشتهر شهرة بليغة ولما رقى كرسي البطريركية برسامة مجمع أساقفة الكنيسة المصرية له وجه جل عنايته لمكافحة العبادة الوثنية والمحاماة عن الدين المسيحي وبدأ يشتغل بالرد على مفتريات يوليانس الفيلسوف الملك الكافر في مصنفاته العشرة التي كان شبان الوثنيين يتباهون بها ويفتخرون ويدعون انها هدمت أركان الدين المسيحي فاستمر الاب يفند ما انطوت عليه هذه المصنفات من الادلة ورد عليها جملة جملة وبرهاناً برهاناً حتى انتهى من جميعها . وحدث ان اليهود الذين كانوا قاطنين في الاسكندرية قد خامروا بغضة منهم لشخص القديس وتكرهاً لشهرة صيته على حياة المسيحيين ولذلك أشاعوا ذات ليلة خبراً ان النار اشتعلت في كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يبادروا اليها من كل

ناحية مالئين الشوارع كباراً وصغاراً مسرعين لاطفاء النار فانتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يفتكون بهم ويهدرون دماءهم بقساوة بربرية ولما كشف هذا الامر صباحاً لعموم المسيحيين تجمهروا في الكنيسة عند الاب كيرلس وعزموا على الانتقام بقتل اليهود جميعاً فلما لم يستطع الاب أن يسكن غضبهم تنازل لهم بعد عناء شديد بأن يكتفوا بطردهم من المدينة بدون ان يمسوا أحدهم بضرر فهجموا على كنيس اليهود وطردوهم منه واستولوا عليه وما فيه فلما بلغ هذا الامر (لاورستا) حاكم المدينة عكر خاطره على القديس لتنازله بالسماح لاولاده حتى شوشوا المدينة بطردهم اليهود منها ولم يعلم أنه لو لم يسمح بذلك للمسيحيين لكانوا ارتكبوا جرماً عظيماً أعظم مما ارتكبوا

(٢) ان راهباً بريطانياً اسمه بيلاجيوس هرطق وكان موضوع هرطقته ثلاثة أمور وهي (أولاً) ان خطيئة آدم كانت قاصرة على نفسه ولم تمس أحداً من نسله (ثانياً) ان كل انسان يولد جديداً يكون بمثابة آدم حين خلق وقبل ان يخطيء (ثالثاً) ان كل انسان يمكنه بمجرد قوته الطبيعية وحريته المطلقة ان يبلغ أسمى درجة من القداسة بدون أن يفتقر الى مساعدة النعمة الالهية فجذب هذا المبتدع الى تعليمه الباطل شخصاً اسمه كلستينوس وذهب معه الى أفريقا ثم تركه في قرطجنة ورجع الى مصر ففلسطين فاجتمع على كلستينوس مجمع قرطجنة سنة ٤١٢ م وحرمه وأما بيلاجيوس فتبع حزب أوريجانوس ولما شكي ودعي ليحتج عن نفسه في مجمع (لد) اعترف اعترافاً قويماً وأمضى على أحكام مجمع قرطجنة وشجب كلستينوس صاحبه فأبلغ هذا الامر أورسيوس تلميذ اغسطينوس لاساقفة أفريقا فجمعوا مجمعين وفي كليهما حرموا بيلاجيوس ورفيقه وكتبوا لاينوشنسيوس اسقف رومية ضدهما فقبل حكمهم ثم توفي هذا الاسقف وأخلفه زوسيموس فالتجأ اليه ذانك الهرطوقيان فقبلهما ودافع عن تعليمهما حين انخدع من ظاهر عبارتهما الملتبسة وكتب لاساقفة أفريقا يعنفهم على حكمهم ضدهما وجمع مجمعاً برر المحكوم عليهما وأرسل رسالة للافريقيين مملوءة من التبكيت والتعنيف لهم فأقاموا عليه الحجة وعقدوا مجمعاً سنة ٤١٧ م وبمشورة اغسطينوس الشهير أسقف هبو جمعوا مجمعاً آخر في السنة الثانية مؤلفاً من ٢١٤ ونيف وكان البابا عدل عن

رأيه وأرسل الى هذا المجمع نواباً من عنده ومعهم لائحة تشتمل على أربعة فصول أعظمها وجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا كما هو مقرر في مجمع نيقيا المسكوني : فلما أمر اوريليوس أسقف قرطاجنة رئيس المجمع ان تقرأ أعمال المجمع النيقاوي طلب اليه اولئك النواب ان يأمر بتلاوة تلك اللائحة فتليت . ولما سمعها الآباء قالوا ان نسخ أعمال المجمع النيقاوي ليست فيها شيء من دعوى زوسيموس ولكي يرفعوا الشبهة والريب عن أنفسهم قرروا ان تستحضر صور أعمال المجمع الصحيحة الاصلية من كنيسة الاسكندرية والقسطنطينية والانطاكية ثم اختتموا هذا المجمع بالحكم على بيلاجيوس ورفيقه وبعد ذلك ظهر قس أفريقي في أبرشية سيكي اسمه ابياريوس اشتهر بالقبائح فحرمه المجمع فاستجار بزوسيموس فقبله في شركته وهو محروم وأرسله بتحارير توصية الى أساقفة أفريقا غير ان المجمع نظراً لقانون ٣٦ المجدد في قانون ١٣٤ من قوانين أسلافه الذي فحواه ان كل اكليروسي يستأنف دعواه ضد أسقفه في عبر البحر لا يقبل في أفريقا البتة اعتبروا ان البابا مداخل بطرق المحبة لا الحكم فقبلوا القس ابياريوس وفي هذه الاثناء توفي البابا زوسيموس وأخلفه بونيفاتيوس فكتب له المجمع رسالة شرح له فيها ما أجراه ووعده أن يحافظ موقتاً على ما اشتملت عليه اللائحة التي سلمها له نواب سلفه المذكور فيها وجوب استئناف حكم الاساقفة الى بابا رومية أي الى حين ترد اليهم نسخ مجمع نيقيا الصحيحة من الكنائس الكبيرة حتى اذا وجدت مطابقة لما في تلك اللائحة يثبته ويقر عليه ويسير بموجبه دائماً وكان الجالس على كرسي الاسكندرية صاحب الترجمة وعلى الكرسي القسطنطيني اتيكوس فأرسل كل منهما نسخ مجمع نيقيا مصحوبة برسالة فقابل المجمع هذه النسخ المرسولة من كيرلس واتيكوس فوجدها مطابقة لترجمة الافريقية الخالية من دعوى زوسيموس وأرسلوا من ثم الى البابا بونيفاتيوس تلك النسخ مع الاشخاص الذين أحضروها من الشرق فأخذ البابا تلك النسخ وقرأها واقتنع بها

وحدث ان أبياريوس رجع الى حالته القديمة فحرمه المجمع وكان بونيفاتيوس قد توفي وقام بدله كلستينوس فاستنجده ذلك القس فقبله البابا وأرسله صحبة أسقف الى مجمع قرطجنة مؤكداً عليه ان يغصب الاساقفة على قبول القس فأبى المجمع الا قطعه ولم

يكترث بأوامر البابا بل حرر له رسالة بسط له فيها المسألة من الاول الى الآخر ومنها ما يأتي : وأما من جهة ارسال أشخاص من جانب قدسك فلا نجد ذلك محدداً في مجمع من مجامع الآباء لان ما أرسل من عندكم قديماً بواسطة أخينا الاسقف فافستينوس نفسه كان مأخوذاً من مجمع نيقية لم نستطع أن نجد شيئاً مثله في أصدق نسخ مجمع نيقية التي تحصلنا عليها من أخينا كيرلس الجزيل القداسة أسقف كنيسة الاسكندرية ومن اتيكوس المكرم أسقف القسطنطينية وقد أرسلت لنا عن النسخ الاصلية وقبل هذا العهد أرسلت منا الى سيادتكم المكرم الذكر الاسقف بونيفاتيوس بواسطة القس اينوشنتيوس والايبودياكن مركلس اللذين أرسلتا بواسطتهما من ذينك الاسقفين

(٣) كان اباء الكنيسة الشرقيون والغربيون يعلمون في المسيح أنه واحد بالوحدة الطبيعية والاقنومية وكان بعضهم يعبرون عن ذلك بأن اللاهوت اتحد بالناسوت اتحاداً طبيعياً وجوهرياً وذاتياً أو بان الاتحاد بين الطبيعتين هو طبيعي الخ والبعض الآخر يقولون بأن الله الكلمة صير الجسد معه واحداً او ان اللاهوت والناسوت هما واحد وغيرهم يقولون ان طبيعة واحدة للكلمة المتجسد وكل منهم لكي يجتنب في عبارته ما يتوهم الانسان انه على مذهب ابوليناريوس اللاذقي يجتهد أن يؤيد كمال جوهر الناسوت وان المسيح ذو جسد ونفس حقيقيين كاملين ولكي يجتنب في قوله ما يوهم انه على مذهب اريوس يجتهد ان يثبت في المسيح حقيقة الجوهر اللاهوتي الكامل ولكي نتمكن من الوقوف على حقيقة هذه المبادئ ندرج هنا أقوال بعض المؤرخين . قال موسهيم المؤرخ الانكليزي (كان دأب العلماء ان يختلفوا في التعبير عن أفكارهم في هذا السر فالبعض استعملوا عبارات تدل على تميز ابن الله عن ابن الانسان تميزاً عظيماً وعلى وجود شخصين في المسيح والبعض البسوا ابن الله بابن الانسان واعتقدوا باتحاد الطبيعتين وبتركيب طبيعة واحدة منهما فالعلماء السوريون والشرقيون اختلفوا عن علماء الاسكندرية . وقال ان اقليمس المرحوم لكي يلاشي معتقد نسطور خصمه الالد شرح التعليم في شخص المسيح على نسق المصريين مقرراً ان في المسيح طبيعة واحدة أي طبيعة الله المتجسد وقال ايضاً ان ديسقوروس الذي في كنيسته كانت تعلم نحو هذه [illegible] دبر بمخافة وسلب كل الاعمال حتى انتصر التعليم

بطبيعـة واحدة متجسدة (قرن ٥ ق ٢ ف ٥ : ٥ و ١٣ و ١٤) وقال المؤرخ شارب الانكليزي في الجزء الثاني في الفصـل العشرين من تاريخه وبمـا ان مذهب القبطي كان منطبقاً تمـام الانطباق على مذهب الكنيسـة المصرية قام ديسقوروس أسـقف الاسكندرية له منتصراً

قال الاب الارشيمندريت جراسيموس مسرة في الجزء الاول من تاريخ الانشقاق وجه ١٩١ ما هو . ان مدرسـة الاسكندرية كانت تعتقد بكمال الطبيعة البشرية في شخص المخلص ضداً لتعليم أبوليناريوس وبكمال الطبيعة الالهية ضداً لتعليم اريوس ولكن تعبير معلميها كان غير معين في ايضاح وجه اتحاد الطبيعتين واختلف بعـد ذلك عن التعبير الكنائسي المعين فقالوا مثـلاً بالاتحاد الطبيعي والاتحاد الشخصي والاتحاد الجوهري بين الطبيعتين وبعضهم نظروا الى الطبيعة الالهيـة بنوع خصوصي وقالوا بطبيعة واحدة متجسدة وماعنوا بكل ذلك سوى الاتحاد الحقيقي بين لاهوت الكلمة وناسوته وان الاله المتأنس شخص واحد وليس اثنين — وقال في وجه ١٩٢ وكان معلموا الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين في المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديوناسيوس الاسكندري في أواسط القرن الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناداً على قول الانجيل (والكلمة صار بشراً) وقول بولس (رب واحد يسوع المسيح) ويعترف بطبيعـة واحدة للاهوت الغير متألم والناسوت المتألم)

وقد غلط هذا الارشمندريت في عزو رسائل يوليوس البابا الروماني الى ديوناسيوس الاسكندري لمـا بين هذا وذاك من مدة مئة سنة تقريباً فان ديوناسيوس الاسكندري كان في أواسط الجيل الثالث وقد ارتقى كرسي الحبرية سنة ٢٤١ م وتوفي سنة ٢٦٢ م راجع ص هذا التاريخ وأما يوليوس الاسقف الروماني فكان في أواسط الجيل الرابع وكان من المعاصرين له من بطاركة الاسكندرية اثناسيوس الرسولي الذي رقد بالرب سنة ٣٦٤ م وقد اقتفى أثر الارشمندريت بغلطه هـذا حضرة القمص فلتاوس في كتاب الحجة فاستحق هذا الفندي وذاك القائد ان يصوب نحوهما صاحب كتاب سقوط الحجة سهام الملامة وبين غلطهما حتى التزمت جريدة الحق ان تستدرك اصلاح هذا الخطاء في

عدد ١٥ من السنة الثالثة والصحيح ان رسائل يوليوس كانت الى ديوناسيوس أسقف قبرص لا الى ديوناسيوس أسقف الاسكندرية وهذا نقله من رسالة الانبا يوحنا البطريرك الانطاكي التاسع والثمانين من عدد بطاركة انطاكية التي أرسلها وهو مأسور في بلاد الروم الى البابا مينا الاسكندري البطريرك الحادي والستين من عدد بطاركة الاسكندرية وضمنها عدة أقوال للآباء تؤيد القول بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد وقد أورد من أقوال يوليوس أسقف رومية ثلاث عبارات كل واحدة تتضمن الاعتراف بالطبيعة الواحدة واحدى هذه العبارات من رسالته الى أسقف قبرص وهي قول الانبا يوحنا (وله أيضاً من رسالته الى ديوناسيوس أسقف قبرص : يضطرون اذا اعترفوا بطبيعين ان يسجدوا للواحد والا يسجدوا للآخر وان يعمدوا بالالهي والا يعمدوا بالناسوتي :

ولكيما نقف على أقوال الآباء المؤيدة لمباديهم في الاعتقاد بسر التجسد كما أشرنا الى ذلك وأثبتناه من المؤرخين نذكر شذرات من تلك الاقوال على سبيل الاعتبار ونستغني بها عن النصوص المطولة وهي هذه

من رسالة أثناسيوس الرسولي الى يوبيانوس الملك - انه يجب ان نعتقد بطبيعة واحدة واقنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال ومن لم يقل كذلك فانه يخاصم الله وينازع الآباء القديسين

ومن مقالة لهذا الرسولي على سر التجسد : نحن نعترف به (أي المسيح) انه ابن الله بالروح وابن البشر بالجسد ولسنا نقول بأن هذا الابن الواحد طبيعتان واحدة نسجد لها والاخرى لا نسجد لها بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد الذي يسجد له مع الجسد سجوداً واحداً .

من رسالة يوليوس أسقف رومية الى ديوناسيوس أسقف قبرص : ان اللاهوت والجسد هما واحد لا ينقسم طبيعتين ... يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين ان يسجدوا للواحدة والا يسجدوا للاخرى وان يعمدوا بالتي للاهوت لا بالتي للناسوت فان كنا نعمد بموت الرب فهو طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت الغير المتألم والجسد المتألم. وهذه الشهادة هي التي أوردها الاب جراسيموس مسرة وذكرناها سابقاً

من مقالة لغريغوريوس التاولوغس على الثالوث المقدس . ليس المسيح طبيعتين من بعد الاتحاد وليس هو مفترقاً ولا مختلطاً فيما اجتمع من الجهتين . ان طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية

من المقالة الثالثة لتفسير يوحنا فم الذهب لرسالة أفسس (اني لا أقول (عن المسيح) انه انسان وانه متعزل وحده بأقنومه أو منفرد عن الله الكلمة ليصير اثنين ابن الله وابن انسان لكني أبين الامر ان الله الكلمة أخذ له انساناً كاملاً من طبيعتنا وهو أي الكلمة كامل في كل شيء ولذلك نقول عنه انه طبيعة واحدة للكلمة الذي صار جسداً وصار انساناً . . . نحن نعرف الذي منا المتصل بالكلمة بوحدانية لا ينطق بها بغير افتراق وكما ان الجسد لم ينقل جوهر اللاهوت هكذا ان اللاهوت لم ينقل الجسد . . . . قال (المسيح) اني صاعد الى أبي وبعد هذا قال والهي أي اني اله واني انسان معاً واني واحد فقط أقول هذا وذلك لاني قبلت كل ما للبشر مما ليس فيه خطية أي اني أخذت الناسوتية بالحقيقة وهكذا دعوت أبي الهي كما يليق بالجسد الذي صيرته واحداً معي) ومن أقوال هذا الاب كما أورده(بيروني اليسوعي في كتاب مختصر المقالات اللاهوتيــة في الجزء الثالث وجه ١٦٨) ان الله الكلمة والجسد هما واحد بالوحدة والاتحاد دون اختلاط أو تغير الجوهرين بل باتحاد غير موصوف وغير منقسم) من مقالة للاب كيرلس الكبير في تعليم الموعوظين (ان ربنا الكلمة الاله الذي من الاب خلق له جسداً كاملاً . . . وصيره واحداً معه كطبيعته الالهية من الرحم بما لا يدرك . . . انه تألم وذاق الموت بالجسد بارادته على الصليب وهو واحد مع الجسد الذي ذاق به الموت .

ومن مقالة هذا الاب على الثالوث كرر هذا القول (ان طبيعة المسيح واحدة غير مفترقة) مرتين وفيها ايضاً ذكر (ان الجسد واحد مع اللاهوت) دفعتين وفي رسالته الى يوحنا المتمسك قال هذه العبارة مرة واحدة

من رسالة هــذا الاب الى نسطور (ان الكلمة تجسد وصار واحداً مع النفس الناطقة والجسد . . . ان كلمة الله غير ماثتة وغير متغيرة وهو الحيوة والمحيي الكل وهو واحد مع جسده . . . ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا صار واحداً مع الناسوت . . .

نعترف بالواحد المسيح الرب ولسنا نحن مثل من يسجد للانسان والكلمة لان الجسد ليس غريباً من الكلمة بل هو واحد معه فقط

من رسالته الى يوحنا بطريرك انطاكية . صار توحدانية الطبائع ولاجل هذا نعترف بمسيح واحد ورب واحد وبهذا الفكر الذي للاتحاد (الذي) من غير اختلاط نعترف ان العذراء القديسة ولدت الله الكلمة الذي تجسد وصار انساناً والجسد الذي اتخذه منها صيره واحداً معه من الوقت الذي حبل به

وذكرت عبارة صيرورة الكلمة واحداً مع الجسد في رسالة مجمع الاسكندرية الاقليمي الى نسطور وفي حرمه الثاني من حرومه الاثني عشر وقال هذا المجمع في حرمه الخامس (من يجسر ويقول ان المسيح انسان لابس الله وليس الهاً بالحقيقة وابناً واحداً بالطبيعة لان الكلمة صار جسداً وشارك اللحم والدم مثلنا فليكن محروماً .

ومن رسالة الاب كيرلس الى سوقينوس أسقف قيسارية مجاوباً على سؤاله الذي هو (هل يجب ان يقال ان المسيح طبيعتان أم لا) ان الكلمة الذي من الله الاب بما لا نعرفه أو ننطق به صير الجسد واحداً معه وله نفس عاقلة ونحن نقول عن الكلمة الذي من الله الاب انه صار واحداً مع جسده المقدس . . . ان الطبيعتين اجتمعتا طبيعة واحدة ومن بعد الاتحاد لا نفرق بعضهما من بعض ولا نقسم الواحد الغير المنقسم ونجعله اثنين بل نقول انه ابن واحد وحيد مثلما قال آباؤنا انه طبيعة واحدة للكلمة الذي تجسد

ومن رسالته الثانية لهذا الاسقف . ان أولئك القديسين لم يكونوا غير عالمين بأن الجسد الذي صار واحداً مع الكلمة له نفس عاقلة والذي يقول ان الكلمة صار جسداً يبين انه لم يصر معه واحداً بغير نفس عاقلة . . . نحن نقول انه من بعد الاتحاد طبيعة واحدة للابن الذي تجسد

ولكيما يحقق القارئ ان هذه النصوص التي أوردتها هنا هي صحيحة الترجمة والنقل ومنسوبة بوجه الصواب لاربابها أورد له شيئاً من رسائل الاب كيرلس المدرجة في كتاب مجمع أفسس الذي استحضره السيد الذكر رزق بك جرجس باللغة العربية

رومية ومن سوء البخت اني لم أتمكن من مطالعة هذا الكتاب بأكمله بل قد طالعت الجزء الاول منه فقط والشواهد الآتية هي من هذا الجزء

من رسالة الاب كيرلس الى متوحدي مصر . ان عمانوئيل الرب الواحد يسوع المسيح مركب من شيئين أي من اللاهوت والناسوت

من رسالته الى ثاودوسيوس الملك (ص ١٠) ومن أجل ذلك اذ جمع بولس الالهي اللاهوت والناسوت الى واحد مع انه يوجد بينهما فرق عظيم لا قياس له من جهة ذاتيهما بين ان من كليهما قد تألف مسيح واحد اله واحد ابن واحد

من هذه الرسالة أيضاً (ص ٣٩) اننا لا نعري الناسوت من اللاهوت ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذي لا يمكن تفسيره بل نعترف ان المسيح الواحد من شيئين قد اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف للغاية

من رسالة له وللجمع الاسكندرية الى نسطور . انه لما كان (الكلمة) حيوة بالطبع بما انه اله فلما صار واحداً مع جسده منحه للحين قوة ليحيي

(٤) واذا عرفت هذا فنقول ان نسطوريوس الذي من مرعش وراهب دير مار ابروبيوس بجوار انطاكية قرأ علومه على ثيودورس المبسوستي واشتهر بالفصاحة ولكنه كان دنيء التربية وعاتياً وجاهلاً عديم الفطنة فانتخبه الملك ثاودوسيوس الصغير بطريركاً على القسطنطينية فلما رقى هذا المنصب الرفيع وعظم شأنه سلك للكبرياء والعظمة كل مسلك وأعجب بذاته وكان يوماً ما يعظ في الكنيسة فوجه خطابه نحو الملك قائلاً : استأصل أيها الملك معي الهراطقة وأنا أستأصل معك جنود الفرس وأملكك فوق ذلك جنة الخلد) فلم يلبث مدة حتى سقط في الارطقة مجدفاً على الكلمة بناسه فميز الاله على جانب والانسان على جانب آخر وفصل المسيح الى طبيعتين وأقنومين واستنتج من هذه المقدمات أمرين أحدهما ان العذراء لم تلد سوى الانسان ولذلك لا يجب ان تلقب بام الاله والثاني ان الاله لم يولد ولم يتألم ولذلك لا ينبغي ان يقال ان الاله مات فهذه الامور جرأته على ان ينقص من ترتيمة الثلاث تقديسات العبارة الاخيرة التي تدل على ولادة الاله من العذراء وصلبه وقيامته وهي بعد قوله (قدوس

الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت) قولهم (يا من ولدت من العذراء ارحمنا يا من صلبت عنا ارحمنا - يا من قت من الاموات وصعدت الى السموات ارحمنا) .

فلما وقع تعليمه في آذان الشعب القسطنطيني موقع الاستغراب أهانوه وتظاهروا ضده في الشوارع وفي الكنائس فقابل هو ذلك بتشديد المعاملة أيضاً ثم عقد مجمعاً وحرم جميع الذين يذهبون ضد تعليمه وهكذا أخذت أراء نسطور تمتد الى الجهات ووصلت الى الاسكندرية حيث كان على كرسي أسقفيتها القديس كيرلس مشهوراً بشدة الغيرة على العقائد الدينية فكتب رداً على هذه الاراء في رسالة الى متوحدي مصر وأيد الحقيقة الارثوذكسية بأدلة دامغة فانتشرت حالاً هذه الرسالة وأخذت منها نسخ الى جهات مختلفة حتى وصلت الى العاصمة فاغتاظ نسطور مما احتوت عليه وأمر افوتيوس أحد كهنته ان يرد عليها ويبرره من كل وصمة ضلال ففعل مبرراً نسطور من عيوب الهرطقة وراشقاً كيرلس بمذمات فظيعة ناسباً اليه كل خلة رديئة مريداً بذلك ان ينزله من اعتباره امام الناس . أما كيرلس فبصفة كونه مرشداً ومخلص النصيحة وخالي الغرض كتب رسالة الى نسطور برر ذاته بها مما اتهم به وأوضح له مبادئ الايمان القويمة وأعلمه انه غير خائف من بأسه وانه مستعد للدفاع عن الحقيقة حتى الموت فرد نسطور على كيرلس بخطاب مختصر استنتج منه القديس انه غير راض بالعدول عن وخامة معتقده . وكان لبطاركة الاسكندرية وكلاء في العاصمة يقضون ما يلزم البطريركخانة من المهام والمصالح في البلاط الملوكي فخاطبهم ان يلاحظوا جميع تصرفات نسطور ويخبروه بها وفيما كانوا ساعين بتنفيذ طلب كيرلس أخبرهم بعض كهنة نسطور بأن معلمهم ليس غريباً عن الايمان المستقيم وانه يرغب جداً بالصلح والسلام . فمع كون الوكلاء لاحظوا من نسطور ما ينافي هذا الامر قد أخبروا أسقفهم بما سمعوا ثم أعرضوا عليه صورة اعراض مضمونها ان نسطور اراتيكياً واستأذنوا منه اذا كان يراها موافقة ان يأمرهم بتقديمها الى الملك فبعد ما اطلع كيرلس على هذه المحررات أمر وكلاءه ان يؤخروا تلك الاعراض ويسعوا عند نسطور بأمر الصلح بشرط ان يحرر له صورة اعتراف الايمان القويم ويرفض مباديه الاولى لكي يشهر براءته من عيب الهرطقة في كل العالم المسيحي وكتب

مثل ذلك الى نسطور وحرر رسائل أخرى الى العائلة القيصرية شرح فيها سر التجسد فلما وقف نسطور على مضمون رسالة كيرلس أجاب عليها بخطاب مملوء من روح الخشونة والافتخار زاعماً ان تعليمه قويم وحيد لا يتخلله نقص ولا فساد . فعقد الاب كيرلس مجمعاً في الاسكندرية عرض عليه كل رسائله فاستصوبها المجمع وحكم بصحتها وفعل نسطور بعكس ذلك وكتب لكثيرين من الاساقفة ولاسقف رومية أيضاً وهو البابا كلستينوس اذ ذاك الحين فلما بلغ البطريرك كيرلس ذلك كتب هو أيضاً للبابا ولغيره من الاساقفة وأفادهم ان الارثوذكسية تحت خطر عظيم بسبب تعليم نسطوريوس وأرسل رسالة البابا مع واحد مخصوص اسمه بوسيذونيوس وأوصاه ان يلاحظ ويفهم فاذا كان نسطوريوس كتب للبابا كا بلغه فيعطيه الكتاب وان كان نسطوريوس لم يكتب له فلا يعطيه فلما وصل الرسول علم ان نسطوريوس كتب للبابا فدفع هو أيضاً كتاب كيرلس له ومن ثم عقد البابا مجمعاً حكم بعدم استقامة تعليم نسطوريوس وكتب رسائل الى رؤساء كهنة الشرق وكان قرار هذا المجمع يتضمن التهديد لنسطوريوس بقطع العلاقات منه اذا لم يرجع عن أرائه في مدة عشرة أيام فأرسل الجمع الى كيرلس لكي يعلنه لنسطوريوس فلما وصلت تحارير البابا كتب البطريرك كيرلس أيضاً رسائل الى رؤساء كهنة الشرق وطلب اليهم ان يقنعوا نسطوريوس بالرجوع عن أرائه ومنهم اكاكيوس مطران حلب الشيخ البالغ يومئذ من العمر مئة سنة ثم عقد مجمعاً في الاسكندرية كتب رسالة الى نسطور يعلمه فيها كيف يجب أن يؤمن واضاف اليها اثني عشر بنداً يشتمل كل بند منها على قضية وحرم ضد الذين يعلمون الخلاف وكلفه ان يمضي عليها فاعتبرها نسطوريوس غير مستقيمة وكتب ضد كل بند منها [illegible] بحرم ثم نشرها في الشرق فكتب كثيرون من الاساقفه ضدها ومنهم اندراوس اسقف سيساط وخصوصاً ثاودرتوس أسقف كورش كتب ضدها بايعاز من يوحنا بطريرك انطاكية اثني عشر فصلاً وكتب مؤلفاً في تجسد الكلمة ضد كيرلس وايبا أسقف الرها كتب رسالة دافع فيها عن نسطوريوس وهكذا انقسمت الكنيسة الى شطرين فكانت كنائس روميه واورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبطريرك كيرلس وكنيسة انطاكية تابعة لنسطوريوس .

وكان اكليروس القسطنطينية جهر بالمقاومة نسطوريوس فطردهم واضطهد بعضهم فكتبوا كتاباً للقيصر تاودوسيوس الصغير يطلبون اليه ان يعقد مجمعاً مسكونياً وينصفهم فقبل القيصر طلبهم ونادى بالتئام المجمع في أفسس وعين لافتتاحه يوم عيد العنصرة فبعد ما أكمل الآباء مراسيم عيد الفصح بدأوا يتقاطرون الى تلك المدينة فحضر أولاً الاب كيرلس ومعه خمسون أسقفاً وكذلك حضر نسطور ورفقته أربعون أسقفاً من الخاضعين لسلطانه وحضر يوبيناليوس أسقف أورشليم وحضر غير هؤلا أساقفة كثيرون من جهات مختلفة . وأما الملك تخوفاً على تقييد حرية المجمع لم يستحسن ان يحضر فيه بل اكتفى بأن يرسل معتمداً من قبله اسمه كانديديانوس كان محافظاً أولاً للعائلة الملوكية وأمره ان يلازم الحيادة ويلاحظ سلام الجميع غير ان أساقفة الشرق ويوحنا الانطاكي ونواب كنيسة رومية تأخروا عن الحضور . وقبل ان يأتي اليوم المعين لافتتاح أول جلسة كان كثيرون من المطارنة يترددون على نسطور ساعين في ان يجذبوه الى الاتفاق مع كيرلس أو يسمعوا منه شيئاً من مباديه فلم يحصلوا من ذلك على طائل ولما حان الوقت المعين ولم يحضر المتخلفون بعد ومضى على هذا الوقت خمسة عشر يوماً وردت الى المجمع رسالة من أساقفة الشرق يعتذرون فيها عن ابطائهم ويعدون انهم بعد خمسة أو ستة أيام يصلون ثم فهموا من مطرانين شرقيين نقلا عن فم يوحنا الانطاكي بأنه لا حرج على الاساقفة اذا افتتحوا المجمع قبل وصوله الى افسس وخلاف ذلك أمور محبية استدعتهم أن يبادروا بالعمل فأرسل الآباء من ثم أربعة أساقفة الى نسطور يدعونه الى الحضور في المجمع في اليوم التالي فأجابهم أنه لا يرى في حضوره الى المجمع ضرورة وهكذا أجاب كل واحد من الاساقفة الذين معه ثم أعيدت دعوته ثانية وثالثة فكتب تحريراً لكيرلس موقعاً عليه من ١٦ مطراناً و ٥٠ أسقفاً يقول فيه انه لا يحضر الى المجمع قبل وصول يوحنا وأساقفته فلم يبال الآباء بذلك وابتدأوا بعقد الجلسة الاولى وفيها تليت رسائل كيرلس وبنوده الاثنا عشر ورسالة كلستينوس الى نسطوريوس والى أساقفة الشرق وقرار مجمع رومية وقرار مجمع الاسكندرية فصدق عليها وصدق على الاحكام التي ضد بيلاجيوس وكلستينوس وحتم بأن لا يسن قانون ايمان غير دستور الايمان المعروف وأن لا يزيد أحد فيه

ولا ينقص منه شيئاً وحرم كل من يعمل خلاف ذلك وسن ثمانية قوانين ومن القانون الثامن العبارة الآتية وهي (لا يجوز لاحد من الاساقفة الوقورين أن يمد يده الى أبرشية غير أبرشية ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رئاسة أسلافه وان كان أحد وضع يداً واغتصب أبرشية وجعلها في دائرته فليردها لكي لا تخالف قوانين الآباء ولا يدخل دخان سلطة عالية تحت برقع الخدمة الكهنوتية ولا تضيع الحرية رويداً رويداً ونحن غافلون . الحرية التي منحها لنا بدمه الخاص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكوني المقدس أن تحفظ لكل أبرشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ البدء سالمة صحيحة وفقاً للعادة المرعية منذ القديم بأن لكل ميتروبليت له الرخصة أن يحصل على المساواة في الاعمال لصيانته وان برز أحد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكوني المقدس أن يكون ذلك لاغياً)

وأما فيما يختص بالحكم ضد نسطوريوس فقالوا ما نصه (من المجمع المقدس الملتئم في مدينة افسس هذه الميتروبوليتية برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملككنا الكلي العبادة والحسن الديانة الى نسطوريوس يهوذا الثاني . اعلم أنه لاجل تعاليمك النفاقية وعصاوتك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة وحكم عليك بأنك مفروز من كل درجة ومعدوم كل وظيفة ومحروم من كل خدمة كنائسية) هذا ما صار في اول جلسة من جلسات المجمع

فلما سمع أهل افسس بهذا الحكم فرحوا فرحاً عظيماً ولكن لم يمض على هذا الفرح مدة حتى انقلب الى حزن فانه من بعد خمسة أيام وصل يوحنا الانطاكي ومعه اثنان وثلاثون أسقفاً وعند وصوله أرسل المجمع نواباً من قبله وأفاده قطع نسطوريوس فغضب يوحنا من ذلك واعتبر عمل المجمع مجحفاً ونسب كيرلس الى الاستبداد ثم عقد مجمعاً مؤلفاً من نحو أربعين أسقفاً حكم فيه بالقطع على كيرلس وممنون حكماً غيابياً بصفة ظالمين وحكم أيضاً بمثل ذلك على سائر الاساقفة الذين قبلوا قرار المجمع بلا فحص ولا ترو الى ان يجتمعوا ثانية ويلغوا ما قرروه ويحرموا بنود كيرلس الاثني عشر وأرسل عمل المجمع الى العاصمة وكتب للمجمع وللقيصر وللاكليروس ولمشعب

القسطنطينيــة وللمجلس الاعلى المدني وللمملكة بعدم قطع كيرلس وميمن وأسباب ابطاله ويطعن بنود كيرلس ويطلب اعادة فحص القضية . وفي هــذه الاثناء حضر نواب البابا وهم الاسقفان اركاديوس وبروياكتوس والقس فيلبس فاجتمع مجمع كيرلس مرة ثانية وتليت تحارير البابا الجديدة وأعمــال الجلسة الاولى وفي اليوم التالي عقدت جلسة ثالثة أمضى فيها نواب البابا على الاعمــال الســابقة ثم عقدت جلسة رابعة بناء على استدعاء من كيرلس وميمن ضد البطريرك يوحنا لقطعه اياهما فدعي يوحنا مرتين ليحكي أسباب قطعهما فأجاب انه لا يستطيع ان يشترك مع مقطوعين فعقدت في اليوم التالي جلسة خامسة ودعي يوحنا مرة ثالثة بانذار فأرسل رئيس شمامسته الى المجمع ومعه كتاب فيه الجواب فأجاب المجمع بأنه لا يريد كتاباً بل يطلب يوحنا شخصياً فأجابهم يوحنا انه ينتظر أمر الملك فحكم المجمع من ثم بالقطع على يوحنا وعلى ثلاثة وثلاثين أسقفاً معه وبرأ كيرلس وميمن . أما الملك فلما وصلت تحارير يوحنا الانطاكي اليه أرسل خطاباً الى كيرلس وللذين معه يوبخهم على تصرفهم وأمر بأن لا يذهب أحــد من افسس بل يجتمع الاساقفة عموماً ويقرروا قرارات جديدة فأرسل كل من الفريقين يطعن للملك بحق الآخر ويؤكد له حسن صنيعه وحــذراً من ان تقع تحارير مجمع كيرلس في أيدي اضدادهم انتدبوا رجلاً أميناً وسلموه التحارير ضمن عكاز من قصب يتوكأ عليــه وأمروه ان يجوز براً وبحراً بصــفة فقــير يستعطي الى ارشمندريت ناسك اسمه دلمــاتيوس كان ملازماً قلايته ثمــاني وأربعــين ســنة لم يخرج منها وكان القيصر يزوره أحياناً فلمــا وصلت اليه كتابات المجمع ووقف على مضمونها جمــع الرهبان وقرأها عليهم ففرحوا بذلك وذهبوا معاً والشعب من ورائهــم الى ان جاؤا الى القيصر فتقدم اليــه ذلك الارشمندريت وطلب اليه ان يحضر عنده نواب من قبل المجمع ويفيدوه حقيقة الحوادث فوعده ثم نزل الى الكنيســة وخاطب الشعب بأن القيصر موافق للمجمع فصرخ الشعب بالحرم ضد نسطوريوس ثم حضر نواب المجمع الى القيصر وأعرضوا له ما كان في افسس فطاب خاطره على كيرلس غير ان كونتاً غير فكر القيصر فاحتار في ماذا يفعل فأشار عليــه أكاكيوس أسقف حلب ان يقرر عزل نسطوريوس وكيرلس وميمن ففعل وفوض

هـذا الامر الى الكونت يوحنا خازن المملكة فذهب هذا الى افسس وقبض على كيرلس وممنن وسلمهما الى الكونت يعقوب أما سطوريوس فاحتفظ به العمد فبادر الجمع وأرسل تحارير الى شعب العاصمة يشتكي من الظلم الذي أجراه القيصر بكيرلس وممنن فبادر الشعب الى الملك وطلب اليه أن يستحضر من كل حزب سفارة مؤلفة من ثمانية أشخاص فلما حضرت السفارتان وسمع دعوى كل منهما أمر باعادة كيرلس وممنن الى منصبهما وأصدر أمراً بنفي نسطور الى ديره بقرب انطاكية ونصب على كرسي البطريركية عوضه واحداً من سفارة كيرلس اسمه مكسيميانوس وأمر الاساقفة الذين في افسس أن يرجعوا الى أوطانهم

وهذه المساعي المقصود بها شفاء داء الانشقاق واتحاد الكنائس مع بعض عادت بالعكس لان أساقفة الشرق بأكلهم ويوحنا في مقدمتهم رفضوا أحكام المجمع واعتبروا أعضاءه لصوصاً وكيرلس ذئباً خاطفاً وتمسكوا بمبادي نسطور فساء هذا الامر في أعين القيصر وبنصيحة البطريرك مكسيميانوس دعا كيرلس الاسكندري ويوحنا الانطاكي وأمرهما أن يتحدا ويتفقا معاً فأخذت تتبادل بينهما المراسلات فأرسل كيرلس الى يوحنا شماسين برسالة تتضمن قبوله اياه في شركة الكنيسة ان كان يوقع على الصك الذي بأيديهما المتضمن عزل نسطوريوس ورفض ارتقته فقبل يوحنا هذا الصك ووقع عليه بعد أن غير منه بعض عبارات وأرسله الى كيرلس برفقة بولس مطران حمص وكانت رسالة القديس اثناسيوس التي أرسلها الى انكيطس أسقف فورنتية قد وقعت بأيدي الحزب النسطوري وزادوا عليها ونقصوا منها وغيروا فيها حتى أصبح القارئ يظن أنها نسطورية المذهب فلما حضر بولس مطران حمص الى كيرلس واعترض عليه بفحوى هذه الرسالة أخرج نسختها الاصلية وقرأها امامه فلم يجد فيها المطران ما وجده في غيرها من النسخ التي نقلت عنها فاقتنع بها وأخذ منها صورة ودفعها الى يوحنا الانطاكي (كذا روى القديس كيرلس في رسالته الاولى الى روفينوس أسقف قيسارية) وكانت بنود كيرلس الاثني عشر موضوع ريب لدى يوحنا وأساقفة الشرق فطلب الى كيرلس أن يزيل منها ما يوجب الريب فكتب على كل بند إشرحا وهكذا تسالم البطريركان أما أساقفة الشرق فلم يرضوا بهذه المسالمة ورفضوا الاشتراك

مع كيرلس ومع يوحنا معاً وخرجوا من تحت طاعة هذا الاخير واستقلوا بأبرشياتهم وقويت شوكتهم في المدن الشهيرة وهكذا قامت شيعة جديدة لقبت بالنساطرة وأقامت لها بطريركاً خاصاً اسمه (جاثليق) أي العام وكان قوي حزبهم في ايدسا وجعلوا فيها مدرسة شهيرة فلما أصدر الملك بنقل نسطور الى مدينة اخيم من أعمال الصعيد وأمر بطرد حزبه من تلك المدينة انتقلوا حالاً الى نصيبين حيث سقف أحدهم جاثليقاً ومن ثم انتشروا في بلاد الفرس والعجم وأشور وبر الاناضول والعاصمة وفي أقرب وقت ترجموا الى اللغة السريانية والى غيرها من اللغات المنتشرة في تلك البلاد أقوال نسطور معلمهم وكتابات معلمه تيودورس أسقف كورش ورسائل ديودورس الطرسوسي أما الاب كيرلس فتوفي سنة ٤٣٥ م

﴿ البابا ديوسقوروس البطريرك الخامس والعشرون سنة ٤٣٥ م — ٤٥٠ م ﴾

(١) أوطاخي والحكم عليه بالبدعة بمجمع اقليمي وتبرئته منها بمجمع مسكوني تحت رئاسة البابا ديوسقوروس (٢) التئام مجمع مسكوني آخر للنظر في أحكام المجمع الذي كان قبله وانقسام المجمع على ذاته بسبب قبول فريق منه وقضاته لرؤوس الشيعة النسطورية وبسبب معاملته لديسقوروس معاملة جور (٣) بعض ملاحظات على هذا المجمع (٤) الاسباب التي اضطرت المسيحيون ألا يعتبروا هذا المجمع مجمعاً مسكونياً.

---

(١) انه لما كان سنة ٤٣٥ م توفي البابا كيرلس وأقام خليفة له أحد تلامذته المدعو ديسقوروس وكان ضريب معلمه مشهوراً بصرامة المبادئ وشدة الغيرة على العقائد الدينية ومن سوء البخت أنه قام على كرسي البطريركية بين تلك القلاقل والانزعاجات التي كانت تكتنف الكنيسة من كل جانب والانقسامات التي تهددها في كل مكان فان مصالحة معلمه كيرلس مع يوحنا الانطاكي لم تأت بالعلاج الشافي لازالة تلك الاضطرابات الكنائسية التي نجمت عن تعليم نسطور النفاقي وعن تجند أشهر

علماء الشرق له فكان مركز بطريركية ديسقوروس حرجاً جداً وأصبح محسوداً ومكروهاً لصرف عدوه من توجيه أنظار الموت اليه وحرزه من المجد الباذخ بسبب انتصاره على الشيعة النسطورية من سائر مراكز اسقفيات الشرق الشهيرة على انه بمقدار ما كان لهذا المركز البطريركي أخصام في الجهات الشرقية كان له بأكثر من ذلك حسدون في جهات أخرى وقد وجدت أسباب كثيرة سهلت الطرق امام الشرقيين الذين كانت حسدهم تزداد من يوم الى آخر لهذا المركز وجعلتهم يدركون غاياتهم ومن أعظم هذه الاسباب أمران أحدهما ظهور هرطقة جديدة والثاني نعض البابا للرئاسة الموهومة وهانحن آخذون بتفصيل ذلك . انه كان في القسطنطينية شخص يدعى اوطاخي رئيس دير رهبنة ابتدع تعليماً غريباً في سر التجسد فانه لكي يلاشي تعلم نسطوريوس ويضعف قوته ويستأصل أثره شرح التعليم المسيحي بعكس ما تشرحه الكنيسة وخالف مبادئها المستقيمة ومبادئ تعليم نسطور معاً معتقداً بامتزاج واختلاط طبيعة المسيح الالهية بطبيعته الناسوتية ومعترفاً باستحالتهما فأول من تصدى لاوطاخي وقاوم تعليمه ثاودوريتوس أسقف كورش وكتب ضده واذ كان هذا غير مستقيم الرأي ورأس الحزب النسطوري وكان بالنظر لذلك لا حق له في الحكم على اوطاخي لان هرطوقياً لا يستقيم حكمه ضد هرطوقي قام الاب ديوسقوروس ضده وكتب بحقه للبطريرك الانطاكي دامنوس واذ لم تثمر كتابته عند هذا البطريرك كتب ضد ذلك الهرطوقي للقيصر وأفاده ان الكنيسة الشرقية تكاد تعتنق مذهب نسطور فأصدر الملك أمره بمنع ثاودوريتوس عن الخروج من حدود ابرشيته ثم ان أوسابيوس أسقف دوريليوم احد انصار نسطور أيضاً المتعصبين على منوال ضلاله حاول ان يجذب أوطاخي الى معتقده ويجبره ان يعتقد بطبيعتين في المسيح كما كان يلهج بذلك نسطور بدلاً من انه كان يجب عليه ان يعوده الى نقطة تعليم مجمع افسس القويم ولما لم يستطع ان يقنع أوطاخي وخيبت مساعيه واجتهاداته بلا طائل شكاه لفلابيانوس أسقف القسطنطينية الذي كان شريكاً له في التشيع لنسطور فقبل شكواه وجمع عليه مجمعاً مؤلفاً من ثلاثين أسقفاً من الخاصين لسلطانه والمرتشفين مياه تعاليم نسطور الفاسدة فوقع هذا المجمع على الحكم بقطع أوطاخي من كهنوته وبطرده من وظيفته ولكنه

أثبت من وجه آخر مبادي نسطور وأيد القول بالطبيعتين للمسيح واذ كان لاوطاخي اصدقاء في البلاط الملوكي من جهة وشاع بين الناس ان هـذا المجمع سقط في بدعة نسطوريوس بات الامر مستلزماً اجتماع مجمع مسكوني وكانت بابوات رومية في ذلك الزمان ملجأ كل من وقع في هرطقة واعتاد كل من حكم عليه من مجمع بوجه الصواب أو الخطاء ان يطلب نجدتهم لكي يجندوا له ويقبلوه في شركتهم فحرر أوطاخي جملة محررات الى الملك والى لاون أسقف رومية والى أساقفة آخرين يستذنب مجمع فلابيانوس في الحكم ضده ويوضح لهم ان هـذا المجمع سقط في بدعة نسطور ويطلب استئناف قضيته امام مجمع مسكوني فوردت اليه رسالة من لاون أسقف رومية يبارك في أعماله ويدعو له ويعده باجابة طلبه وكذلك أجاب الملك طلبه وأصدر أمراً بانعقاد مجمع مسكوني في مدينة افسس فلما سمع فلابيانوس بطريرك القسطنطينية بصدور هذا الامر وعلم بأن المقصود بهذا المجمع اعادة فحص قضية أوطاخي واستئناف الحكم ضده أرسل سفارة مؤلفة من رؤوس الحزب النسطوري الى أسقف رومية يستغيث به ويستدعيه الى الاخذ بيده فلما شعر القويمو الرأي بهذه الحركة طلبوا الى الملك ان يمنع حضور ثاوذوريتوس أسقف كورش في المجمع فأرسل الملك رسالة الى لاون بابا رومية يطلب بها حضوره فارسل البابا نواباً من قبله وبيدهم رسالة الى فلابيانوس وهي المعروفة بطومس لاون وأرسل الملك أيضاً ثلاث رسائل الى ديوسقوروس واحدة بعد أخرى يطلب منه ان يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة ويبادر الى افسس ويقبل الارشمندريت برسوم في آباء المجمع بصفة قائم مقام جميع الارشيمندريتين الشرقيين ويمنع قبول ثاوذوريتوس ويفوض اليه رئاسة المجمع بقوله (اننا نظن ان بعضاً من تباع نسطور يجتهدون وقصدهم ان المذكور يحضر في المجمع المقدس فلاجل ذلك قد نحسن برأينا ان نرسل لحضرتك هذه الرسالة وبها نعرف قدسك وقدس المجمع اننا مقتدون بقوانين الآباء الاطهار ونوهب لقدسك سلطاناً ونجعلك متقدماً ليس فقط في ما يخص ثاوذوريتوس بل وعما يخص كل المجمع المقدس) ثم ان الملك عين اثنين من معيته نائبين عنه وأمرهما ان الذين كانوا قضاة في امر اوطيخا يكونون حاضرين بالصمت بدون ان يجالسوا القضاة وارسل أوامره الى جهات كثيرة يدعو بها الاساقفة

في افسس فذهب منهم الى تلك المدينة مئة وثلاثون اسقفاً ونيف واجتمعوا في كنيسة العذراء وجلس الآباء اولهم ديوسقوروس ثم نواب رومية ثم يوبيناليوس البطريرك الاورشليمي ثم دامنوس الانطاكي ثم فلابيانوس القسطنطيني ثم اسطفانوس الافسسي ثم اسقف قيسارية وبعد قراءة رسائل الملك الى الاساقفة والى نوابه قال نائب الاسقف الروماني قد أرسل الاسقف لاون رسائل مختصة فأمروا بقراءتها فأجاب ديوسقوروس وقال يقبل ما كتب قدس أخينا لاون ورفيقنا في درجة الاسقفية الى هذا المجمع المقدس العام . فقدمت الرسالة فقال القس يوحنا كبير الكتبة عندنا رسائل أخرى مرسلة من الملك الى اسقفنا ديسقوروس فأمروا عما تشاؤن فأجاب يوبيناليوس أسقف بيت المقدس وقال تقرأ وتحفظ بين الاعمال . فقرئت الرسائل وبعد ذلك قال ديسقوروس قد ظهر لنا مضمون رسائل ملوكنا المسيحيين بانهم أمروا باجتماع هذا المجمع بسبب الخصومة التي حدثت في القسطنطينية . فاذاً يكشف أولاً عما صار ثم ينبغي ذكر ما صار بعد ذلك في المجامع المقدسة فيما مضى من زمان فهي أمور واضحة التي فرضتها المجامع المقدسة وهي مشهورة حدود القوانين ولا يليق بنا ان نتجاوز عنها . وان ملكنا انما أمر باجتماع هذا المجمع من أجل أمور حدثت لا حتى نفسر اعتقادنا الذي فسره آباؤنا بل نفحص ان كانت الامور التي حدثت توافق فرائض آبائنا القديسين أم لا . فاذاً وهو أمر واجب بأن نفحص أولاً الامور التي وقعت ونمتحن ان كانت هي موافقة لما شرع به الآباء القديسون أم لعلكم تريدون ان تحيدوا عن اعتقاد الآباء الاطهار . حينئذ قال المجمع المقدس ان كان أحد حدد فليكن محروماً . قال ديسقوروس اني أفحص في قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي افسس لتفحص الامور التي حدثت ويثبت الايمان وليرضى بذلك جميع الناس . أجاب المجمع المقدس وقال هذا يخلص العالم . قال ديسقوروس فان قلتم مجمعان لكنهما يخصان ايماناً واحداً . أجاب المجمع وقال الآباء فرضوا كل شيء بغاية الكمال ومن تجاوز ذلك فليكن محروماً فلا أحد ينقص ولا أحد يزيد فأجاب ديسقوروس وهو ممتلىء خوفاً ورعبة قائلاً قبل ان أخطأ رجل الى رجل يستغفر له من الله فان أخطأ الى الرب من يطلب من أجله . . . ان كان الروح القدس

جالساً بين الآباء كما هو واضح انه جلس معهم وأمر بما فرض منهم فمن أنكر ذلك فهذا أبطل الروح القدس . أجاب المجمع قائلا كلنا نقول ذلك ليكن محروماً حينئذ قال أسقف بيت المقدس يجب ان يحضر أوطاخي ويحتج عن نفسه فحضر أوطاخي الى المجمع وبيده كتاب اعتقاده فأمر اسطفان اسقف افسس أن يقرأ فأخذه يوحنا كبير الكتبة وتلاه على مسامع الجماعة المقدسة وبعد بقليل قال اليدوس المقدم . فأمروا الآن ان رسمتم بقراءة بقية الاعمال بالتدريج على ما يحسن برأيكم . اجاب ديسقوروس قد نصف المقدم اليدوس بقراءة الاعمال فليقل الاساقفة ان كانوا يرتضون بذلك اجاب المجمع وقال كلنا نرتضي بقراءة الاعمال التي صارت في مدينة الملك . قال ديسقوروس فليقل يوليانوس نائب قدس لاون ان كان يرتضي بقراءة الاعمال . فقال النواب نرتضي بتلك القراءة لو قرئت رسالة لاون . فأجاب اوطاخي قائلاً اعلموا ايها الآباء اني متشكك بالرجال المرسلين من طرف البابا لانهم لما وصلوا الى هذه المدينة نزلوا في منزل فلابيانوس وهو أكرمهم الى الغاية ومنحهم مواهب وعطايا فلذلك أنا أتضرع الى قدس أبوتكم ان تنظروا الي لئلا يقضوا علي بغير الصواب ويأتي لي ضرر . فقال ديسقوروس الاب المكرم ينبغي ان تقرأ بقية الاعمال كأمر المجمع المقدس وبعد ذلك تقرأ رسالة قدس لاون . فقرئت الاعمال وبعد ذلك صار ذكر طيب للاب كيرلس الاسكندراني وقرئت رسالتين له . وعند ذلك اجاب اسطاسيوس اسقف بيروت قائلاً . بالحقيقة مني ان اخبر قدسكم ان الله جل جلاله وهب لابينا كيرلس الطوباني ذي الذكر الصالح . ان اولئك الذين لا يفهمون فهماً مستقيماً الاقوال الصحيحة شكوا في بعض ما كتب ولكيما يظهر معانيه في فصاحته لاولئك الذين قصدوا التصنيفات الصحيحة ما زال يخاطبهم حتى مال الجميع الى ان تبعوا المذهب المستقيم وحينما انتبه آخرون ليرموا تحت الشك معنى الرسائل التي الآن قرئت قد دعته الضرورة ليفعل كما ذكرنا بتفسير اقواله فانما قضى كل زمانه في تفسير اقواله وبيان مقصوده وليبرهن للجميع فيما كتب الى الاساقفة اكاكيوس اسقف ميليطيني وباليريان اسقف قونية وسوشنيوس اسقف ديقيسارية في كورة الايسورية على اي معنى يجب فهم الرسائل التي قرئت وبأي نوع ينبغي لنا السجود لمجيء مخلصنا .

فانه موجود ايضاً في تلك الرسائل التي انفذها الى اولئك الاساقفة الطوباويين هذا القول . ليس ينبغي لنا اذاً ان نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد وقد ثبت هــذا القول بشهادة اثناسيوس الاب الطوباوي . ثم أجاب مجمع الاساقفة قائلاً ليس أحد يقول ان المسيح اثنان من بعد الاتحاد ولا يفصل الغير المنفصل . هذا كان اعتقاد نسطور . فقال ديسقوروس اسقف الاسكندرية أنصتوا قليلاً لنسمع تجديفاً آخر لماذا ندم نسطور وحــده كثيرون هم عقام نسطور أجاب كبير الكتبة وقال مما قرئ قد تحققنا ان الذين نطقوا هــذا الكلام قــد أظهروا اعتقاداً مختلفاً عما فسره الآباء في نيقيــة وثبته المجمع الذي اجتمع في هــذه المدينــة . وبعد ذلك قرأ الكاتب في الاعمــال . ولما قرأ سؤال أوسابيوس لاوطاخي قائلاً أتعتقد بطبيعتين أيها الارشيمندريت بعد التجسد . وان المسيح مساو لنا في الجسد أم لا . فحينئذ صاح المجمع ارفع احرق أوسابيوس هذا يحرق بالحيوة هذا يشق اثنــين كما قسم المسيح هكذا يقسم . ثم قال ديسقوروس هل تطيقون هذا القول ان يكون في المسيح طبيعتان بعد التجسد . فأجاب المجمع قائلا محروم القائل بذلك . قال ديسقوروس اني محتاج لاصواتكم وأيديكم . والذي لا يقدران يصيح يرفع يديه . فقال المجمع القائل باثنين فليكن محروماً . ثم بعــد قليل قال ديسقوروس قد قبلنا هذا الكلام . فقال المجمع هذا هو اعتقاد الآباء . أجب ديسقوروس فدسكم قلتم ان هذا هو اعتقاد الآباء فما هو هــذا الاعتقاد ومن شرحه . فقال المجمع الذي شرحه هو أوطاخي لان أوسابيوس منافق . قال ديسقوروس قد سمعتم ايمــان أوطاخي واطلعتم كلكم على نيته . وبعــد ما قرأ الكاتب من الاعمــال الى غاية كلام باسيليوس أسقف سالق القائل ان لم تعترف بطبيعتين من بعد الاتحاد فقد أدخلت بينهما الامتزاج والاختلاط . فقال المذكور اني لم أتذكر اني قلت هــذا الكلام بل قلت عند ما قال اعترف بطبيعة واحدة ان لم تقل ان تلك الطبيعة متأنسة فيظن فيك انك اعترفت بالامتزاج . وبعد قليل قال الاسقف المذكور اني أعتقد باعتقاد الآباء القديسين المجتمعين في نيقية . وفي افســس والعن كل من يقسم المسيح الواحد الى طبيعتين أم جوهرين أم اقنومين بعد الاتحاد ثم أندم على قولي واعترافي الذي تظاهرت به في القسطنطينيــة واجد لطبيعة

واحدة هي لاهوت الابن الوحيد الثاني . وهكذا قال الاسقف سالوقس . حينئذ قال ديسقوروس للمجمع قولوا الآن ما ظهر لكم من ايمان أوطاخي وما هو مرادكم وحكمكم في دعوته . أجاب يوبيناليوس أسقف بيت المقدس وقال لانه اعترف واقتدى باعتقاد مجمع نيقية وما ثبته الآباء في المجمع العظيم الذي اجتمع سابقاً في هذه المدينة قد ظهر لي انه أرثوذكسي من أقواله . فمن أجل ذلك قد حكمت بأنه يثبت في درجته وفي ديره . فأجاب المجمع وقال حق وعدل هذا الكلام . ثم قال دومنوس أسقف انطاكية قد كنت سابقاً أثبت القضية التي اوجبها فلابيانوس على أوطاخي لاجل الرسالة التي وجهوها الي في هذا الامر لكن قد ظهر لي ان المذكور أرثوذكسي من الكتاب الذي قدمه لهذا المجمع حيث يعترف به انه متمسك باعتقاد الآباء الخ . ومثل هذا القول قال اسطفانوس أسقف افسس . وبعده طلاسيوس أسقف قيسارية القبادوق . وعلى هذه الصفة قال جميع الآباء الذين كانوا مجتمعين في ذلك المجمع وعدتهم دون المذكورين مائة وسبعة من جهات وأقاليم مختلفة . حينئذ قال ديسقوروس قد أثبت أنا أيضاً حكم هذا المجمع المقدس وحكمت ان أوطاخي يحصى في عدد الكهنة ويتولى ديره كما كان سابقاً . ثم بعد ذلك قدم عرض حال من رهبان أوطاخي وتلي امام المجمع وبعد تلاوته قال ديسقوروس للذين قدموه قد قلتم ان فلابيانوس قد حرمكم من حيث لم تطلوا السبب فنحن أيضاً قد توهمنا لاي شيء صار لكم ذلك . ولكن اجهروا لنا صورة ايمانكم لان ذلك هو بحلكم من كل حرم . فأجاب أحدهم وقال ان اعتقادنا هو بموجب ما شرحه الآباء في نيقية وثبته الذين اجتمعوا في هذه المدينة . ولا نفهم ونعرف مذهباً آخر دون ذلك كما اعتقد ربنا أوطاخي . فقال ديسقوروس قولوا لنا هل تعترفون بذات مخلصنا والاهنا المتجسد كما اعتقد أثناسيوس وكيرلس واغريغوريوس المغبوطون وكافة الاساقفة الارثوذكسيين . فأجاب أحدهم وقال كلنا نعترف هكذا . وبعد قليل من هذا الكلام قال يوبيناليوس أسقف أورشليم حيث قد اعترفوا بالايمان فليحصوا في شركة القديسين وفي مدرجاتهم . فأجاب المجمع قد ارتضينا بذلك . وبعد قليل من مثل هذا قال ديسقوروس حيث قد نظرنا في أمر أوطاخي ورهبانه وأشركناهم في درجة الكهنوت فيجب أن نحص عما

صدر من خصوص الايمان ونقرأ أعمال ذلك المجمع الذي اجتمع في هذه المدينة . فقرئت رسائل كيرلس وأعمال المجمع الافسسي وبعد ذلك سألوا فلابيانوس عن اعتقاده فجاهر باعتقاد نسطور . فحرموه جميعاً وستة أساقفة معه وحرموا كل من لا يقول ان طبيعة واحدة للكلمة المتجسد حسب اعتقاد كيرلس والمجمع المقدس . وعلى ذلك انفض الجمع وأرسلت الاحكام الى الملك فصادق عليها وأصدر أمرا بتنفيذها

(٢) ثم ان الاحوال قد تغيرت بأكثر سرعة لان نواب البابا الروماني حين خرجوا من المجمع بخيبة الامل من نجاة فلابيانوس وحزبه تجمهروا معاً عصبة واحدة وانطلقوا الى رومية يشكون لبابام مما حل بهم من العار واذ كان البابا يؤمل ان رسالته الى فلابيانوس يقبلها المجمع قانوناً للايمان كما فعل مجمع خلكيدون بعد ذلك وخاب رجاؤه من ذلك أضمر سوءاً لكل آباء المجمع سيما ديوسقوروس وأخذ يستغيث بنصرة افراد العائلة المالكة للحصول على نوال غرضه فالتمس بدموع غزيرة من بالنتيانوس ملك الغرب أن يستميل الملك ثاودوسيوس الى قبول طلبته فذهب اجتهاده بدون فائدة لان الملك رفض هذا الطلب بالكلية وظلت الامور تزداد تفاقما وليون ينتظر بفروغ صبر الفرص المناسبة لنوال مآربه حتى توفي ثاودوسيوس عقيما وعديم الخلف ولم يكن باقياً من عائلته سوى الاناث فقامت بالكارية أخته الراهبة وجلست على تخت المملكة وتزوجت ناكثة عهد الرهبنة ومزدرية بشريعة الكنيسة بشيخ طاعن في السن من أكابر المجلس يدعى مرسيان وسلمته أمور المملكة . فحالما تغيرت الهيئة المالكة استحضر ليون سفارة مركبة من رؤوس الحزب النسطوري نظير ثاودوريتوس أسقف كورش وهيبا أسقف الرها وغيرهما وبعث بهم الى الملك طالباً استئناف حكم مجمع افسس الثاني بمجمع مسكوني آخر عام واذ كان رجال الحكومة منقسمين على ذواتهم وكان بعضهم ممن يتصرون لنسطور والبعض الآخر لاوطاخي وكان الملك من الفريق الاول وقع طلب الاسقف الروماني لديه موقع القبول وأنزل سفارته على الرحب والسعة وأصدر حالاً أوامره الى جميع اساقفة المملكة يأمرهم بالاجتماع في خلكيدون بقرب العاصمة فاجتمع منهم نحو ٦٣٠ أسقفاً

على رواية و ٦٠٠ أسقفاً على رواية اخرى وتفصيل ما جرى في هذا المجمع كما يأتي بعد ما جلس الآباء وقف نائب الاسقف الروماني في وسط المجمع وقال معنا أوامر الاقنوم الطوباوي بابا رومية يأمر بها أن ديسقوروس لا يكون له جلوس في هذا المجمع . ولكن احضروه هنا كي يرد الجواب عن فعله . ونحن ملزومون على ... بهذا . فأمروا ان يخرج والا نطلع نحن . فأجاب القضاة ما الامر الخصوصي الذي يعرض على ديسقوروس فليكشف عن الشكاوي المطلوب بها . فأجاب النائب الاخر قائلاً ينبغي له ان يحضر ويرد الجواب عما حكم به كونه اذا لم يكن معه سلطان بهذه القضية عقد بافترائه مجمعاً بغير دستور الكرسي الرسولي . فقال القضاة الواجب عليكم ان تبيثونا عن ذنب المذكور . فأجاب النائب الذي تكلم في أول الامر . لا نطيق ان يصير لنا ولكم هذا الاحتقار ان يجلس هذا الذي انما جاء ليدان . فقال القضاة ان كنت بمقام قاض لا يصح لك ان تدعي كالمشتكي . حينئذ قدم اوسابيوس عرض حال مضمونه ان ديسقوروس رفيق أوطاخي وانه افسد الايمان . وبعد ما قدمه امر القضاة والمحفل ان يجلس أوسابيوس بين الاباء . ولما قرئ العرض حال قال ديسقوروس اسأل عظمتكم ان يفحص اولا فيما يخص الايمان . فاجاب القضاة ينبغي ان تصبر على قراءة الاعمال . وامروا بعبور تاودرتوس معلم نسطور الى المجمع كون قدس لاون رده الى كرسيه والملك امر ان يحضر في المجمع . ولما عبر الى المجمع هتف اساقفة مصر والليريا وفلسطين قائلين ارحمونا يا قوم الآن الايمان قد باد . اعلموا ان القوانين تطرد هذا خارجاً فاطردوه انتم عنا . اجاب أساقفة الشرق نحن وضعنا خطوطنا في قرطاس أبيض وثبتنا القضية بخط أيدينا فاطردوا الى خارج تباع ماني اطردوا غرماء فلابيانوس اطردوا مضادي الايمان اطردوا خارجاً ديسقوروس القاتل ومن يجهل أعماله . قال المصريون الملكة طردت نسطور والمجمع لا يقبل معله ثم عبر تاودرتوس الى المجمع وانتصب في نصف المجمع وقال قدمت عرض حال الى الملوك لاجل أمري وما حدث لي من الشرور والمصائب فأمروا بقراءته . ثم بعد جلوس المذكور قالت الاساقفة اكسيوس واذ ذاك أجابت اساقفة مصر والذين معهم وقالوا لا تقولوا انه أسقف فاطردوا عنا من قاوم الله

اطردوا عنا اليهودي · اجاب الشرقيون ذو الايمان المستقيم يستمر وذو النجس والاضطراب اخرجوهم · قال المصريون اطردوا الى خارج من قاوم الله اطردوا عنا من شتم المسيح هذا الانسان أوجب اللعن على كيرلس وقذف عليه فلن قبلناه فانما طردنا ورفضنا كيرلس ومن بعد كلام كثير مثل هذا قال القضاة هذه الاصوات نظير صراخ الشعب ولا تفيد نفعاً لاحد الجانبين فصبروا الى قراءة الاخبار · فقال المصريون ومن معهم يطرد عنا واحد ونحن من السامعين نحن نصرخ لاجل التقوى والايمان الارثوذكسي · ومن بعد ذلك قرئت رسائل من الملك بسبب اجتماع مجمع افسس · فأجاب على ذلك ديسقوروس وقال قد علم ان الملك ما جعل لي الامر وحدي بل ولي يوبناليوس وثلاسيوس ومنح لهما التدبير · فنحن بما قد حكم به أذعن لنا المجمع بأسره فلماذا ينسبون الي وحدي هذه الامور حال كون سلطان الثلاثة متساوياً واستصوب المجمع ما حكم به فاقروا باصواتهم ووضعوا خطوطهم بأيديهم وأخبرنا الملك بذلك · وهو ثبت بأمر عام كلا حكم به المجمع المقدس · فأجاب أساقفة الشرق ومن معهم وقالوا ما أحد ارتضى بذلك من تلقاء نفسه · وبقضية فلابيانوس واوسابيوس أغصبونا وأرعبونا بالضرب ووضع خط يدنا في قرطاس أبيض · حينئذ كانوا يرعبونا بالنفي والاجناد كانوا واقفين مزاحمينا بالسيوف والعصي وحيث يوجد سيوف وأسلحة فليس بمجمع لاجل ذلك أثر ديسقوروس ان يخوفنا بالعساكر · فلسنا نحن بل الاجناد الذين عزلوا فلابيانوس أجاب أساقفة مصر ومن معهم أفالشمامسة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا يصرخون الآن فالمجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع أساقفة فاطردوا الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع · لاننا نحن الذين ثبتناها من بعد تنبيههم لها قال أسقف افسس رغماً وضعنا خطوطنا بما حكم على فلابيانوس · قال القضاة من أرغمكم · قال المذكور أرغمنا رجال ديسقوروس وجنوده ورهبان أوطاخي وعدتهم ثلثمائة لم يدعوني ان أخرج من مكتبة الكنيسة الا بعد ما أثبت القضية المكتوبة من ديسقوروس ويوبناليوس وثلاسيوس قال ثلاسيوس ادخلوني في المكتبة ولست ادري كيف دخلت · قال تاودروس أسقف

الميسورية كانوا يخاطرونا بالقتل وخوفونا حتى بقينا خمسة عشر نفراً وكأننا مراهقة طردونا قال أساقفة الشرق والذين معهم كذلك جرى قال أساقفة مصر ومن معهم للمسيحي لا يخاف من أحد الارثوذكسي لا يرتعب من أحد أتوا الى هنا بالنار ونحن نسلم ولو كان الشهداء يخافون من الناس لما فازوا بالشهادة قال ديسقوروس لانهم قالوا ما سمعوا بما حكمنا وأمرنا في المجمع بل قدم لهم قرطاس وهم كتبوا أسماءهم فيه فما كان ينبغي لهم ان يثبتوا القضية لأنهم ليسوا بعارفين ما قال المجمع وحكم به لان الكلام كان لاجل جلالة الايمان ولكن حيث انهم يعتذرون بكتابة أسمائهم في قرطاس أبيض من غير علم فاسأل ان تأمروا ليقولوا من رتب خطابهم والفاظهم قال القضاة تقرأ بقية الاعمال وفي أثناء القراءة قال أساقفة الشرق ومن معهم قد طرد لاون ما احد قبل اسمه وبعد قليل قال اساقفة مصر ومن معهم نسألكم ان تطردوا من ليس له كلام . المجمع للاساقفة ومن ليس له كلام لماذا يهتف قال ثاودوروس المذكور كتبة ديسقوروس الصارخون قال ديسقوروس انما عندي كاتبان فقط واثنان لا يجعلان سجساً وبعد ذلك أتى ذكر رسالة لاون قال القضاة لماذا لم تقرأ رسالة لاون قال أوسابيوس ديسقوروس اخفاها قال احد الشمامسة ما قبلت تلك الرسالة ولا قرئت بل هو اقسم على ذاته سبع مرار امام المجمع وحلف واقسم على نفسه انه سيقرأها ثم سئل ديسقوروس فقال قلت مرتين ان تقرأ رسالة قدس لاون وبعد ما كرر عليه السؤال قال قلت اني أمرت بقراءتها مرتين قال أوسابيوس كذبت قال القضاة ليقل يوبيناليوس لم لم تقرأ تلك الرسالة حيث ان ديسقوروس أمر بقراءتها قال المذكور في ذلك الحين قال كبير الكتبة ان معه رسائل الملوك فأمروا بقراءتها قال القضاة وبعد قراءة تلك الرسائل اما قرئت فقال المذكور بعد ذلك لا كبير الكتبة ولا غيره قال ان معه رسالة فقال القضاة تقرأ الاعمال وفي ما كان يقرأ ان احد حدد يكون محروماً الخ قال الشرقيون لم ننطق بهذا الكلام من نطق به قال ثاودوروس كتبة ديسقوروس كتبوا الاعمال وحدهم فليحضروا لكي يشهدوا على ذلك الكلام ان كانوا كتبوه أم قرأوه أمامنا ومن عرفه وثبته قال القضاة لمن هذا الخط المكتوبة به الاعمال ومن كتبها قال ديسقوروس كل من الاساقفة كان له كتبة فكتبتي كتبوا نسختي وكتبة

يوبنايوس كتبوا سمعه وكتبة تلاسيوس كتبوا سمعه وكان كتبة كثيرون للاساقفة الآخرين وكلهم كتبوا الاعمال ليس كتبتي وحدهم كتبوا الاعمال لان كل واحد كان له كاتب خصوصي قال يوبناليوس كان لي كاتب فقط وهو كتب مع الآخرين وقال تلاسيوس وانا أيضاً كان لي كاتب واحد وهو كان يكتب مع الآخرين قال ديسقوروس هاان كاتب يوبناليوس كتب مع الآخرين وكاتب تلاسيوس أيضاً وكاتب أسقف قورنثية فلم قالوا عن كتبتي انهم وحدهم كتبوا الاعمال . وبعد قليل قال أسقف افسس كتبنا خطوطنا في ورقة بيضاء قال القضاة فلتقرأ بقية الاعمال فقرأ الكاتب وعند ما بلغ القارئ الى قول ديسقوروس اني أفحص في قوانين الاباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي افسس قال أوسابيوس ان ديسقوروس هاهنذا قال انه يفحص وانا علمت ذلك أجاب ديسقوروس انما قلت اني أفحص لا اني أجدد فان مخلصنا أمرنا ان نفحص الكتب فالذي يفحص لا يجدد وفيما كان الكاتب يتلو أعمال المجمع مما يتعلق بتحديد الايمان والحروم قال ثاودروس المذكور ما أحد نطق بذلك قال ديسقوروس هم يشاؤون ان ينكروا ما كانوا أقروا به فليقولوا الآن أيضاً اننا ما كنا حاضرين أيضاً وماتي ايمان أوضحي وقرئ منه ما هو آت ان كيرلس حدد ان الذي يخالف الايمان او يزيد او ينقص منه شيئاً او يعلم بخلافه يكون تحت القوانين قال اوسابيوس كذب ليس ذلك التحديد كذلك لن يحد قانون بأمر ذلك قال ديسقوروس موجود ذلك التحديد في اربعة مجلدات فهل ما حدد الاساقفة ليس بتحديد لعل عنده القانون ليس بقانون أو ان القانون خلاف التحديد وبعد قليل قال ديسقوروس ان باسيليوس انكر خطابه المحرر في دفتر الاعمال وان كان أوطاخي يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو يستحق ليس فقط العقاب بل ..اً النار اما انا فهمي في الايمان ولست بشأن احد من الناس بل فكري شاخص الى اللاهوت فلا أبالي باحد ولا اهتم باحد سواء بنفسي وبالايمان المستقيم الصحيح وبعد ما قرئ شيء من كلام باسيليوس قال له القضاة اذا كنت تعم بهذا التعليم فلاي سبب وضعت خط يدك في عزل فلابيانوس قال المذكور كنت موقوفاً على قضية وحكم مائة وعشرين أم ثلاثين اسقفاً فالتزمت ان اطاوعهم في الامور التي فرضوها فقال له ديسقوروس الآن كذب الكتاب القائل من قلب تتبرر ومن قلب تدان استعيب

من الناس وتجاوزت عن الصلاح واهنت الايمان لملك ما سمعت ما كتب لا تحتال
من شيء يهلكك . قال اساقفة الشرق والذين معهم اخطأنا جميعاً وكلنا نسأل الغفران
قال القضاة لهم انتم سابقاً ذكرتم بأنكم رغماً وقهراً اضطررتم ان تكتبوا اسمكم في
قرطاس أبيض في عزل فلابيانوس قالوا كلنا أخطأنا وكلنا نطلب الغف[illegible]
[illegible] وأوسابيوس واسطاسيوس كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران وبعد [illegible]
أوسابيوس اتضرع اليكم ان تبحثوا لاي وجه منعني ديسقوروس من [illegible] . قال القضاة
لاي سبب منعته . قال ديسقوروس أسألكم ان تقرأوا شهادة اليديوس فاني ما كنت [illegible]
لو لم يأت اليديوس بأمر الملك ان المذكور لا يدخل وهكذا قال يوبناليوس . قال
القضاة في أمر الايمان لا يقبل هذا العذر . قال ديسقوروس فاذاً تبكتوني كأني
تعديت القوانين فهل انتم تحفظون القوانين في دخول ثاودوريتوس (معلم نسطور)
قال القضاة ثاودوريتوس دخل بمقام المشتكي . قال ديسقوروس ولاي سبب جلس في
درجة الاسقفية قالوا ان أوسابيوس وثاودوريتوس جلسا في صف المشتكين وبعد ذلك تلا
القارئ رسالتان لكيرلس واحدة لنسطور وأخرى ليوحنا أسقف انطاكية وفي الانتهاء قال
القضاة لاي سبب عزلتم فلابيانوس وأوسابيوس أجاب ديسقوروس اعمال المجمع
تظهر لنا الحق فقرأ الكاتب ايمان اسطاسيوس أسقف بيروت وبعد ما قال : فانه
موجود أيضاً في تلك الرسالة التي أنفذها الى الاساقفة هذا القول ليس ينبغي لنا ان
نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد . قال أساقفة الشرق هذا هو قول
أوطاخي هكذا يقول . ديسقوروس أجاب ديسقوروس وقال لسنا نقول بالاختلاط ولا
بالامتزاج ولا بالاستحالة . فقال القضاة ليقل المجمع ان كان خطاب اسطاسيوس موافقاً
لنص رسائل كيرلس . وقبل ان يجاوب المجمع قام اسطاسيوس وانتصب في وسط
المجمع وبيده كتاب وقال ان كان قولي حائداً عن الحق فهذا الكتاب لكيرلس
احرموه وأنا قد قبلت الحرم مثله ثم قال أساقفة مصر والذين من حزبهم
اسطاسيوس نطق بالحق وبعد قليل قال اسطاسيوس أخطأت في حرم فلابيانوس
وانتقل هو وباقي الاساقفة الى الجهة الاخرى فقال لهم الاساقفة مبارك قدومكم .
فقال حينئذ ديسقوروس أمر واضح ان فلابيانوس نبي لكونه قال بطبيعتين بعد الاتحاد

وأما في شهادات القديسين اثناسيوس واغريغوريوس وكيرلس انه لا يجب القول بطبيعتين بعد الاتحاد لكن طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد فانهم يتفقون مع الآباء أنا أقول بقول الآباء ولا أخالفهم بشيء وكتبهم عندي تشهد بذلك)

(٣) الى هنا قد انتهينا من سرد ما حدث في مجمع افسس الثاني ومجمع خلكيدون بحسبما ورد في كتاب تاريخ الانشقاق للاب جراسيموس مسرة الرومي وكتاب تاريخ مجمع خلكيدون المطبوع في رومية سنة (١٦٩٤م) للكاثوليك ولنلاحظ الآن على الدعاوي التي ادعى بها الاخصام على ديسقوروس تاركين الحكم فيها للقاريء اللبيب ومفوضين الامر في تبرئة ساحة هذا البطريرك المجاهد مما اتهم به وعدم تبرئته لفطنته وذكائه وقد حصرنا هذه الدعاوي في اثني عشر أمراً وخاتمة وهي

« الدعوى الاولى » ان نواب الاسقف الروماني الذين اجتمعوا من ضمن اعضاء المجمع ليحققوا الدعاوي ويحكموا بالانصاف والعدل قد قاموا مقام اخصام مشتكين وافتروا على ديسقوروس بانه عقد مجمعاً من تلقاء نفسه بغير علم أسقف رومية وحكم على فلابيانوس ظلماً وهذا أمر مخالف للسنة المرعية اذ لا يمكن الانسان ان يكون خصماً وقاضياً معاً وفي بيان كذب هذه الدعوى نقول انه يظهر من مراجعة أعمال مجمع افسس الثاني ان نواب الاسقف الروماني كانوا افراد اعضاء المجمع فكيف تصح هذه الدعوى ومع ذلك انه لو فرض وكان لهذه الدعوى من محل فلا ملامة على ديسقوروس أو على مجمعه بدليل ان سلطان المجامع أعظم من سلطان البابا وأحكامها تسري بدون ان تتوقف على رضاه أو علمه كما جرى في المجمع الثاني القسطنطيني فانه لو كان أسقف رومية هو القاضي المطلق المتصرف في جميع جزئيات الامور الكنائسية وكلياتها لكانت المجامع عديمة اللزوم وفاقدة الاهمية والحال ان الامر بخلاف ذلك لان الكنيسة لما كان يشكل عليها أمر ويحدث بسببه نزاع لم تطلب النظر فيه وحله من شخص واحد كأسقف رومية بل من عموم الاساقفة المساوي كل واحد منهم للبابا في السلطان الاسقفي ولما كانت المجامع هي صاحبة الشأن في الاحكام وكان أسقف رومية معدوداً فرداً من افراد هيئاتها كان حكمه حكم كل واحد منهم ورأيه رأي أي فرد من افرادهم بحيث يحتمل

القبول والرفض والخطاء والصواب وان قيل ان سلطان الاسقف الروماني الذي لا ينتهي عند حد لا يضر بسلطان المجامع وحريتها فجيب ان هذا الوهم يؤيد اثبات النقيضين اللذين ينفي أحدهما الآخر واثبات الدور المنطقي فيكون أسقف رومية حاكماً ومتسلطاً على المجامع وتكون هذه حاكمة ومتسلطة عليه ولو صح هذا الاعتبار لكانت الكنيسة تستغنى بأحد هذين الوجهين وبالتالي لاستغنت بأقربهما تناولاً وبأقلهما د وعقة ومن المعلوم ان طلب رأي شخص واحد لا مناقضة بذاته هو أقرب للوصول وأسهل للحصول من طلب اراء افراد كثيرين مختلفي المشارب والعوائد غير ان الكنيسة لم تعتبر ذلك أبداً ولم تره صائباً في وقت من الاوقات

« الدعوى الثانية » ان أساقفة الشرق الذين كانوا من ضمن اعضاء مجمع افسس الذي ترأس عليه ديسقوروس وخارت عزائمهم عندما عاينوا المعاملة الرديئة التي عامل بها نواب البابا لديسقوروس واحتضنوا ثاودريتوس أسقف كورش في أول افتتاح المجمع قد افتروا على ديسقوروس تخلصاً من الظلم الذي لحقه وادعوا عليه انه ألزمهم ان يوقعوا على ورقة بيضاء ولم يعلموا ما كان مزمعاً ان يكتب فيها أو ما يحكم به المجمع فعلاوة على ان حوادث المجمع التي سردناها لم يرد فيها شيء من هذا القبيل وهي منقولة بالدقة والضبط والصحة من كتب الكاثوليك فان هؤلاء المدعين ظهر كذبهم امام كل ذي عينين ودحضت دعواهم أولاً بخطاب أساقفة مصر الذين ردوا عليهم قائلين (أفالشمامسة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا يصرخون الآن ان المجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع اساقفة فاطردوا الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع لانا نحن الذين ثبتناها من بعد تثبيتهم) وثانياً باقرار أحدهم وتصريحه بخلاف ما ادعوا به بقوله (انهم لم يدعوني ان أخرج من مكتبة الكنيسة الا بعد ما تثبتت القضية المكتوبة من ديسقوروس ويوبيناليوس وتلاسيوس) وثالثاً باقرار باسيليوس أسقف سالق الذي لما لامه أرباب القضاء على امضائه على الحكم ضد فلابيانوس أجاب قائلاً (اني كنت موقوفاً على قضاء وحكم ١٢٠ أو ١٣٠ أسقفاً فالتزمت ان أطاوعهم في الامور التي فرضوها) رابعاً من استغفار جميعهم سيما عما ادعوا به انهم وقعوا على ورقة بيضاء بقولهم (أخطأنا جميعاً وكلنا نسأل الغفران) ولما لامهم أرباب القضاء على كذبهم

بهذه الالفاظ (أنتم ذكرتم سابقاً بأنكم اضطررتم رغماً عنكم وقهراً ان تكتبوا أسماءكم في قرطاس أبيض في عزل فلابيانوس) كرروا طلب الاستغفار ولم يجدوا وسيلة أخرى غير كونهم يقولون (كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران)

« الدعوى الثالثة » ان الاخصام المذكورين ادعوا على ديسقوروس بأنه أخذ نفهرهم على كتابة اسمائهم في ورقة بيضاء وسيلة مدنيسة بقولهم (كانوا يرعبوننا بالنفي والاجناد كانوا واقفين مزاحمينا بالسيوف والعصي) فنجيب علاوة على انه لم يحدث ذلك اذ لم تنبئ حوادث المجمع عن شيء منه قد اتضح كذبهم من ثلاثة اوجه الاول من جواب اساقفة مصر شركائهم اذ قالوا (المسيحي لا يخاف من احد الارثوذكسي لا يرتعب من احد احضروا النار الى هنا فنعلم فلو كان الشهداء يخافون من الناس لما فازوا بالشهادة) الثاني من جواب ديسقوروس اذ قال (لانهم قالوا ما سمعوا بما حكمنا وأمرنا في المجمع بل قدم لهم قرطاس أبيض فكتبوا اسماءهم فيه فما كان ينبغي لهم ان يثبتوا القضية لانهم ليسوا بعارفين ما قال المجمع وحكم به عليه لان الكلام كان لاجل جلالة الايمان . ولكن حيث انهم يعتذرون بكتابة اسمائهم في قرطاس ابيض من غير علم فاسأل ان تأمروا ليقولوا من رتب خطابهم والفاظهم) الثالث من اقرارهم اخيراً بالحق والتماسهم الصفح فلو كان لما ادعوه بعزلهم فلابيانوس رغماً عنهم محل لما كان لطلب الغفران محل ولا لاعتذارهم والتماسهم مكان حين قال لهم ارباب القضاة لائمين (انتم ذكرتم سابقاً بأنكم اضطررتم رغما وقهراً ان تكتبوا اسماءكم في قرطاس ابيض في عزل فلابيانوس) أي قد اتضح كذب ما ادعيتم به من شهادة افرادكم المتفرقة فماذا تجيبون فقالوا (كلنا أخطأنا وكلنا نطلب الغفران) راجع تزوير الدعوي الثانية

(الدعوى الرابعة) قد افتروا عليه بأنه أخفى رسالة ليون بدون أن تتلى في المجمع فعلاوة على كون المجمع ما كان يلتزم قبول الرسالة نظراً لكونها موجهة لشخص بمفرده فقد يتضح من كلام ديسقوروس في ذلك المجمع انه أمر بقراءتها مرتين بشرط أن تتم قراءة حوادث مجمع فلابيانوس وقد أقر بذلك هنا لما سأله أرباب القضاء عن سبب عدم قراءتها واجاب (اني أمرت بقراءتها مرتين) واتضح صدق جوابه من شهادة يوبيناليوس أسقف أورشليم قائلاً (في ذلك الحين قال

كبير الكتبة ان معه رسائل الملوك فامروا بقراءتها) ثم لما كرروا السؤال عليه قائلين (وبعد قراءة تلك الرسائل أما قرئت) فأجاب (بعد ذلك لا كبير الكتبة ولا غيره قال ان معه رسالة) ولو فرضنا ان تلك الرسالة قرئت فالمجمع لا يلتزم ان يحكم بموجبها اذا كانت مخالفة كما هي كذلك لانه ليس بعقيد تحت حكم شخص راجع تزور الدعوى الاولى

« الدعوى الخامسة » في اثناء ما كانت تتلى حروم المجمع على من يزيد أو من ينقص أنكر أساقفة الشرق ذلك مدعين انهم لم ينطقوا به بل ان كتبة ديسقوروس الذين حرروا الاعمال هم وحدهم زادوها فلما سئل عن دعواهم هذه أجاب (كل من الاساقفة كان له كتبة فكتبتي كتبوا نسختي وكتبة يوبيناليوس كتبوا نسخته وكتبة تلاسيوس كتبوا نسخته وكان كتبة كثيرون للاساقفة الآخرين وكلهم كتبوا الاعمال ليس كتبتي وحدهم كتبوا الاعمال لان كل واحد كان له كاتب خصوصي) وثبت صدق ما قاله هذا الاب من شهادة يوبيناليوس اذ قال (كان لي كاتب واحد وهو كان يكتب مع الآخرين) حينئذ قال ديسقوروس (ها كاتب يوبيناليوس كتب مع الآخرين وكاتب تلاسيوس أيضاً وكاتب أسقف كورنثس فلم قالوا عن كتبتي وحدهم انهم كتبوا الاعمال) فصمت أخصامه

« الدعوى السادسة » انه لما تلي كلام ديسقوروس وهو (اني أفحص في قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي افسس) اعترضه أوسابيوس عدوه الالد متخذاً ذلك عليه حجة بقوله (ها ان ديسقوروس قال أنه يفحص وأنا علمت ذلك) فأجابه ديسقوروس صادعاً أذنيه بالجواب السديد قائلاً (أنا قلت اني أفحص لا اني أجدد لان مخلصنا أمرنا ان نفحص الكتب فالذي يفحص لا يجدد

(الدعوى السابعة) ولما تليت حروم المجمع على من يزيد على الايمان أو ينقص منه قال أحد أساقفة الشرق (ما أحد نطق بذلك) فأجاب ديسقوروس قائلاً (هم يشاؤون أن ينكروا ما كانوا أمروا به فليقولوا الآن أيضاً اننا ما كنا حاضرين)

« الدعوى الثامنة » ولما تليت عبارة أضافها أوطاخي الى دستور ايمانه أتى بها من قانون كيرلس وهي (ان الذي يخالف الايمان أو يزيد عليه أو ينقص منه شيئاً

أو يعلم بخلافه يكون تحت القوانين) اعترض هذا الكلام أوسابيوس قائلا (كذب ليس ذلك التحديد كذلك لن يجد قانون بأمر ذلك) فأجابه ديسقوروس مفنداً ما ادعاه بقوله « موجود ذلك التحديد في أربعة مجلدات . فهل ما حدد الاساقفة ليس تحديد لعل عنده القانون ليس بقانون أو ان القانون خلاف التحديد

« الدعوى التاسعة » لما شكا أوسابيوس ديسقوروس بكونه منعه من الدخول الى المجمع قالت له القضاة (لاي سبب منعته) فأجاب قائلاً (أسألكم ان تقرؤا شهادة اليديوس فاني لم امنعه لو لم يأتي اليديوس بأمر الملك ان المذكور لا يدخل) واثبت صحة ذلك يوبناليوس لكن لما كان القضاة لا يؤثرون ان يبرروا ساحة ديسقوروس من الخطية ولم يقتنعوا بهذا الجواب قالوا (في امر الايمان لا يقبل هذا العذر) حينذاك رفع ديسقوروس صوته بجوابه السديد مظهراً اعوجاج السبيل الذي انتهجوه المخالف للشريعة الادبية والدينية معاً بقوله (اذاً تبكتوني كأني تعديت القوانين فهل أنتم تحفظون القوانين في دخول تاودرتوس (احد رؤوس الشيعة النسطورية) فرام القضاة ان يتنصلوا من هذه الملامة قائلين (ان تاودرتوس دخل بمقام المشتكي) والحال بالعكس فان المجمع لم ينقسم الى حزبين وبيان احدهما رأي الآخر الا بسبب دخول رؤوس الاراطقة وجلوسهم بصف الاساقفة ولذلك أوضح ديسقوروس لهم زور ما ادعوه بقوله (ولاي سبب جلس في درجة الاسقفية) فتمسكوا بالمحال قائلين « ان أوسابيوس وتاودرتوس جلسا في صف المشتكين » على أن ذلك غير صحيح والا لما كان المجمع ينقسم الى قسمين .

« الدعوى العاشرة » لما تلي ايمان اسطاسيوس أسقف بيروت المحرر في دفتر الاعمال المتضمن الاعتراف بطبيعة واحدة للابن المتأنس المؤيد بشهادة صريحة من أقوال الاب كيرلس صاح اساقفة الشرق نافرين ونسبوه الى بدعة أوطاخي بقولهم « هذا هو قول أوطاخي هكذا يقول ديسقوروس » تخوفاً من أن يتوهم أحد ان كيرلس أو هو نسج على منوال أوطاخي باعتقاده أجاب رافعاً هذا الوهم بقوله « لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة » حينئذ لما رأى القضاة أن الحق أخذ يتلألأ ولا سبيل الى اخفائه طرحوا سؤالاً على اعضاء المجمع اجيبوا

عن اعتقاد اسطاسيوس ان كان صائباً أو مخطئاً بقولهم « ليقل المجمع ان كان خطاب اسطاسيوس موافقاً لرسائل كيرلس » على ان هذا السؤال لا يخلو من غرض اذ لو كان مرادهم ملاشاة البطل واظهار الحق لطلبوا بأنفسهم رسائل كيرلس وتأملوا فيها ان كانت تؤيد ذلك الاعتقاد ام تدحضه على ان اسطاسيوس أسرع مقدماً كتاب كيرلس امام المجمع وقال « ان كان قولي حائداً عن الحق فهذا الكتاب هو لكيرلس احرموه وأنا أقتبل الحرم منه » أما جواب المجمع فكان مخالف لاختلاف أراء اعضائه فأساقفة مصر ومن جاراهم بالاعتقاد أجابوا بخلاف ما أجاب به أخصام ديسقوروس فاولئك قالوا « ان اسطاسيوس نطق بالحق » أما هؤلاء فاعترفوا مقرين بالخطأ بعزلهم فلابيانوس وانضموا مع الحزب النسطوري حيث قبلوا بأتم الاكرام فلما تمت الدعاوي والاجوبة عليها قال حينئذ ديسقوروس « أمر واضح ان فلابيانوس نفي لكونه قال بطبيعتين من بعد الاتحاد وأما أنا فلي شهادات القديسين اثناسيوس واغريغوريوس وكيرلس انه لا يجب القول بطبيعتين بعد الاتحاد لكن طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد فانهم ينفونني مع الآباء أنا اقول بقول الآباء ولا أخالفهم بشيء وكتبهم عندي تشهد بذلك »

« الدعوى الحادية عشرة » في جلسات المجمع الاخرى لم يحضر الاب ديسقوروس ويظهر من حوادثها انه الزم بعدم الحضور ووضع في حبس مخفوراً عليه بقوة عسكرية ولما دعي لكي يحضر أمام اعضاء المجمع مراراً وكانت هذه الدعوة بدون طريقة شرعية أبى الحضور فجعل ذوي الغايات عدم حضوره من الاسباب التي حكم بموجبها المجمع ضده ومن الوقوف على تفصيل ذلك يظهر كذب هذه الدعوى أيضاً فانه من المبادئ البديهية ان تحصيل الحاصل مما لا يقوم على اثباته بينة وذلك ان استدعاء الاخصام لديسقوروس لا يخلو من احد امرين اما ان يكون لتجديد البحث في الدعاوي التي قرف بها وبمقتضاها شجب فيتوقف النظر في ذلك على براءته وعدمها بحسب كذب الدعاوي او صدقها ويكون حينئذ الحكم الذي صدر ضده لاغياً وباطلاً وتصير تبرئة ساحة فلابيانوس ومن معه كاذبة والحال ان ذلك ممتنع لامرين الاول لعدم وجود القضاة المتعلق بهم الغاء ذلك الحكم ولذلك لما

علم ديسقوروس من الوفد بعدم وجود القضاة مع أخصامه أجاب قائلاً « بلغني ان القضاة ليسوا حاضرين وانا أشاء ان يحص عن دعواي امامهم » على انه لما دعوه للحضور اول مرة اجابهم قائلاً « كنت اشاء ان اذهب الى المجمع لو لم يمنعني مراراً الحرس من الخروج » ولما طلبوا له تصريحاً من الحرس امتنع لعدم وجود من ينصفه كما تقدم والثاني لكون أخصامه لم يغيروا هذا الامر أي ابطال ما بنوه وهو عزله ونفيه ويتضح ذلك من جواب الوفد له لما سألهم قائلاً (هل يقصد المجمع ان يبطل ما قضى به عليّ) فقالوا (ان المجمع لم يدعك ليبطل ما صار في محضر القضاة بل قصده ان تحضر) فاجابهم بما أجاب قبل واما ان يكون للنظر في دعاو جديدة عرضت في حقه فاستدعي ليجيب عنها وهذا أمر آخر مضحك للغاية من وجهين أولاً لكون القضاة ليسوا بموجودين ثانياً لان تجديد المرافعة عليه يوجب وقوع الشك والريب في ان تكون سائر الدعاوي التي قرف بها (كما هي كذلك) كاذبة ومزورة ويصبح الحكم الاول من ثم منقوضاً وباطلاً وقد تقرر في علم الهندسة ان برهاناً واحداً صادقاً يقوم مقام مئين من البراهين فلو كانت دعوى واحدة من تلك الدعاوى صادقة لكانت بمفردها تكفي لايجاب الحكم على المدعي عليه بها بدون توقع صدق أخرى وهذا ما أقصده من قولي ان تحصيل الحاصل محال اذ لو فرضنا انه حضر امام أخصامه وقدم براءة ساحته بمستندات سديدة عن الدعاوي الجديدة لما نال منهم سوى ما نال وزيادة فحقاً ان امتناع الاب ديسقوروس عن اجابة طلب أخصامه كان واجباً لانه لم يكن قصدهم سوى الازدراء به والاهانة ولذلك رفض هذا الطلب مقتدياً بأسلافه الذين كانوا أبوا ان يلبوا دعوة أخصامهم للحضور في المجامع الفاقدة العدل والمدعية الانصاف الذين منهم أثناسيوس الرسولي فانه دعي للحضور في مجمع قيصرية فأبى ثم دعي ثانياً في مجمع صور لحضر فيه ومع كونه قدم احتجاجات وطيدة عن دعاو زور فم...ره أخصامه ولذلك ترك المجمع وفر هارباً فحكموا بنفيه ومنهم يوحنا فم الذهب فانه تهم بست وأربعين تهمة ودعي الى مجمع القسطنطينية ليجيب عنها فرفض طلب أخصامه فقطعوا حكماً بنفيه فتوفي اثناء ما كان ذاهباً الى النفي ومنهم كيرلس الكبير الذي حكم مجمع يوحنا الانطاكي بافسس بعزله حالة كونه بريئاً فديسقوروس مع كونه

أفحم أخصامه عن معتقداته القوية وفند كل دعوى قرف بها لم يجد له من منصف ولذلك ديوسقورس ظلماً وبناء على رفض طاعة أخصامه للاسباب التي ذكرناها قد حكموا بخلاف الشريعة بتنزيله من الوظيفة الكهنوتية بزعمهم انه مخالف لقوانين الكنيسة على انه في نفس الامر لم يخالف الا ما انطوت عليه نياتهم الخبيثة وضمائرهم الرديئة فأين قوانين الكنيسة من أحكامهم التي لم يمسها بارقة من العدل فشتان ما بين هذه وتلك التي تبعد منها بعد السماء عن الارض ونهاية الامر ان مرسيان حكم بنفيه فسلمه لفرقة من الجنود وأمرهم ان يوصلوه الى (غاغرا) في جزيرة بفلاغونيا حاكماً عليه بالاقامة فيها مؤبداً فذهب مقاسياً اتعاباً كثيرة من الجنود المتبربرين الذين عاملوه معاملة لص قاتل وكان يصحبه من اكليروسه مكاريوس اسقف أتكو وبطرس القس وثاوبسطس الشماس كاتب سيرته وغيرهم وكان سكان تلك الجزيرة التي استبعدوا اليها يهوداً وعبدة أوثان (كما جرت العادة ان يعين لنفي الآباء أمكنة كهذه فاقدة معرفة المسيح لازدياد مصائبهم) فشرعوا ينشرون بينهم نور الانجيل وفي مدة وجيزة صيروهم مسيحيين وكانت الآيات والعجائب ترافقهم

« الدعوى الاخيرة والخاتمة » ان الطوائف النصرانية تدعي على ان مذهب الكنيسة القبطية هو مذهب أوطيخا واثباتاً لقولنا نذكر شيئاً من عبارات هذا الادعاء ونلاحظ عليها قال العلامة بطرس البستاني في كتاب دائرة المعارف في ترجمة ديسقوروس (هو بطريرك الاسكندرية خلف القديس كيرلس سنة ٤٤٤ ثم حرم ثيودوريت ادعاء انه تمذهب بالنسطورية وحامى بغيرة شديدة عن مذهب أوطيخا) وقال أيضاً في ترجمة أوطيخا (هو من أراطقة القرن الخامس ولد نحو سنة ٣٨٠ وتوفي نحو سنة ٤٥٤ صرف عدة سنين في أديرة القسطنطينية كقس وارشمندريت وكان تحت ادارته أكثر من ٣٠٠ راهب وتولى رئاسة الحزب المضاد لنسطوريوس الذي ذهب الى ان في المسيح اقنومين متميزين مجانبة لخلط طبيعته الالهية بطبيعته البشرية أما أوطيخا فكان يعتقد وحدانية اقنوم المسيح ويغار على اعتقاده أشد الغيرة فساقه الى القول بوحدانية طبيعته أيضاً ولذلك سمي اتباعه بما معناه القائلون بالطبيعة الواحدة أو أصحاب الطبيعة الواحدة ووقعت آراؤه موقع القبول لدى كنيسة

الاسكندرية التي تحبذ آراء نسطوريوس كل التحبيذ غير ان ارتقه فحص وشجبت في مجمع عقد بالقسطنطينية سنة ٤٤٨ وكان لاوطيخا واصدقائه منزلة عند تيودوسيوس الثاني فسمح له باستئناف المسألة الى مجمع عام عقد في افسس سنة ٤٤٩ تحت رئاسة ديوسقوروس أحد الاوطيخيين المتعصبين فاستظهر أوطيخا هناك بضجيج الرهبان وتهديد الجنود وتعدي الرئيس لخلع أشهر الاساقفة المخالفين غير ان البابا لاون لم يعترف بأعمال ذلك المجمع الذي سمي بالمجمع اللصي وحرم رئيسه ديوسقوروس وفي المجمع الخلكيدوني المسكوني الذي عقد سنة ٤٥١ شجبت اراء نسطوريوس واراء أوطيخا معاً . وفي القرن السادس أحيا آراء أوطيخا يعقوب البرادعي الذي توفي أسقفاً لادسا (الرها) فسميت اتباعه باليعاقبة نسبة اليه ولم يزل لهم الى الآن كنائس كثيرة في مصر وسوريا وبين النهرين وبلاد الحبشة . وحاول الامبراطور هرقليوس التوسط بين أصحاب الطبيعة الواحدة والكاثوليك فأصدر سنة ٦٣٠ أمراً امبراطورياً بتعليم العقيدة المختلف فيها على النسق الآتي وهو ان في المسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ومن ذلك مذهب المونوثيلية أي القائلين بالمشيئة الواحدة وهي آخر فروع الارطقة الاوطيخية)

وورد في كتاب الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة للروم في الكلام على مآثر يوستنيانوس الكبير (وقد اعتنى كثيراً في حفظ السلام التام والهدو في الكنيسة الشرقية رغماً عن ازعاجها حينئذ من كثيرين من الهراطقة ولا سيما الاقيفيين الذين كانت تعضدهم الملكة ثاودورة وتحامي عنهم) والمراد بالاقيفيين مضادو مجمع خلكيدون كما سيأتي بيان ذلك في موضعه

وورد في كتاب خلاصة تاريخ الكنيسة للكاثوليك في الكلام على الثلاث قضايا التي سيأتي ذكرها في مكانها ما هو (وبعد ما توفي الملك مرسيان تقوى حزب أوطاخي في مصر وارتكبت شيعته فيها فواحش مريعة ولم يجسر احد على مقاومتهم لكثرة عديدهم وشدة سطوتهم فأفرغوا جهدهم في تضعيف سلطة المجمع الخلقدوني الذي كان حرمهم)

وقال الاب جراسيموس مسرة بوجه ٢٣٣ من كتاب تاريخ الانشقاق الجزء الاول

(وأما الشيعة الاوطيخية فمعروفة بشيعة الطبيعة الواحدة) وقد سردت هذه الاقوال دحضاً لدعوى بعض ابناء طائفتنا القبطيــة الذين قالوا ان نســبة مذهبنا الى أوطاخي انما هو من جراء تأليفات (الراهب السرياني) يعنون بذلك الراهب البرموسي وهم لا يدرون ان هــذه النسبة الى مذهب أوطاخي قديمة جداً والغاية الآن ان توضح للقراء اذا كان يوجد محل لدعوى الطوائف هذه أم لا يوجد فنجيب بالسلب وذلك

(اولاً) ان ديسقوروس ومجمعه لم يقبلوا أوطيخا في شركة الكنيسة ويحلوه من حرومه ويردوه الى رتبته الا بناء على الاقرار الذي قدمه المعترف به واضحاً بسر التجسد بعكس ما كان يتهم ويظن به فانه نفى فيه الاستحالة والتغيير وهاك عبارته بحسبها ألفيناه في كتاب مجمع خلكيدون تأليف الكاثوليك وطبعتهم فانه بعد ما ضمن اعترافه سر الثالوث الاقدس ونزول الابن وتجسده وتألمه وقيامته من الاموات قال (أما أولئك الذين يقولون انه كان حيناً لم يكن وقبــل ما يولد لم يكن وانه صار من العدم أم من اقنوم آخر أم ذات أخرى أم انه قبل الاستحالة أم التغيير لهؤلاء تحرمهم الكنيســة الكاثوليكية الرسولية فهذا هو الاعتقاد الذي قبلته من البدء من أباي وأنا معتقد به واني أحرم ماني وبالنتيوس وأبوليناريوس ونسطور وسائر الهراطقة)

(ثانياً) ان ديسقوروس نفى عن ذاته تهمة القول بالامتزاج والاختلاط والاستحالة ورفض أوطيخا ما دام حائداً عن الايمــان القويم في بهرة المجمع الخلقدوني وبعث وهو في النفي رسالة الى شخص اسمــه اريطن مدونة في كتاب اعترافات الآباء دحض فيها أرثقــة أوطيخا وأثبت وحــدة الطبيعة للابن المتأنس جرياً على اقرار اثناسيوس وكيرلس وممــا قال فيها (يجب علينا ان نقلع ونخرج عنا كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات ... وأما نحن فمــا نؤمن هكذا بل نؤمن ان الله الكلمة صار جسداً بحق وبقي بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته لكن قوماً يظنون ويقولون اننا اذا قلنا ان المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت توجد في هذا القول موافقين لجميع خلكيدون ونحن نجيبهم ونقول اذا كان أهــل مجمع خلكيدون يعترفون ان الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فانا نوافقهم)

(ثالثاً) ان آباء المجمع الخلكيدوني اجتهدوا كثيراً ان يردوا ديوسقوروس الى

الجمع حتى ان نفى الاحكام ضده ولم يحجموا لمقاومة حكومة القسطنطينية لهم ولم يذكر أحد منهم أوطيخا بخير وهذا دليل على ان ديوسقوروس لم تكن له علاقة مع أوطيخا البتة

(رابعاً) ان آباء الكنيسة الذين نسجوا على منوال ديوسقوروس رافضين أحكام مجمع خلكيدون وفي مقدمتهم تاوذوسيوس الاسكندري وساويرس الانطاكي قد طعنوا نسطوريوس وأوطيخا بالحرم الرسمي في اعترافات لم تزل مسجلة في كتب الكنيسة القبطية

(خامساً) ان الاقرار بالطبيعة الواحدة للمسيح هو غير الاقرار بالاختلاط والامتزاج والاستحالة فالاول هواقرار الكنيسة دائماً راجع قراءةوجه (١٢٢)من هذا التاريخ وأما الثاني فهو اعتقاد أوطيخا واثباتاً لذلك نورد هنا عبارة من موسهيم المؤرخ الانكليزي وهي (ان الفتيخس اعتقد بأن طبيعة المسيح الالهية امتزجت بالانسانية حتى صار المسيح بطبيعة واحدة الهية غير انه لا يتضح جلياً أكان ذلك أكيداً أم غير أكيد أما هذه العبارة مع اسم الفتيخس فقد تركهما ورفضهما مقاومو المجمع الخلكيدوني الذين اقتادهم زينياس وبطرس القصار ولهذا يسمون ذوي طبيعة واحدة لا افتيخيين لان كل الذين يطلق عليهم هذا الاسم اعتقدوا ان طبيعة المسيح الالهية والطبيعة الانسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط ولكن بدون تحويل أو امتزاج (قرن ٥ ق ١ ف ٥ : ٢٣)

(٤) أما الاسباب التي حملت المؤمنين ولا تزال تحملهم على رفض هذا المجمع فهي أولاً الدعاوي الكاذبة التي أصدر المجمع الحكم بموجبها ضد الاب ديسقوروس [illegible] الملاحظة على كل واحدة منها وظهر كذبها ثانياً ان أساقفة العالم المسيحي في مصر وفلسطين وسوريا وأرمينيا وما بين النهرين لم يقفوا على ما حكم به وأثبته ذلك المجمع حتى ثاروا في كل موضع وعقد كل جماعة منهم مجمعاً حكم برفضه ورشق آباءه بالحروم لانهم أصدروا حكماً مضاداً للعدالة ضد الاب ديسقوروس وأثبتوا في دستور اعتقادهم اثنينية الطبائع في المسيح من بعد اتحادها وقبلوا في شركتهم رؤوس الحزب النسطوري الذين حكم عليهم المجمع الاول والثاني في افسس بالخروج من

حض الكنيسة وقد حكم برفض هذا المجمع مجمع مركب من خمسمائة أسقف اجتمعوا في العاصمة سنة ٤٦٨ واثباتاً لذلك نذكر ما قاله الاب جراسيوس في الجزء الثاني من تاريخ الانشقاق وجه ٢٦٥ وهو (ان باسيلسكوس بحال ارتقائه الى كرسي المملكة ... القصار البطريرك الانطاكي وتيموثاوس ايلورس البطريرك الاسكندري ... مركزيهما وبرأيهما أصدر منشوراً ضد المجمع الخلكيدوني ورسالة البابا لاون وجعل مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الاولى في المملكة عموماً وأجبر نحواً من خمسمائة أسقف ان يمضوا على منشوره) وعقيب هذا المجمع بنحو ست سنين انعقد مجمع آخر في العاصمة في أيام الملك زينون رفض مجمع خلكيدون وأصدر الملك حكمه بمنشور ملوكي معروف باسم (كتاب الاتحاد) قبلته بطاركة الاسكندرية وانطاكية وقسطنطينية ... عليه نواب البابا كما سنوضح ذلك ثالثاً ان المجمع الخامس عند الروم واللاتين قد ثلم صحة مجمع خلكيدون بحكمه ضد الثلاث قضايا كما سنبين ذلك في محله رابعاً ان الكاثوليك قد ثلموا صحة هذا المجمع بمخالفتهم لما تضمنه القانون التاسع والقانون الثامن والعشرون من قوانينه اللذان أثبت فيهما ذلك المجمع مساواة سلطان الاسقف القسطنطيني بسلطان الاسقف الروماني فقد قال في الاول (اذا قام خصام بين أسقف أو اكليروسي وبين ميتروبوليت الابرشية عينها فليرفع الامر اما الى اكسرخوس الولاية او الى كرسي القسطنطينية المتملكة) وقال في الثاني (نحدد نحن ايضاً ذلك التحديد عينه ونصدق عليه في تقدم الكنيسة الجزيلة القداسة كنيسة القسطنطينية عينها رومية الجديدة لان الآباء قد منحوا بلياقة لكرسي رومية القديمة التقدم لكونها المدينة المتملكة وهذا القصد عينه قد حرك الاساقفة المائة والخمسين الجزيل تورعهم فمنحوا كرسي رومية الجديدة الجزيل القداسة مساواة التقدم اذ رأوا من الصواب ان المدينة التي شرفت بالملك والمجلس الاعلى وحصلت على مساواة التقدم لرومية عاصمة الملك القديمة لها ان تعظم مثل تلك في الاحوال الكنائسية ايضاً وان تكون ثانية بعدها)



البابا تيموثاوس البطريرك السادس والعشرون سنة ٤٥٠م — ٤٧٢م

وحدث ان الملك مرسيان لما توفي الاب ديسقوروس أقام شخصاً يدعى بروتوريوس بصفة بطريرك على الاسكندرية وأرسله الى مركزه فرفض أساقفة مصر الاشتراك معه وعقدوا مجمعاً حكموا ضده وضد مجمع خلكيدون ورسالة البابا لاون وكان حضر بقوة من طرف الحكومة ونهب وسلب الكنائس واستولى على مال الاديرة حتى صار ذا ثروة جزيلة ومال وافر فهجمت اللصوص عليه ليلاً طمعاً في الحصول على ثروته وقتلته وسلبت بيته وتركته ميتاً فاتهم المؤرخون ان المسيحيين الاقباط هم الذين قتلوه اما الاساقفة المستقيمو الرأي فلم يكرسوا لهم بطريركاً حتى تحققوا ان ديوسقوروس رقد في الرب متمماً جهاد التقي سنة ٤٥٠ م وكان الملك المحامي عن مجمع خلكيدون قد توفي وقام بدله لاون الاول فانتهز الاساقفة هذه الفرصة وكرسوا بسرعة تيموثاوس بطريركاً على الاسكندرية فجمع مجمعاً وحرم المجمع الخلكيدوني فغضب عليه الملك لاون ونفاه هو وأخاه اناطوليوس الى غاغرة من أعمال بفلاغونيا فاستمر في منفاه سبع سنين الى ان رده الملك لاون الثاني واتحد مع بطرس القصار بطريرك انطاكية وعقد مجمعاً في العاصمة مركباً من نحو ٥٠٠ أسقف حكم برفض مجمع خلكيدون وأقر على التعليم بوحدة المسيح الطبيعية ورفع قراراً الى القيصر فقبله وأصدر منشوراً بالتمسك به دون غيره فاتحدت كراسي القسطنطينية والاسكندرية وأورشليم وانطاكية معاً واستمر هذا الاتحاد مدة مستطيلة ولما كانت سنة ٤٧٢ م توفي الاب تيموثاوس

البابا بطرس البطريرك السابع والعشرون سنة ٤٧٢ — ٤٨١ م

(١) مبادلة رسائل بين هذا البطريرك وبين أكاكيوس بطريرك القسطنطينية بطلب الاتحاد (٢) انعقاد مجمع في العاصمة بسبب ذلك وصدور منشور الاتحاد من الامبراطور زينون (٣) رسائل التهاني بين ذينك البطريركين (٤) انشقاق في كنيسة الاسكندرية بسبب الاتحاد (٥) الثلاث تقديسات

(١) وحدث انه لما توفي البابا تيموثاوس بادر الاساقفة الارثوذكسيون ورسموا القس بطرس بطريركاً ولم يطل كاتذرا البطريركية حتى عقد مجمعاً حرم فيه مجمع خلكيدون ورسالة البابا لاون فأهاج عمله هذا الملك ونفاه وأقام بدله شخصاً اسمه تيموثاوس الابيض ولما مات تعين خلفاً له يوحنا طالائياس وكان هذا أقسم امام القيصر على انه لا يصير بطريركاً فسخط عليه وعزله ورد الاب بطرس من منفاه وكان اكاكيوس أحد مناضدي مجمع خلكيدون ومضادي بطرس البطريرك الاسكندري لايزال بطريركا بعد على القسطنطينية فوبخته سريرته وندم على ما فعله مرتاباً بصحة ذلك المجمع وناوكا مباديه فأخذ يسعى ويجتهد في ان يتحد مع صاحب الترجمة وأرسل له مع يوليانوس الشماس الاسكندري يحلف له بالانجيل المقدس بأنه عزم بكل نفسه على العدول عن المذهب الخلكيدوني راغباً ان يتحد معه وتمسك برأيه ورفض ما يرفضه ومن ثم بدأت الرسائل تتبادل بين الفريقين حتى انجلت الحقيقة وأجمع كلاهما على الاتحاد وتعين لذلك انعقاد مجمع في العاصمة حكم به ورفع الى الملك زينون تقريراً يحتوي على مبادي الايمان الصحيحة طالباً اليه ان يصدر أمره بتنفيذه ففعل ذلك ومن سوء الحظ ان كتبنا الآن لا تحتوي الا على خبر هذه الحادثة التي لها شأن وأهمية في كنيستنا ما عدا انه مذكور في تاريخ صاحب الترجمة في كتاب تاريخ البطاركة ان صور تلك الرسائل والتقرير المجمعي والمنشور الملوكي موجودة في دير الانبا مقاريوس في وادي الاطرون والباحث في كتب ذلك الدير لا يجدها أثراً بعدعين فان الدهر الخؤون اضاع كتبنا النفيسة وبدد ما فيها من البراهين والمستندات القوية غير أن الفضل في الوقوف على هذه المحررات لجمعية الآثار الفرنساوية في القاهرة فانها وجدتها باللغة القبطية في احدى جهات القطر المصري وترجمتها الى اللغة الفرنساوية وطبعتها بتينك اللغتين سنة ١٨٨٨ ميلادية غربية في مجلد واحد يشتمل على تواريخ بعض الآباء وبعض مواعظ الاب كيرلس الكبير وغيرها وعلى هذه المحررات وعددها أربعة عشر رسالة ثمان رسائل من الاب بطرس وست من الاب اكاكيوس تخللها صورة المنشور الملوكي ولما كان الوقوف عليها يهم كل مسيحي على وجه العموم وقبطي على وجه الخصوص قد ترجمناها حرفياً وأدرجناها في هذا التاريخ لتتم فائدتها وهاك هي

﴿ الرسالة الاولى التي ارسلها الانبا بطرس الى اكاكيوس ﴾
« بدون عنوان في الخارج »

ان الشماس يوليانوس قابلني ليلة في مكان كنت هارباً فيه من هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة وبيده الانجيل المقدس فقال لي (اني لما كنت في القسطنطينية أرسل الي أكاكيوس شماساً يدعوني الى المكان الذي كان يبيت فيه فلما سرت اليه قال لي أيها الشماس يوليانوس هل انت مزمع ان تشترك معي في الصلوة أم لا فأجبته قائلا لا . لان ذلك من المستحيل فانه لا توجد هنا الارثوذكسية يعني لا تصلي. ثم أمرني ان أجلس وكنا كلانا منفردين في ذلك المكان ولما حل الانجيل قال لي هكذا انطلق الى الاسكندرية وفتش على الانبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك انا الآن بقولي (وحق الكتب المقدسة اني ارغب من كل نفسي ان أتوب واطرح عني هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة فاني بينما كان المضبوط تيموثاوس موجوداً في هذه المدينة بمنزل (باسيليكوس) أرسلت نحوه شماسي (كريزاريون) وبيده كتابي المخطوط بيدي وفيه بت وحرمت مجمع خلكيدون وطومس لاون والأوطاخيين وكل هرطقة . غير ان ثيوكتيستيس الوالي المعتنق مذهب أوطاخي المعترف بتعليم باطل لما وجد الشماس في الساحة أخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد اني قد حرمت فيه أوطاخي فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب ولم يكن ليعلم بذلك تيموثاوس [illegible] لانه كان ساكناً في الدور الاعلى . وقد كنت ظننت ان الشماس طرد بايعاز الطوباني تيموثاوس و[illegible] الحزن استولى علي بسبب ضرب شماسي لبثت لا أبدي [illegible] حركة خائفاً على تكدير سلام تلك الايام وحيث اني الآن أخشى ان تدركني ساعة الموت ويحل بي قضاء الله أطلب اليك وأنا مستعد ان أفعل كل ما يريح فؤادك واني لمتندم وتائب وحارم لكل هرطقة)

وبما ان شماسي يوليانوس أخبرني بكل ذلك بقسم فقد أرسلته اليك دفعة ثانية وسطرت لك في هذه الرسالة كل ما قال لي فان كان الامر لا يخالطه ريب وانك قلت له هذه الامور فاكتبها لي

رسالة الاب بطرس الثانية الى اكاكيوس

من بطرس بطريرك الاسكندرية الى اكاكيوس بعد ما ارسلت اليه شماس يوليانوس بثمانين يوم جاءني منه خطاب على يد خادمه ثيودوسيوس ولم ارد ان افض ختومه ولا ان اقرأه حين رأيت ما هو مكتوب على عنوانه لاني لم ارض بما هو مسطر فيه لان العنوان مكتوب فيه هكذا (يسلم الى قداسة الانبا بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية من عند اكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية)فقل لي اذاً لماذا تدعوني رئيس أساقفة انت الذى اجتهدت ان تعزلني كما توهمت بصوت غير مفهوم ملاحظاً القوة البشرية . اني أنا رئيس أساقفة لانه لم يعزلني أحد رضيت بذلك أو لم ترض لاني حفظت ايمان الله ولم انكره ولكن كيف تجسر انت وتدعو نفسك رئيس أساقفة ألا تقيم الحجة عليك سريرتك الداخلية وندامتك على ذلك . وبالاجمال (قل لي) حقاً من هو أنت وبكم مقدار سرت في (طريق) الشرور . فانهض اذاً وتأمل في ما فعلت فان القاضي مزمع ان يطلب من يدك الحقل المزروع . وهوذا أرسلت لك خطابك مختوماً كما أرسلته لي . لاني لم أقرأه بالجملة

رسالة اكاكيوس الاولى

من اكاكيوس الى بطرس رئيس الاساقفة ان الاطباء الحاذقين من عادتهم ان يقطعوا بسلاح حاد الاعضاء الفاسدة . فهكذا انت أيها الاب الحاذق فانك بسيفك الروحي قطعت فكر العظمة وأظهرت بذه الصحة بحق . ولذلك ان لي ثقة وأرجو بنعمة الله ان المسيح ابن الله الوحيد يشفي بمراهمك اللطيفة كل ما هو مستتر فيّ من الامراض والاوجاع ويعيد صحة جسم الكنيسة كما كانت (سابقاً) والآن أنا تائب وبالك نظير بطرس أول الرسل الذي أنكر المسيح واتوسل اليك ان تقبلني وأنا تائب كما قبل المسيح بطرس . واذا كنت تقضي عليّ أنا

الحقير ان أكون بمنزلة علـاني فأكون معك في الايمـان الارثوذكسي فقط واني سأتكبد مضض هـذا الالم لكي انجو بنفسي من هذا القيد النجس الكفري عروس المسيح التي هي الكنيسة فان خيراً لي بالحري على كل حال كما قلت ان أتكبد هذا الالم لكي أربح المسيح الامر الذي اتممته منه الى الآن . استحلفك أيها الاب الاقدس بشفقة الرسول بولس اللطيفة وقل لنا جميعاً (يا أولادي الذين أتمخض بهم من جديد الى ان يتصور المسيح فيكم) . وقد كتبت لك في الخطاب الذي أعدته لي بدون ان تقرأه (والحق معك) ما مضمونه . (يانبراس الايمـان الارثوذكسي أشرق على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لان ظلام الكفر والعمـاء قد استحوذ على المسكونة فاننا سائحون في هوة الانكار والموت التام من حين ما تعرينا من الايمـان . وحسناً قال داود عنا باستحقاق (الجميع زاغوا معاً وعثروا) لاننا كلنا نحن الخطأة قد تركنا الله وراء ظهورنا على حسب قول النبي مندهشين من هيبة الملوك الظالمين وقد اطفأنا شعاع الايمـان المستقيم المضيء لكي نحصـل على المجد البشري فاشرق علينا يانبراس الارثوذكسية وانرنا نحن الجالسين في الظلام (بعيـداً) عن نور الارثوذكسية تشبه باسطفانوس رئيس الشمـامسة وأول الشهداء وأصرخ بصوت عال الى الله من أجلنا نحن الذين اضطهدناك وقل اللهم لا تحسب عليهم هذه الخطية

رسالة الاب بطرس الثالثـة

من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية الى أكاكيوس . انك زدت برسالتك وجعاً على وجع نفسي المثقلة بالآلام واني لغاية هـذا الحين كنت اجتهـد ان أرفع نفسي من ذنوبي الكثيرة لكي استحق ان اقف بدون عيب أمام منبر المسيح . والآن لا ادري ماذا افعل لك بعد ما كتبت لي فان المرض الذي استحوذ عليكم بارادتكم لا استطيع ان أشفيـه وهوذا قد مضى على انعقاد مجمـع خلكيدون واحد وثلاثون سـنة الذي بسبب مذهبه الفاسد بددتم قطيع المسيح وقسمتم جسم الكنيسـة المقدس الذي مات المسيح عنـه بامضائكم على الاعتراف بالطبيعتين وعلى

طوموس لاون وقد شابهتم الاسد المفترس بأنيابكم المدعة الامانة فانكرتم الايمان المستقيم وبكفر قسمتم الله الغير المنقسم : فأي كفر أعظم من هذا وأي حزن أريد منه فلذلك لا أدري ماذا أفعل معك فان مرضك الارادي لا أقدر ان أشفيه لاني انا أيضاً رجل خاطئ موضوع تحت حكم الموت فلعل المسيح الذي أنكرته لا يطرحك فصل اليه عساه يلتفت اليك ويرحمك ويتقذك . فليبكك جميع القديسين الذين تعريت من سعادتهم فليبكك الفردوس الذي أعد لك وعدمته بسبب كفرك فلتبكك الشمس التي لما رأت آلام المسيح حجبت نورها والتحفت بالظلام عوض النور مبكتة الكافرين في ذلك الزمان وانت الآن فلتبكك كل الخليقة المنظورة والغير المنظورة فليحزن عليك القوات الذين هم فوق الجميع وليمثل أمام الله المحب البشر طغمات رؤساء الملائكة وليسجد من اجلك الشاروبيم والسارافيم ذوو الاعين الكثيرة ومصف الملائكة الذين لا يفترون من تقديس الله المثلث فليصلوا عنك لكي يسمع لك ويرسل نقطة من رحمته عليك وعلى الشعب المظلوم الذي تبدده كاهن مملوء من الغرور . فعلى ذلك لا أكف ان أنصحك بصفتي رجل خاطئ لانك أنكرت الله فلا تتقاعس من ان تستغيث اليه بشفاعة القديسين لكي يردك ويرحمك وينقذك

رسالة اكاكيوس الثانية

من اكاكيوس الى بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية . الآن اعد نفسي سعيداً لاني رأيت ابوتك المقدسة قد تأثرت جداً واشتركت باوجاعنا الى الله عنا بخوف واهتمام ذلك الذي لم ننكره . الآن تأكد قلبي انك تلميذ حقيقي للمسيح لانك تنصحنا للخير وحسناً تعلمنا الا نكف من الصلوة الى الله الذي انكرناه لكي يردنا ويصنع معنا رحمة ويقبلنا فنحن مزمعون ألا نفتر من عمل ذلك . غير ان طوموس لاون المملوء من الكفر الذي امضى عليه بنفاق مجمع خلكيدون محابياً مع الملك الكافر مرقيان والذي احدث التوقيع عليه انكار ابن الله الوحيد فهذا الطوموس المملوء من الكفر قد حرمته امام سكان السماء والارض بهذه الرسالة التي

بيدي هو وجمع خلكيدون وبالتالي انظر يا أبت المحبوب الى الخطر الذي يتهددك من قبـل الله فانك اذا كـنت تمشو ظلماً وتهملنا لنهلك وتقابل الشر بالشر ولم تقابل الشر بالخير نظير معترف للمسيح ولم تقبلنا لكي يخلص الشعب بواسطتك وتحل السلامة فسأقيم الحجة عليك أمام كرسي المسيح وامام جميع الملائكة لاني انا بيدي الخاصة كتبت وحرمت بهـذه الرسالة جمع خلكيدون وطومس لاون وكل من يفرق وحدة المسيح الى طبيعتين ولألتزمن السكوت مسلماً حكمي الى الاله المحب للبشر والى قداستك ايها الاب الرحيم

رسالة الاب بطرس الرابعة

من بطرس رئيس اساقفـة الاسكندرية الى اسكاكيوس . لمـا ذا أيها الرجل تسحق روحي الذليـلة لمـاذا تقاضـيني والى الآن تنظر الي بصفة كافر وقد كنت اجتهـدت ان تعزلني وانتضيت امامي سـيوف الملك فلم أخجل من ان أفوه بالحق والآن تزعجـني وتضع عليّ أحمـالاً ثقيلة فانك تشكيني أولاً امام الله وتضـع عليّ خطراً لا أستطيع ان أقوى عليـه بقولك (انك مزمع ان تقيم علي الحجة امام كرسي المسيح اذا كنت لا تقبـل توبتنا وتقابل الشر بالشر ولم تقابلنا بالخير بدل الشر ولم تكترث بصالحنا وتتركنا لكي نموت في هذه الهرطقة) فاعلم انه لا يمكنني ان أكون بدون اهتمام وان أهملكم والا أقبل الذين تابوا بسبب القضاء الذي اقلقني به لان الله يحب جميع الناس واني لا أقابل الشر بالشر لـكن بالحري اجتهد ان أقابل الشر بالخير ليعطنا الله قوة على ذلك واعرف انك قد حرمت بحرمك لطومس لاون آباءك الذين وقعوا عليه وينبغي ان تعلم أيضاً انك حرمت نفسك وأصبحت غريباً من كل درجة كهنوتية وصرت علمـانياً فلا يحزنك هذا الـكلام فاني لا أخشى البتة أمراً فلا أخاف ولا أكـف من ان أقول الحق فانه لا أحـد يقدر ان يسلبني حريتي التي هي المسيح نفسه ولو نزعت هامتي

رسالة اكاكيوس الثالثة

من اكاكيوس الى الانبا بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية . اني قلت مرة ولا ازال اقول كما قلت لقداستك يا ابت احذر الخطر الذي يتهددك بسبب المسكونة فان كنت لاتهم وتدعنا ولم تقبل الذين تابوا بعد ان حرمت طوموس لاون ومجمع خلكيدون وحرمت نفسي أيضاً ولكني مسرور فاني منذ الآن لا أشفق على ذاتي حتى أربح المسيح . فالآن أيها الاب الاقدس أنا والاساقفة الذين تابوا ربما نكون مطرودين ومتحرمين من الكهنوت بالكلية ولكن أين هي الينابيع التي تفيض من مراحم الاله وكيف ان الكتاب ينطق قائلاً الحق (قل انت خطاياك أولاً لكيما تتبرر) فمتى ان توبتي لا تعود على كل الدنيا بالمضرة والدمار بدل اصلاحها . فان جملة من الكهنة اذا إلقوا من المذبح لابد انهم يحزنون ولم يقبلوا الى التوبة غير مريدين ان يتركوا الكنائس وهكذا كثيرون من الشعوب يشكون ويقلقون ولا يمكنهم ان يحتملوا ترك رعاتهم فلذلك لا يكون محل لفعل السلامة وتكون كنائس الله موضوع قهقهة الهراطقة الكافرين وتكون الاواخر شر من الاوائل

فاقبل بالحري ايها الاب الاقدس دعاءنا واجتهد بكل روحك ان تتضرع الى ذلك الذي لم تنكره لكي يمحو عنا نحن الكهنة توقيع يدنا الذي انكرناه به . أمنحنا اكاليل الكهنوت الارثوذكسي وكن شبيهاً بموسى الرحيم واصرخ الى الرب قائلاً (ان غفرت لهم اغفر لهم وان لم تفعل ذلك فامحني من كتابك الذي كتبت) فان هرون الكاهن العظيم كان اخطأ ايضاً مع الشعب اذ صنع له العجل الذهب وخالف مع كل الشعب وبصلوة موسى الرحيم احرز حالاً المصالحة مع الله ولم يتغرب من الكهنوت واستمر كاهناً لله الى نهاية أيامه . فكن شبيهاً بموسى أيها الرجل الصالح كما قلت واصرخ مثله الى الرب عنا وتعال الينا وخذ بيدنا الملطخة وانشلنا من جحيم الكفر وأقمنا على الصخرة الثابتة الحقيقية التي هي المسيح يسوع كما قال بولس الرسول ان (الصخرة هي المسيح) الذي صار انساناً لكي يخلص الجنس البشري . فصل اذاً الى الله أيها الاب بدون

فنور ان يقبل توبتنا والا يهلكنا الى النهاية . أنظر الخطر الذي يتهددك بسبب المسكونة ولا تتأخر من قبول توبتنا لكي تصطلح الكنائس وتتحد واني الآن أحرم مجمع خلكيدون وأتوب وأصرخ قائلاً أخطأت يا رب أخطأت اغفر لي فاني خاطئ ·

رسالة الاب بطرس الخامسة

من بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس . اني متضايق في كل حال فانك يا أخي وشريكي قد نصبت لي بسبب توبتك العظيمة حبائل الموت في كل مكان فلم أقبلكم ولم أشترك بآلامكم وأشاطر انزعاجكم وأساهم عملكم الملكي أنتم الذين عقدتم النية على التوبة والخلاص فساجد ذاتي ساقطاً في كفر هرطقة تباع (والنيوس) الذين لا يقبلون توبة وصامداً امام الذين يرومون ان يتمسكوا باطراف التوبة باب محبة الله العظيمة من محو البشر . فالآن اصغ الى تدبير الرب وقدم توبة بالصوم مدة أربعين يوماً ولاتقابل أحداً (في هذه الاثناء) بدعوى انك مريض فصم واصنع توبة باجتهاد عنك وعن الشعب باسره وانا ايضاً سأصوم واصنع توبة من اجلك فلنقدم كلانا توبة بحال سرية من أجل جسم الكنيسة باكمله فلا نتناول الخبز بشهية عظيمة ولا ندهن بزيت ولا نشرب خمراً ولا جعة (بيرة) ولنغذ جسدنا الاثيم بنبات الارض ولنتضرع الى الله الذي يرحم الجميع بالدموع ليلا ونهاراً لكي يلقي التفاته على توبتنا ويزكيك من اقرار مجمع خلكيدون بالطبيعتين . وبعد مضى مدة الاربعين يوماً من الصوم سيعلن الله لنا ويعلمنا ما يلزمنا ان نفعل وسيرينا حنوه ومراحمه

رسالة اكاكيوس الرابعة

من اكاكيوس الى بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية اشكر الهنا ايها الاب الاقدس لانك رضيت ان تشاطرني اتعابي أنا الخاطئ الذي كنت على شفا الهلاك اشكر الله الذي نجاني بصلواتك وادخلني الى نوره المقدس الشكر

لله الذي يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون . ان الصوم والقداس الذين أمرني بهما الله (قمت بواجبهما) عن طيبة قلب ومسرة ومحبي الله قرد وخصوصاً اني علمت ان أبوتك اشتركت باتعابي وجاهدت معي بهذا العمل فقد صمت أربعين يوماً كما أمرتني نائباً وباكياً ومتضرعاً الى الله بحرارة ان يغفر لي انا والشعب ويطهرنا من ضلال هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة التي حرمتها . والآن ايها الاب الاقدس انظر الى تواضعي بالكمال وارجوك مستغفراً ان تمنحني حرية تامة واجر صلح الكنائس وارسل لنا ايها الاب الاقدس أناساً قديسين من رهبان البرية ومن الاديرة ومن المدينة رجالاً خائفين الله ومحبين للعمل ليطلبوا من الملك ليتم صلح الكنائس ويرفض مجمع خلكيدون وأنا سأنطلق الى السراي وأنصح الملك وأقنعه عوضاً عنك انك رافض مجمع خلكيدون كما قلت أنا ذلك لكي يتم تدبير صلح الكنائس .

رسالة الاب بطرس السادسة

من بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس رئيس اساقفة القسطنطينية

اني كما كتبت لاخوتك قد قضيت اربعين يوماً صائماً واستغفرت عنكم لكي يغفر لك الله ويقبل توبتك كعظيم رحمته وصلاحه والآن قد اقنعتني خيرية الاله ان اقبلك وأمنحك الحل سيما لانك حرمت معي مجمع خلكيدون وحفظت الايمان الارثوذكسي الذي استلمناه من الثلاث مئة وثمانية عشر أسقفاً ولذلك قد أرسلت الى الملك كما كتبت لي رهباناً محبين لله من البرية ومن الاديرة وأناساً ذوي تقوى ومحبين للعمل فالآن اسرع ايها الحبيب واقنع الملك لكي يتم تدبير صلح الكنائس في الايمان الارثوذكسي وقد ارسلت لك يا أيت الحل كسرة الله فان صلاح الاله ومحبته من نحو البشر اعلناني انه تعالى غفر لك وقبلك واظهر لي انا الخاطئ الغير المستحق سراً عظيما وقت القداس من اللازم ظهوره لك أيضاً لكي اذا كمل تدبير صلاح الكنائس في الايمان الارثوذكسي نمجد اسمه القدس منذ الدهر والى كل الدهور آمين

(٢) ثم انه بعد ما مضى الى القسطنطينية شيوخ البرية والمحبون للعمل كتب الملك منشور الاتحاد هذا

من الامبراطور القيصر زينون الشقي الغالب الظافر المعظم جداً الاوغسطس المكرم الى الاسكندريين والليبيين وأهل الخمس مدن الاساقفة والشعب

انا نعلم ان رأس مملكتنا وقوتها وقدرتها واسلحتها المنيعة هي من قبل الامانة الارثوذكسية المبرورة وحدها التي قررها الآباء القديسون الثلاث مئة وثمانية عشر الذين اجتمعوا في مدينة نيقيا بقوة الروح القدس وأيدها المئة وخمسون أباً الذين اجتمعوا في القسطنطينية ونحن نأمر ليلاً ونهاراً بكل صلوة وبكل اجتهاد وناموس بالتمسك بهذه الامانة بثبات بكل مكان من الكنيسة الجامعة الرسولية لكي تنمو في الايمان الارثوذكسي الرسولي لانها هي أم مملكتنا الغير المضمحلة الدائمة ولكي يكون الشعوب الاتقياء مصطلحين ومتحدين ويقدمون الابتهالات المقبولة عن مملكتنا فانه اذا قبل عبادتنا وتمجيدنا سيدنا والهنا المسيح الذي أخذ جسداً من العذراء مريم القديسة وتمجد بذلك نقهر القبائل الثائرة ويمنح الله للبشر السلامة والخيرات والعافية والاثمار الصالحة وكل ما هو جيد

والآن قد قدم لنا محبو الاله ارشمندريتيون وشيوخ البرية وأناس أخر أتقياء رجاء سائلين منا بدموع ان نجري صلح (اتحاد) الكنائس ونجمع الاعضاء التي مزقها عدو الخير لتشترك ببعضها

ولهذا بادرنا لاستماع (ذلك) واتمام هذا العمل الصالح فاذاً نعلمكم انه أي بحث كان أو تحديد ايمان آخر خارجاً عن الامانة التي قررها الآباء الثلثمائة وثمانية عشر فانا نرفضه بل ان كان أحد يتخذ أمانة أخرى خارجاً عن التي سبقنا وأخبرنا عنها فذاك نجعله غريباً عنا لان أمانة الآباء الثلثمائة وثمانية عشر كما قلنا آنفاً نعرفها انها غير معابة وانها مستقيمة تلك التي أيدها الآباء القديسون المائة وخمسون بالقسطنطينية واتبعها آباؤنا القديسون الذين اجتمعوا مع القديس كيرلس وعزلوا المنافق نسطوريوس وقبلوا أيضاً الاثني عشر فصلاً التي للطوباني كيرلس

ونحن أيضاً نحرم نسطوريوس وأوطيخا الخيالي وكل من ظن بأمانة أخرى

خارجاً عن الامانة التي سبقنا وأخبرنا عنها التي للآباء القديسين الثلثمائة وثمانية عشر ونعترف بأن الله الوحيد الجنس إلهنا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي صار انساناً بالحقيقة المساوي لله بحسب اللاهوت وهو مساو لنا أيضاً بحسب الناسوت الذي تنازل وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء القديسة نعترف به انه ابن واحد لا أثنان . الآلام والعجائب نعرفها انها لواحد هي أعني به ابن الله . ان الذين يفرقونه أو الذين يجعلونه أثنين . أو أيضاً يظنون فيه خيالاً أو امتزاجاً لا نقبلهم بالكلية لان المولود من العذراء لم يزد ابناً آخر لان الثالوث ثبت ثالوثاً من بعد ما صار كلمة الله الواحد من الثالوث جسداً

واعلموا أيضاً ايها الاحباء انه لا نحن ولا الكنائس قاطبة ولا اساقفة الكنائس الارثذكسيين نقبل امانة أخرى ولا تحديداً آخر ولا تعليماً آخر خارجا عن امانة الآباء القديسين الثلثمائة وثمانية عشر لانها هي وحدها الامانة التي يصطبغ بها فلنتفق (فلنتحد) اذاً مع بعضنا بعضاً غير خائفين من احد ولا صائرين ذوي قلبين وكل من آمن وظن بنوع آخر ان كان للآن او قبل هذه الايام في المجمع الخلكيدوني أو بأي اجتماع آخر خارجا عن الامانة التي بدأنا بها وقلنا عنها التي للاباء الثلثمائة وثمانية عشر هذا نحرمه ونجعله غريباً عن الكنيسة الجامعة وبالاخص نسطوريوس الذي اعترف بطبيعتين والذين يرتأون مثله وأوطيخا الخيالي نحرمهم .

فاصطلحوا اذن مع الام الروحية التي هي الكنيسة الجامعة كأبناء احباء وهي تراعيكم مريدة ان تحتضنكم بعظم بركة لكي يسر الله بنا جميعاً وتفرح بكم كافة الملائكة

رسالة اكاكيوس الخامسة

من اكاكيوس رئيس اساقفة القسطنطينية الى قداسة الانبا بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية وأثيوبيا

انه لما حضر الى هذه المدينة المالكة الاساقفة القديسون والاكليروس وشيوخ

البرية وتعبون للعمل فصلى الله ان كل شيء يتم بعناية الحمل المحمود لان الملك التقي زينون خصص ذاته بمسرة قلب زائدة لتصيب الايمان الارثوذكسي وارسل نحوي معتناً ولكي لا أقول لك ما حصل لانك تعرف كل شيء من الرجال المحبين لله الذين حضروا الى تلك [illegible] انه أمر بمرسوم الاتحاد (بالانوتيكن) الذي حرم فيه طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل هرطقة المؤيد بالايمان الارثوذكسي الذي سلمه الينا الرسل الاطهار . فهوذا مرسوم الاتحاد قد استلمه المحتشم (برجام) من يد الملك ومن يدي ومن أيدي الذين توجهوا اليك والذين أرسلتهم الينا استلمه واختبره ووقع عليه وابسط نور الارثوذكسية الحقيقي . ومصباح الايمان القويم الذي كاد ينطفىء خذه وانر به جميع البشر وحلنا من قيود الكفر واستلم كرسيك من الله ومن عروسك الروحية المحبوبة كنيسة الاسكندرية وافرح أيها المعترف بالمسيح لان القاضي العدل وضع على هامتك اكليل الارثوذكسية لانك قبلتنا تائبين وأنقذتنا من ضلال مجمع خلكيدون وكل الشعب اختبر رحمة الله المجد للآب والابن والروح القدس منذ الدهور جميعها آمين

رسالة الاب بطرس السابعة

(٣) من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية

اني قبلت بالرب الذين وافوا من المدينة المالكة وهم الاساقفة المحبون لله شركاي والاكليروس وشيوخ البرية وعجدت محبة الله للبشر الذي أقنع بواسطتك الملك العادل (حتى أصدر) مرسوم الاتحاد الذي استلمته من المحتشم (برجام) ولما قرأته علمت بأية قوة حرم طومس لاون ومجمع خلكيدون أيضاً وكل هرطقة ووجدته يوافق الايمان الارثوذكسي الذي للآباء الثلاثمئة وثمانية عشر الذين اجتمعوا في نيقيا والمئة وخمسين الذين اجتمعوا في القسطنطينية والمجمع الذي صار في افسس مع القديس كيرلس ولذلك أنا أيضاً بعد ان شكرت الله وقعت عليه (اي على مرسوم الاتحاد) حارماً طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل هرطقة فأشكر الله المحب البشر

وأمجد اسمه المقدس لانه رد الضالين وجمع قطيعه المتبدد وصالح كنائسه المقدسة في الايمان الارثوذكسي الرسولي فليكن اسمه مباركاً في جميع الاجيال آمين . قد استلمت برأفته كرسيّ الذي لمرقس الانجيلي وجلست عليه مع عروسي الطاهرة الروحية الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية في اليوم الثامن عشر من شهر بشنس الذي هو اليوم السادس من الاسبوع

رسالة اكاكيوس السادسة

من اكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية الى الاب الاقدس المعترف بالايمان الارثوذكسي بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية .

اني لا أكف من ان أوليك العجب أيها الاب الاقدس وبالاخص اني أمجد الله الذي منحنا هكذا هذه النعمة العظيمة ان نعرف باعلان لي (ارادته) لانه بالحقيقة قد اقتنعت انك كلما تصعد الذبيحة المقدسة المحيية ترى مجد الرب وباعلان تنظر عظمته وأنا قد رأيت كما كتبت لي سابقاً رأيت أيها الاب الاقدس اسراراً عظيمة يوم الاحد بعد ما أرسلت لك مرسوم الاتحاد لتصطلح الكنائس لاني كنت أتضرع الى الله بدون فتور ان يغفر كل ما فعلت فان نعمته أقنعتني كما قلت اني بينما كنت واقفاً أصعد الذبيحة المقدسة في يوم الرب في الساعة الثالثة من النهار في شهر بؤنة في اليوم الخامس عشر منه وحينما كنا نرتل لله ترنيمة الثلاث تقديسات أضاء حولي نور عظيم لا ينطق به ولم أره قط واكتنفني أنا وكل المذبح وقد رأيت ربنا يسوع المسيح كطفل مشتمل بلباس أبيض من الصوف ورأيت رسم المسامير عليه وكان متكئاً على الصينية والكاس الموضوعين على المذبح كما على سرير وبغتة انتزع مني الخوف والجزع وامتلأت من الفرح وكنت أظن اني لست على الارض بالكلية وقد سمعته يقول هكذا الله يعلم ذلك (تقووا يا كهنتي تقو ياشعبي جميعاً فقد نزعت عنكم عار توقيع الكفر الذي وضعتموه على الطومس الدنس الذي للاون الملعون ومجمع خلكيدون) وبعد ذلك لم أره أبداً ولم أسمع صوته ولم أر هذا النور السعيد فلذلك اني أشكر الهنا الصانع العجائب

العظيمة وقد قصصت على أبوتك هذه الامور لكي تصلي عني أنا الحقير بدون فتور الى الله الذي يحبك الذي رأيته الذي لم تنكره الذي اعترفت به امام الملوك والرؤساء والذي رأيته أنا أيضاً رغماً عن عدم استحقاقي واني أشكره بدون انقطاع لان له المجد والملك الدائم الاب والابن والروح القدس الآن والى كل الاجيال آمين .

﴿ رسالة الاب بطرس الثامنة ﴾

من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس شريكي في الايمان .

هوذا قد استحققت أيها الاب الاقدس ان ترى الرب وتسمع اقوال الله المتجسد فهوذا ان الرب قبل توبتك ومنح الحرية الكاملة لك ولجميع الشعب أيضاً . وهذا السر رأيته أنا أيضاً منذ البدئ كما أعلنه لك الله والآن أيضاً في هذا الشهر الذي أرسلت لي فيه (الامر) في يوم الاحد في الساعة الثالثة من النهار بينما كنت في كنيستي الخصوصية أصنع شركة الذبيحة المقدسة وأرتل لله ترنيمة الثلاث تقديسات التي للقوات السمائيين ظهر لي بمجده متكئاً على الصينية والكاس كما رأيته أنت وسمعت ما سمعت ولم أر وأسمع شيئاً أكثر مما رأيت وسمعت كما يعلم الله الذي لا شريك له وحده احفظ ذلك اذاً بثبات الايمان الارثوذكسي من سيدنا يسوع المسيح الذي ظهر لنا الذي تجسد بدون تحويل بلا اختلاط ولا افتراق وولد بلا تكييف ولا ادراك من أم الله القديسة مريم وتألم وصلب عنا وقام من الاموات في [illegible] الثالث وقضى أربعين يوماً يظهر لتلاميذه في أغلب الاحيان آكلا وشاربا معهم وهكذا صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وفي آخر الزمان يأتي من السموات بمجد رهيب بظهوره الثاني لكي يدين الاحياء والاموات فسانا نجد رحمة ودالة ونستحق ان نسمع منه (تعالوا يا مباركي أبي ارثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم) فليكن لنا جميعاً أن نستحق ذلك بنعمة ورأفة ومحبة البشر التي لسيدنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي من قبله يجب له مع للاب والروح

القدس المحيي المساوي معه كل مجد وكل كرامة وكل سجود الآن وكل أوان . وإلى دهر الداهرين كلها آمين

هذا ما جرى بين الاب بطرس بطريرك الاسكندرية والاب اكاكيوس وقد اقتفى أثر خطوات هذا الاخير من بطاركة القسطنطينية وأشمروا المخادعين من بطاركة الكرسي الاسكندري افراويطاس سنة ١٩٤ وتيموثاوس الاول سنة ٥١١ وأنثيموس سنة ٥٣٥ وسرجيوس سنة ٦٠٨ وبيروس سنة ٦٣٩ وبولس سنة ٦٤٣ وبطرس سنة ٦٥٢ وتوماس سنة ٦٥٦ وثاودوروس سنة ٦٦٦ ويوحنا سنة ٦٦٢

(٤) وحدث ان أساقفة مصر لما أحسوا بأن بطريركهم عقد اتحاداً مع اكاكيوس الذي كانوا يظنون انه أحد اعضاء مجمع خلكيدون ونصير المؤيدين القول بالطبيعتين والمقرين على طومس لاون انفصلوا من شركته فانهم ظنوا ان بطريركهم وقع باتحاده مع اكاكيوس على دستور مجمع خلكيدون وطومس لاون واعترف بالطبيعتين في المسيح وكان منهم الاب يعقوب أسقف صاه ومينا أسقف مينة طامة فتدارك البطريرك هذا الامر ودعا أساقفة الجهات الى مجمع في الاسكندرية وعرض عليهم صور المحررات وصورة مرسوم الاتحاد فاقتنعوا غير ان شرذمة منهم أبت الا توقيع الحرم والحكم ضد اكاكيوس فرفض البطريرك طلبهم فانفصلوا من شركته وقطعوا العلاقة معه واستقلوا بأنفسهم وعرفوا بالذين لا رأس لهم

(٥) وكان من المعاصرين للاب بطرس منغوس بطرس القصار بطريرك انطاكية الذي كان أحد الذين أمضوا على منشور الاتحاد الكنائسي حتى أصبحت كراسي الاسكندرية وانطاكية وقسطنطينية تعترف باعتراف واحد في وقت واحد وقد اتهم المؤرخون الاب بطرس القصار بأنه زاد على الثلاث تقديسات العبارة الاخيرة منها كما تتلوها الكنائس القبطية والارمنية والحبشية والسريانية وهي التي تتضمن ولادة المسيح الاله وصلبه وموته وقيامته وأمر الكنائس أن ترتلها على هذه الزيادة ونفياً لهذه التهمة واثباتاً لكون هذه التقديسات لم يطرأ عليها تغيير بزيادة أو نقص كما نتلوها نحن وانها قديمة الوضع والترتيب ورسولية العهد وان الواضع لها هو اغناطيوس الثاوفورس والآمر بترتيلها قبل قراءة الانجيل

هو بطرس الرسول سلفه وان أول من بدأ بترتيلها هو يوسف ونيقوديموس حين أنزلا جسد المخلص من الصليب قول الناذكر في وجه ١٢٧ و ١٢٨ ان نسطور كره عزو الصلب والآلام للاله كما كره تلقيب العذراء بوالدة الاله أيضاً ولما كانت هذه التقديسات تحتوي على هذين الامرين واضحاً وكان وجودها على هذه الكيفية يحول دون البلوغ الى مراده ويمنع اذاعة مباديه نقص منها العبارة التي تدل على ولادة الاله وصلبه وقيامته واقتصر على أن تكون التقديسات هكذا (قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا) وأمر جميع الكنائس أن تتلوها على هذه الصفة وكان من الكنائس التي قبلت اوامره واطاعته كنائس بلاد سوريا وكنائس الشرق حيث تربى وحيث تلقى علومه فحدث أنه لما اتحد البطريرك بطرس الاسكندري مع البطريرك بطرس الانطاكي المشهور بالقصار أشار عليه واشترط ان يرد الى الثلاث تقديسات تلك العبارات الناقصة مريداً بذلك ان يحفظ التقليد الرسولي سلباً من شوائب الزيادة والنقصان وينزع منه جرثومة بدعة نسطور الوخيمة فعملاً باشارة الانبا بطرس منغوس أصدر البطريرك الانطاكي منشوراً الى كافة الابرشيات التابعة له في بلاد سوريا وغيرها يأمر طغمة الاكليروس ان يراعوا تلك العادة القديمة فعملوا كذلك وكنائس القسطنطينية قد امتثلت لهذه الاشارة وأصبحت ترتل التقديسات بالعبارة التي تتضمن ولادة الاله وموته . وكان يوجد أخصام كثيرون لبطرس القصار فاحتسبوا ما فعله بدعة وبدأوا يشنعون عليه بكل لسان ويتهمونه بأنه يعزو الولادة والموت والآلام للثالوث الاقدس ومن ثم دعوه صالب اللاهوت ودحضاً لهذه التهمة نذكر ما كتبه [illegible] موسهيم الانكليزي وهو أن (فيلكس (بابا رومية) ونظراءه عوجوا معنى بطرس القصار منتقدين بأنه قصد ان الثلاثة أقانيم في اللاهوت صلبوا كلهم ولذلك سمي الذين استصوبوا تلك الزيادة صالبي اللاهوت . وكانت نتيجة هذا الجدال ان المسيحيين الغربيين رفضوا الترنيمة على هذا الاسلوب لانهم فهموا أنها تشير الى صلب الاقانيم الثلاثة واما المسيحيون الشرقيون فاستمروا يستعملونها دائماً الى وقتنا هذا بدون خطية لانهم يعيدون الترنيمة الى المسيح وحده والى اقنوم واحد في الثالوث فقط (قرن ٥ ق ٢ ف ٥ : ١٨) وأعظم دليل الذين ذهبوا الى ان هذه الترنيمة تشير الى الثالوث الاقدس

تكرار لفظة قدوس ثلاث مرات كل دفعة معتبرين قدوس الله للاب وقدوس القوي للابن وقدوس الذي لا يموت للروح القدس فضلاوة على كون التواريخ تنكر كون الكنائس المصرية والسورية (ونفس بطرس القصار) اعتبرت هذه الترنيمة على هذه الكيفيه بالاصالة فان استدلالهم باطل من وجهين الاول هو انه كما لا يخفى انهذه الترنيمة يكررها المرتلون ثلاث مرات وكذلك كل لفظة (قدوس) منها يكررونها ثلاث مرات فتصير عدتها تسعة لان ثلاثة في ثلاثة تساوي تسعة فلو كان كل لفظة قدوس من الترنيمة تخص اقنوم لاصبحت بهذا الاعتبار الاقانيم تسعة لا ثلاثة بدليل كون لفظة (قدوس) تكرر تسع مرات . فالكنيسة لم تعتبر هذا الاعتبار أبداً بل انها حكمت ان يكررها المرتلون ويشيرون بها الى الابن المتأنس مؤيدة بها أفعاله الثلاثة الجوهرية وهي الولادة في الاولى والصلب بالثانية والقيامة بالثالثة ولا تستغرب من تكرار لفظة (قدوس) ثلاث مرات بكل ترنيمة وتوجيهها لاقنوم واحد فان ذلك من الامور المباحة شرعاً انجيلياً فان المسيح الاقنوم الثاني صلى صلاة وكررها بألفاظها ثلاث مرات مشيراً بها الى اقنوم الاب ولم تكن الصلاة الثلاثية موجهة لاقنوم واحد وكان كل صلاة منها تخص اقنوماً لزم اما أن يكون اقنوم آخر موجوداً خلاف اقنوم الابن الذي كان يصلي مشيراً بالصلاة اليه وهو باطل أو يكون الابن أشار بصلوة منها لاقنومه وهو أكثر بطلاً

الثاني ان فساد الاستدلال يظهر أيضاً من الكنائس التبع التي لا تزال تعتبر الى الآن هذه الترنيمة على أصلها وتتلوها في أوقات معلومة فان كنيسة المارونيين وكنيسة السريان الكاثوليك المشتقتين من كنيسة السريان الارثوذكسيين لا تزال كلتاهما تعتبر هذه الترنيمة على أصلها وتتلوها في جمعة (الحاش) أي الآلام وتشير بها الى اقنوم الابن المتأنس وعلاوة على ذلك ان المجمع الخامس أيدها وأجاز استعمالها يوحنا الثاني أسقف رومية وبعد ذلك لغيت من كنيسة اللاتين واليونان .

وقد اعترض على هذه الترنيمة كما نتلوها نحن الاب جراسيموس مسرة في الجزء الاول من تاريخ الانشقاق وجه ٢٩٦ بقوله (ان التسبيح المثلث لم يرد فيه ذكر

للتقديس الثالث ... فيه ذكر الله ثم القوي ثم الذي لايموت اعني ذكر لاهوت مجرد فعلى أي الاوجه شرحنا الزيادة لا يخرج المعنى عن ان الصلب وقع على اللاهوت وغالباً على الثالوث القدوس) والجواب على ذلك ان الاربعة الحيوانات رتلوا التقديس المثلث بخلاف زعم المعترض وذلك بقولهم (قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي (رؤ ٤ : ٩٨) فلا يخلو الحال ان تكون هذه الترتيلة تشير الى المسيح وهو الصحيح والاقرب الى المعنى بدليل قولهم (الذي كان والكائن والذي يأتي) الامر الذي لم يطلق في العهد الجديد الا على المسيح فقط ومن ذلك ما ورد في الرؤيا هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الارض نعم آمين أنا هو الالف والياء والبداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء (رؤ ١ : ٧ و ٨) ومن ذلك قوله تعالى ها أنا آتي سريعاً واجرتي معي ... أنا الالف والياء ... أنا يسوع أنا أصل وذرية داوود ... أنا آتي سريعاً آمين تعال أيها الرب يسوع (٢٢ : ١٢ و ٢٠) أو تكون هذه الترتيلة يشار بها الى الثالوث الاقدس فان كان الاول فهو المقصود ... وهو كاف لدحض الاعتراض والحكيم بصير وان كان الثاني فلنا في ذلك ... أيضاً لان قول الحيوانات (والذي يأتي) الامر الاخير انما يريدون به الابن المتجسد كقولنا (ياس صلبت عوضنا) ونريد به المسيح لا غير أي أحد الثلاثة أقانيم المتجسد فبقي للمعترض ان يقول وان كان قول الحيوانات (والذي يأتي) انما يريدون به اقنوم الابن لكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتاً مجرداً فنجيبه قائلين ان هذه العبارة التي قيلت من بعد التجسد لا يراد بها في الانجيل أو خلافه الا الابن حالة كونه متجسداً فاسمع ماذا قال الملاكان للرسل وقت صعود المسيح الممجد (ان يسوع هذا ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء (اع ١ : ١١) والاستدلال على ذلك كثير فلا حاجة بنا الى أكثر

البابا أثناسيوس الثاني البطريرك الثامن والعشرون

« سنة ٤٨١ م — ٤٨٨ م »

وحدث أنه لما توفي البابا بطرس منغوس في اليوم الثاني من هاتور بعد ما مكث ثماني سنين وثلاثة أشهر بطريركا عقد الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية وكرسوا أثناسيوس الرجل الفاضل القويم الرأي بطريركا ولم يكن في الاسكندرية بطريرك غيره لان الكنائس الرسولية أجمعت على رفض أعمال مجمع خلكيدون وطعنت بالحرم طومس لاون حتى ان نواب فيلكس الثالث بابا رومية لما حضروا في القسطنطينية دعاهم البطريرك اكاكيوس الى اعتماد مرسوم الاتحاد فلبوا دعوته ووافقوه على رأيه فخضع من ثم المسيحيون في سائر أبرشيات القطر المصري على اختلاف أجناسهم للبطريرك أثناسيوس وحدث مثل ذلك في كنيسة القسطنطينية فانه لما توفي أكاكيوس أخلفه افراويطاس وحذا حذوه مؤيداً مرسوم الاتحاد ورافضاً أعمال مجمع خلكيدون غير أنه لم تطل مدته ولما توفي قام بدله رجل متحزب لمجمع خلكيدون اسمه أوفيميوس فكدر صفاء الكنيسة وطرد المستقيمي الرأي فغضب عليه الملك وعقد مجمعاً حكم بقطعه وهكذا نفاه وأقام بدله مكدونيوس . أما أثناسيوس فلبث على كرسي رياسة الاساقفة ست سنين وعشرة أشهر وثلاثة وعشرون يوما وتوفي في اليوم العشرين من توت سنة ٤٨٨

البابا يوحنا الاول البطريرك التاسع والعشرون سنة ٤٨٨ م — ٤٩٦ م

ولم يشعر الآباء الاساقفة بان أثناسيوس الثاني رقد بالرب حتى بادروا الى الدار البطريركية وعقدوا مجمعاً فيها وقرروا رسامة رجل فاضل يدعى يوحنا وكرسوه بطريركاً وكان الملك زينون قد توفي وقام بدله القيصر انسطاسيوس البار فكتب اليه البطريرك ساويرس رسالة تحتوي على مبادىء الايمان القويم وكان مكدونيوس بطريرك

القسطنطينية قد قطع العلاقة مع كنيسة الاسكندرية وكنيسة انطاكية وأثبت أعمال المجمع الخلكيدوني فاجتمع عليه مجمع بأمر الملك في العاصمة أزله من كرسي البطريركية فنفاه الملك وأقام بدله رجلاً فاضلاً اسمه تيموثاوس فلما ارتقى على كرسي البطريركية عقد مجمعاً رفض أعمال مجمع خلكيدون واعلن اتحاده مع كنيستي الاسكندرية والانطاكية أما البابا يوحنا الاسكندري فاستمر على كرسيه ثمان سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً وتوفي بسنة ٤٩٦م

﴿ الحوادث المدنية في هذا الجيل ﴾

وحدث انه لما توفي الامبراطور تاودوسيوس الكبير سنة ٣٩٥ م اقتسم ابناه انوريوس واركاديوس المملكة بينهما فاستقل الاول بملك الغرب وأما الثاني فاستولى على الشرق ودخلت تحت حكمه مصر وآسيا الصغرى وسوريا وتراكيا وكان هذا الملك ضعيف الرأي عديم التدبير خاضعاً لامه افدوكسيا التي كانت على غاية من الحدة والحزم ولكنها كانت شرسة الاخلاق ومحبة للانتقام ومات اركاديوس سنة ٤٠٨ وكان عمره يومئذ تسع سنين وكان كأبيه في ضعف العقل وقلة الادراك فتسلطت عليه أخته بوليكريا التي كانت ضريبة أمها في سائر الاوصاف وقامت بتدبير المملكة بكل حزم وحدث في زمانه ان قبائل الهونيين أي الجر أغاروا على القسطنطينية وحاصروها وضيقوا على أهلها بعد أن استولوا على سبعين مدينة ونهبوها فالتزم تيودوسيوس أن يعقد صلحاً مع قائدهم تحت شروط مهينة للسلطنة وبعد موت هذا الامبراطور خلفته أخته بوليكريا وهي أول انثى جلست على سرير السلطنة الرومانية ولما كانت عادة الرومان لا تأذن بحكم المرأة مهما كانت درجتها خافت من ان يخلعوها من الكرسي فتزوجت برجل متقدم في السن من أكابر المجلس يدعى مرسيان وكانت لغاية ذلك الآن بتولاً وراهبة ففسخت شروط الرهبنة ونكثت عهدها (اقرأ وجه ١٨٠ من كتاب الكنز الثمين للبطريرك مكسيموس مظلوم المجلد الثالث) ففوضت الى زوجها أمور المملكة ثم انفرد زوجها بالملك وقد جلب كل منهما على ذاته عاراً واهانة

كبرى بسبب تمرضهما في مجمع خلكيدون لحزب دون آخر فانهما اغتصبا الاساقفة على ان يوقعا على طومس لاون وهدد بالنفي من يعصى أمرهما وحكما بقبول رؤوس الحزب النسطوري الذين هم تاودرتوس أسقف كورش وهيبا أسقف الرها وتاودورس أسقف المصيصة ومنس أسقف عرطشير وطردا أساقفة كثيرين من كراسيهم حين أبوا ان يقروا بمبادئ الطومس المذكور ويوقعوا على أعمال المجمع فنجمت عن ذلك قلاقل بين المسيحيين في كل مكان وانشقت كنيسة المسيح وقام كل قسم منها يقاوم الآخر ويعانده حتى بلغ الامر بذلك أغلب الاحيان الى هرق الدماء في أماكن العبادة نفسها وكل ذلك سببه تمرض الهيئة المالكة للامور الدينية والحكم فيها ولنذكر حادثتين على سبيل الاعتبار

(الاولى) ان نصارى فلسطين وبالاخص أورشليم رفضوا أعمال مجمع خلكيدون واعتبروا أعضاءه لصوصاً وجناة لانهم أمضوا على طومس لاون خوفاً من سطوة الملك وبطشه فحدث انه جاء الى أورشليم يوبينالبوس أحد اعضاء هذا المجمع الذي كان وقع على الاعتراف بالطبيعة الواحدة في مجمع افسس الثاني وكان أحد المتحمسين لهذا التعليم والمؤيدين له وكان برفقته أسقف آخر يدعى سابا فلما علم اكليروس المدينة ان أسقفهم وقع على الاعتراف بالطبيعتين حياء وخجلاً وخوفاً من الملك رفضوا الاشتراك معه وحرضوا كبار المؤمنين على مقاومته وكان في المدينة وال شديد الاعتصام بالمذهب الصحيح اسمه بولس فاتحد مع المؤمنين وقاوموا يوبينالبوس والاسقف سابا وألزموهما ان يتوبا ويندما على ما اقترفاه من الاثم بتوقيعهما على الحكم ضد ديوسقوروس بعد ما كانا من ضمن أنصاره وعلى الاعتراف بالطبيعتين بعد ما كانا يعترفان ويقران بالطبيعة الواحدة أو يخرجان من المدينة واذ كانا خائفين من غضب الملك تركا المدينة وانطلقا الى العاصمة وأخبرا مارسيان بكل ما جرى لهما فعزل الملك الوالي بولس ونفاه وقلد الاسقف سابا ولاية المدينة وسلمه فرقة من الجند وأمره ان يهدد أهل أورشليم بالقتل والنفي ويضطرهم على قبول أعمال مجمع خلكيدون والخضوع ليوبينالبوس فانطلق سابا الى أورشليم والقى القبض على الوالي بولس وغلله بالقيود وأرسله الى القيصر فقتله به فكان ذلك داعياً الى ان أهل المدينة عقوه عصبا للطاعة وتظاهروا بالعصيان

ضد الملك ورفضوا أوامره واحتقروا الوالي ديونيسيوس معاً ولم يسمعوا لهما قولاً
فحدث انه لما كانوا مجتمعين للصلوة يوم عيد العذراء، وكان قس يدعى سيلاس وشماس
يدعى سوسنا يخدمان السرائر المقدسة دخل الوالي ليقرأ على الشعب أوامر الملك
وصورة مذهب المجمع الخلكيدوني فحين بلغ القاري الى ذكر الطبيعتين صاح
الكاهن والشماس بصوت واحد (محروم مجمع خلكيدون وطومس لاون) فتبعهما
الشعب وصرخوا من فم واحد (محروم مجمع خلكيدون وطومس لاون) فلم يسمع
الوالي ذلك حتى أمر الجند ان يكتفوا بالشعب ويقبضوا على الكاهن والشماس
فقبضوا عليهما وقتلوهما وجردوا سيوفهم وقتلوا كل من أدركوه حتى امتلأت الكنيسة
من أجساد الشهداء ودماء المجاهدين ثم بعد ذلك هجموا على الاديرة وطردوا الرهبان
وفتكوا بالراهبات وفضحوهن

(الثانية) أنه لما نفى مرسيان ديسقوروس البطريرك الاسكندري هو
والاساقفة الذين لم يعترفوا بدستور الايمان الذي ألفه المجمع الخلكيدوني أرسل
قاصداً الى الاسكندرية حاملا صورة العقيدة الجديدة مزوداً بأمر الى المصريين
أن يختاروا بطريركا لهم بدل ديسقوروس من يوقع على هذه الصورة واتفق أنه
عند ما بلغ الى المدينة وصل اليها أيضاً أسقف مصري يدعى مكاريوس كان
منفياً مع البطريرك وأرسله متنكراً صحبة تجار مصريين الى الاسكندرية ليثبت
أهلها على صخرة الايمان الصحيحة فلما جمع القاصد اكليروس المدينة ومعتبريها
لكي ينتخبوا بطريركاً بشرط ان يوقع على الاعتراف بالطبيعتين وعلى مواد طومس
لاون قاومه الاسقف بشهامة ورزانة واخذ يشرح للموجودين حال مجمع خلكيدون
وكيف ان أعماله كانت خرقاً للشرائع والقوانين البيعية وان مذهبه بدعة واختراع
وهرطقة ومخالف لمذهب آباء الكنيسة القديسين ولما رأى هذا الاسقف قساً
يسمى بروتوريوس كان خصماً من قبل ومعانداً لبطريركه ديسقوروس وغير خاضع
له مائلاً لاعتناق المذهب الجديد حباً في ان يرتقي درجة البطريركية وبخه علانية
وأظهر فساد سيرته وشروره الكثيرة للعموم فغضب الشعب والاكليروس على هذا
القاصد وبروتوريوس معاً ورفضوا أمر الملك وقاوموهما فحنق القاصد على الاسقف

وضربه برجله فانقلب على الارض صريعاً ومات شهيداً ثم أقام بروتوريوس بطريركاً وسلمه بقوة الجند البطريركانة فطرده المؤمنون منها فحمل عليهم القاصد بفرقة من الجند كانت معه وهم مجتمعون ليلة عيد القيامة في الصلوة وفرق شملهم وقتل كثيرين منهم واستولى على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها لبروتوريوس البطريرك الدخيل الذي من شدة خوفه على نفسه ترك البطريركانة واتخذ له منزلاً خارجاً عنها ففتك به لصوص واستولوا على الاموال التي كان اختطفها من الكنائس ثم مات مارسيان نحو سنة ٤٥٧ م وقام بدله على تخت السلطنة ليون الاول وكان ضريب سلفه في التضييق والتشديد على المؤمنين فنفى البطاركة القويمي الرأي ونفى تيموثاوس خليفة ديسقوروس وبطرس القصار بطريرك انطاكية وسفك دماء ثلاثين الفاً من نصارى الاسكندرية بدعوى انهم قتلوا بروتوريوس البطريرك الملكي وبدعوى انهم امتنعوا من الاشتراك مع تيموثوس الابيض البطريرك الدخيل الذي أقامه بدل تيموثاوس الذي نفاه واستمر الملك يشن غارة بين المسيحيين الى ان توفي سنة ٤٧٤ وقام بدله ليون الثاني ابن ابنته وكان قاصراً فأشرك معه في تدبير المملكة رجلا فاضلا اسمه (باسيليكوس) وكان قويم المعتقد فرد من النفي تيموثاوس بطريرك الاسكندرية وبطرس القصار وأحضرهما الى العاصمة وعقد مجمعاً مركباً من ٥٠٠ أسقف حكم برفض أعمال مجمع خلكيدون وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة للكلمة المتأنس ورشق بالحروم نسطور وأوطيخا ثم جلس على تخت المملكة زينون الملك البار سنة ٤٧٧ م وكان في أول الامر خلكيدوني المذهب فنفى بطرس منغوس من الاسكندرية وبطرس القصار من انطاكية لكنه ردهما من النفي وعقد بمشورتهما ومشورة اكاكيوس بطريرك القسطنطينية مجمعاً في العاصمة حكم برفض أعمال المجمع الخلكيدوني فايد حكمه وأصدر به المنشور المعروف بمرسوم الاتحاد ثم أخلفه الامبراطور انسطاسيوس سنة ٤٩١ وأصله من مدن ايطاليا ومن طائفة خاملة الذكر فارتقى بمهارته الى أن صار من جملة ضباط القصر الملكي فساعدته التقادير وتزوج بالقيصرة اريانة أم زينون فسمت في ترقيته الى المسند القيصري وكان نظير سلفه في احترامه للمذهب القويم وامداده لذويه بعمارة كنائسهم وأديرتهم واحسانه الى رهبانهم ومنح الرواتب السنوية لهم

الجيل السادس

البابا يوحنا الثاني البطريرك الثلاثون سنة ٤٩٧ م — ٥٠٨ م

ان الكنيسة الارثوذكسية على وجه العموم نظراً لما نالت في ختام القرن الماضي وأول هذا القرن من الحرية التامة والراحة الكاملة قد اتسع نطاقها واستعاضت ما خسرته من الابرشيات والمراكز الدينية فان الملك زينون وخليفته انسطاسيوس قد أولياها نعمة جزيلة وامداها بالعطايا والحبايا وقدازدانت بالكواكب المشرقة والانوار المضيئة فكان في الشرق الاب يعقوب أسقف سروج والاب فيلوكسينوس أسقف مابوغ والاب ساويرس بطريرك انطاكية وفي البلاد المصرية كان فيها العلماء الفطاحل والخطباء الافاضل والشيوخ القديسون ولما رقى يوحنا كاندرا البطريركية في شهر بؤنة سنة ٤٩٧ م جاءته الرسائل تترى من رؤساء الاساقفة خصوصاً من الاب ساويرس بطريرك انطاكية وتيموثاوس بطريرك القسطنطينية يمتدح كل منهما رسامته ويهنئه بوظيفته ويؤيد له الاعتراف الصحيح رافضاً الهرطقات خصوصاً هرطقة نسطور وأوطيخا وأبوليناريوس ومعترفاً بوحدة المسيح الطبيعية فقابل كل واحد منهما بمثل ذلك واستمر يسعى في توسيع نطاق كنيسته مدة احدى عشر سنة وثلاثة وعشرين يوماً وتوفي في اليوم السابع والعشرين من بشنس سنة ٥٠٨

البابا ديسقوروس الثاني الحادي والثلاثون سنة ٥٠٨ م — ٥١١ م

وفي شهر بؤنة من سنة ٥٠٨ اجتمع الاساقفة في الثغر الاسكندري وقرروا رسامة أحد كتبة السعيد الذكر يوحنا الثاني بطريركاً وكان على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وبحال ارتقائه حرر رسالة الى الانبا ساويرس بطريرك انطاكية ضمنها مبادئ الايمان الصحيح وأخبره بوفاة سلفه وبارتقائه الى كرسي الحبرية لجاوبه

برسالة عزاء فيها وضمنها له مبادئ المذهب القويم وحرضه على القيام بشؤون وظيفته حق القيام . ولم تكن مدة حبرية ديسقوروس طويلة ولم يستمر سوى سنتين وأربعة أشهر وستة وعشرين يوماً وتوفي في اليوم السابع عشر من شهر بابه سنة ٥١١ م

البابا تيموثاوس الثالث البطريرك الثاني والثلاثون سنة ٥١١ م — ٥٢٨ م

(١) جهاده عن الايمان ونفيه واضطهاد مؤمني الاسكندرية (٢) نفي ساويرس بطريرك انطاكية الى مصر ومقاومته للهراطقة

---

(١) وفي شهر بابه اجتمع رؤساء كهنة القطر المصري في مركز الكرازة المرقسية واختاروا الاب تيموثاوس الثالث بطريركاً ووضعوا عليه اليد وكان عالماً فطناً وكاملاً فاضلاً وشديد الاعتصام بمذهب سلفائه وقد اقتفى آثارهم في المحافظة على الوحدة المذهبيـة وتجديد العلاقات مع الكرسي الانطاكي فكتب تحريراً للاب المغبوط البطريرك ساويرس واتفق انه في حال ارتقائه الى الدرجة البطريركيـة توفي الملك القويم الرأي انسطاسيوس وخلفه القيصر يوستينوس وكان خلكيدوني المذهب فأخذ يسعى في تأييد أعماله فعقد مجمعاً في العاصمة واستدعى اليـه رؤساء الاساقفة وكان ممن استدعاه تيموثاوس البطريرك الاسكندري فأبى ان يقبـل دعوته ولبث في مركزه محافظاً على بنيه فسخط عليـه الملك وأمر باعتقاله ونفيه فقاوم هذا الامر نصارى الاسكندرية وتجاهروا بالعصيان على القيصر وأبوا ان يتركوا بطريركهم لينطلق الى النفي فأمر الملك الوالي ان يجرد الحسام ضدهم ففعل وقتل منهم عدداً لا يحصى وتضمن جدول البطاركة انه بلغ عدد من قتل منهم في هذه الدفعة مائتا الف نفر وبهذه الواسطة تمكن الوالي من القبض على البطريرك ونفاه فأقام في النفي بضعة سنين وعاد الى مركزه

(٢) ثم ان الملك دعا الى مجمعه الاب ساويرس البطريرك الانطاكي فلبى الدعوة واصحب معه نخبة من علماء كنيسته وأساقفته ومنهم فيلوكسينوس الرجل العالم الفاضل التقي انموذج الرهبنة ومثالها الحي أسقف مابوغ . فلما بلغوا المدينـة دعاهم الملك

الى الاقرار على أعمال المجمع الرابع بدون مفاوضة ولامناقشة فأبوا فهددهم بالطرد من مراكزهم فلم يهلهم ذلك ولم يهمهم وأصروا على عزمهم وثبتوا على رأيهم فأقام شخصاً اسمه بولس خلكيدوني المذهب بطريركاً على انطاكية وعزل الاب ساويرس ووضعه مع بعض الاساقفة في سجن والبعض الآخر نفاهم الى أماكن بعيدة فهرب الاب ساويرس من السجن وانطلق الى القطر المصري فترحب بقدومه وبمن معه من الاساقفة تيموثاوس الثالث البطريرك الاسكندري وخوفاً من سطوة الحكومة انطلق الاب ساويرس من الاسكندرية الى مدينة سخا من أعمال الغربية واختفى فيها وسكن عند رجل فاضل اسمه درتاوس كان مشهوراً بالاحسان والصدقة والاعتناء بالآباء الرهبان وبصالح الاديرة ولكن حدثت أمور في القطر المصري استدعت الاب ساويرس ان يخرج من مكان اختفائه ويظهر امام الناس ويكتب تحارير عديدة وذلك ان يوليانوس الاليكرنسي من القسطنطينية جدد بدعة أبوليناريوس اللاذقي وأوطاخي وذهب الى ان جسد المسيح غير قابل التأثر والفساد وأمال ببدعته عدداً وافراً خصوصاً من طغمة الرهبان في برية الاسقيط وقد قوي امره حين حكمت عليه الكنيسة بالخروج من حضنها فان البطريرك تيموثاوس الثالث قطعه وفصله من شركة الكنيسة فاتخذ مركزاً له برية الاسقيط ونشر اضاليله بين الرهبان فصار كثيرون منهم اعواناً وانصاراً له وجعلوا يقاومون ويعاندون رؤساء الدين وأئمة المسيحيين حتى اضطر الاب ساويرس الى ان كتب تحريراً لرئيس بدعتهم يوليانوس ضمنه مبادئ الايمان القويم وفند له اقواله واقوال اوطيخا الخيالي وهذه الرسالة مسجلة في كتاب اعتراف الآباء وهي تكذب كل من أتهم الاب ساويرس بان مذهبه كان اوطيخياً . اما البطريرك تيموثاوس فاستمر يسوس رعيته مدة ١٧ سنة ورقد بالرب في اليوم الثالث عشر من أمشير سنة ٥٢٨م بعد ما استمر في الحبرية ١٧ سنة و ٤ أشهر و ٦ أيام

البابا ثاودوسيوس البطريرك الثالث والثلاثون سنة ٥٢٨ م — ٥٥٩ م

(١) قانونية رسامة الاب ثاودوسيوس بطريركاً (٢) علاقته مع الاب ساويرس بطريرك انطاكية (٣) اضطهاد الملك له ونفيه (٤) غيرة الاب يعقوب المطران العام سيما في هدايته للاوطاخيين (٥) الثلاث قضايا

(١) ولم تمض بضعة أيام على وفاة البابا تيموثاوس الثالث حتى اجتمع وجهاء الشعب المسيحي والاساقفة في الدار البطريركية وقرروا رسامة ثاودوسيوس بطريركاً وقد أظهر من الغيرة والثبات والقوة والصبر على احتمال المصائب ما ماثل به من تقدمه من البابوات سلفائه كاثناسيوس وكيرلس وديسقوروس وبطرس منفوس وغيرهم وأول مصيبة ابتلي بها هي ان داكيانوس رئيس شمامسة كنيسة في الاسكندرية كان أمضى على تقرير رسامته بطريركاً ولكن قوماً أشراراً خدعوه وأغروه ان يقبل ان يكون بطريركاً فرضي بذلك فكرسوه في بيت قس غني يدعى ثاوداراس وسبب ذلك ان ثاودوسيوس كان حينما ارتقى الدرجة البطريركية جمع مجمعاً ورشق بالحرم مجمع خلكيدون وطومس لاون ونسطور وأوطيخا وسائر الهراطقة الذين من ضمنهم كان في ذلك الوقت يوليانوس الاليكرنسي المقطوع من تيموثاوس الثالث وساويرس البطريرك بسبب كونه جاري في تعليمه أبوليناريوس اللاذقي وأوطيخا فجعل يوليانوس علق داكيانوس المومااليه ويحتال عليه حتى قبل ان يكون بطريركاً وكان ليوليانوس صداقة مع يوحنا والي الاسكندرية فرشاه بالمال وأتحفه بالهدايا والعطايا حتى استماله الى ان طرد ثاودوسيوس البطريرك الشرعي الى مليج وأقام داكيانوس مقامه فثار القويمو الرأي ورفعوا دعوى الى الملك يوستنيانوس ضد الوالي وداكيانوس معاً فلبت دعواهم امرأته ثاودورة لانها كانت من الاسكندرية وشديدة الاعتصام بمذهب أهلها ومساعدة للقويمي الرأي ثم طلبت من وجهاء الثغر والاكليروس تقريراً يتضمن قانونية رسامة أي البطريركين فكتبوا التقرير وأمضوا عليه من الكهنة والاساقفة

وعددهم مائة وعشرين واحداً وكان داكيانوس واحداً منهم لانه كان ...
وأقر امام الجمهور بخطائه وطلب منهم ان يتوسطوا به لدى البطريرك لكي يقبله
بوظيفته الاولى فرضوا بذلك ثم رفعوا التقرير الى الملكة فحكمت بوجوب تجريد
داكيانوس وترجيع تاودوسيوس وتسليمه كرسي بطريركيته فلما وصل أمر الملكة
الى مصر رجع البطريرك الى مركزه باحتفال فائق وكان للقويمي الرأي بعوده
فرح جزيل.

(٢) انه حين ارتقى الاب تاودوسيوس درجة البطريركية كان لا يزال البطريرك
ساويرس الوحيد في زمانه والفريد في عصره يشتغل في مدينة سخا بمحاماته عن
الدين اليقين ومقاومته ليوليانوس الاوطاخي الحالي ويهتم بنوع خصوصي في صالح
رهبان جبل الاسقيط الذين كان أضلهم يوليانوس وقوي بهم أمره واشتد ازره
واستولى على الاديرة واماكن العبادة في الجبل المومأ اليه وطرد الرهبان القويمي
الرأي منها فاستمر الاب ساويرس يحاج هؤلاء الرهبان المتحكودي الحظ ويقتادهم
بإرشاداته وتحاريره حتى انتصر عليهم ورفع برقع الضلال عن أعينهم ومن جهة
أخرى أوصى الى درتاوس الذي كان ملتجئاً عنده وكان ارثوذكسي المذهب وغيور
على صالح الكنيسة ان ينطلق الى ارسطاماخوس الوالي ويطلب اليه ان يمنح الحرية
للرهبان الذين كان يوليانوس أذلهم وطردهم من أماكنهم ويأذن بنباء بيع لهم ففعل درتاوس
كذلك وتحصل على أمر بالحرية التامة للرهبان القويمي الرأي وماكاد الاب ساويرس
يصدق ان نار هرطقة أوطاخي خمدت في البرية حتى ظهرت في الاسكندرية وفازت بطرد
تاودوسيوس الارثوذكسي منها وقيام داكيانوس مقامه وكان تاودوسيوس حين صار
بطريركاً كتب للاب ساويرس تحريراً يتضمن الاعتراف الصحيح بالايمان فرد عليه
بتحرير مثله وهذا التحرير وذاك مسجلان في كتاب اعتراف الآباء في الكنيسة القبطية فلما
أحس ساويرس بانتصار الاوطاخيين في الاسكندرية اتقدت الغيرة الدينية في رأسه فأخذ
يفوّق نحوهم سهامه ويرشقهم بنبله الروحية من جهة ويذكر الاب تاودوسيوس
بصبر الآباء الرسل ويوحنا فم الذهب وأثناسيوس من جهة أخرى الى ان عاد الى
كرسيه بالجلة والاكرام

... في تاودوسيوس غير ذلك مرتين المرة الاولى في أيام يوستينوس القيصر وتفصيل ذلك ان هذا الملك استدعى تاودوسيوس الى العاصمة لكي يقر على أعمال مجمع خلكيدون فرفض ذلك امام والي الاسكندرية وعسكره فنفاه الوالي الى الصعيد حيث أقام أربع سنين فلما علم الملك بذلك أقام بطريركاً دخيلا بدله يدعى بولس وأرسله الى الاسكندرية فرفض المؤمنون الاشتراك معه فغضب الملك وأمر بقفل كنائس الاسكندرية فقفلت جميعها وبقي المسيحيون بدون صلوة مدة سنة فلما سمع البطريرك وهو في النفي بهذه الاحوال المكدرة خاف على سقوط كنيسته في أيدي الهراطقة واستدرك أمرها فبدأ يبعث الى المسيحيين بالتقارير المملوءة من المحبة والعزاء الالهي مثبتاً اياهم على صخرة الايمان المسيحي أما الملك فأمر بفتح الكنائس وباستيلاء الخلكيدونيين عليها فلما آيس القوم الرأي منها عمدوا الى بناء كنيستين خارج المدينة احداهما على اسم دميان والاخرى على اسم قزمان وشرعوا يصلون فيهما وأما المرة الثانية فهي انه لما جلس على تخت المملكة يوستينيانوس وكان أشد تعصباً وأكثر توحشاً من سلفه عزم على ان يستأصل الاعتراف بالطبيعة الواحدة ويفتك بذويه جاعلاً الاعتقاد الذي نظراً لكون الملوك أمدوه بسطوتهم لقب بالملكي هو الاعتقاد العام في سائر انحاء المملكة متهدداً كل من يقر بخلافه بالقصاص المريع فلكي يجذب أول مرة القوم الرأي بلا قسر وبدون عنف استدعى البطريرك تاودوسيوس من النفي بالرفق واللين الى مجمع في القسطنطينية فاستصحب أشهر علماء كنيسته وفضلاء أساقفته وانطلق بهم الى العاصمة فلما وصلوا اليها قابلهم الملك بالاكرام الجزيل وبدأ يتملقهم ليذعنوا لرأيه ويشتركوا مع المجمع في الاقرار على أعمال مجمع خلكيدون وكان أساقفة كثيرون من سوريا وما بين النهرين وجهات مختلفة قد أبوا ان يشتركوا مع المجمع فحنق عليهم الملك ونفى بعضهم وأودع البعض الآخر في السجون فلما قاوم تاودوسيوس وأساقفته ارادة الامبراطور غضب عليهم وحبسهم ونفى البطريرك وكانت الملكة تاودورة وسائر علماء البلاط غير راضين بهذه المعاملة الرديئة والقساوة الشديدة اللتين اتخذهما الملك ديدنا له فاعتبروا ذلك ضرباً من التوحش والهمجية وكانوا يعزون المضطهدين ويقومون بكل ما كان

يحتاجه المسجونون من المؤونة والقوت . ثم ان الملك بعد ما نفى تاودوسيوس قلد وظيفته لشخص يدعى أبوليناريوس وارسله بفرقة من الجند الى الاسكندرية وأمر قائد الجيش ان يجد لتسليم البطريركخانة والكنائس لابوليناريوس وسيلة قهرية ان أبى نصارى مصر ان يخضعوا لامره ويؤدوا الطاعة للبطريرك فلما جاء بعسكره الى الاسكندرية وقرأ عليهم منشور الملك القاضي بقبول أبوليناريوس وبقصاص من يخالفه أظهر الشعب حماسة وغيرة شديدة نابذين الطاعة ظهرياً للدخيل ومقاومين ارادة الملك ومخالفين لامره وفيما هم على حال القلق والاضطراب اكتنفهم العسكر من كل جانب مجردين سيوفهم وقتلوا كل من ادركوه حتى سالت دماء الشعب في طرقات المدينة وأزقتها وشتتوا شمل من لم يدركوه وبهذه الوسيلة استولى البطريرك الدخيل على البطريركخانة وعلى سائر الكنائس

(٣) وهكذا نفى الملك سائر رؤساء الاساقفة كانتيموس من القسطنطينية وسرجيوس خليفة ساويرس من انطاكية وغيرهما وأشغل مراكزهم بأنصار الاعتقاد الملكي وألقى القبض على سائر رؤساء الكهنة وعلماء الارثوذكسيين فهرب من لم يدركه منهم الى الجبال والبراري والاديرة وتحصنوا فيها وغيرهم هجروا البلاد وتوجهوا الى بلاد النوبة والحبشة والهند ثم أصدر منشوراً الى الولاة بالتشديد في طلب الكهنة القويمي الرأي وبقصاص كل من ظهر مخالفاً لاعمال مجمع خلكيدون وبهذه الواسطة كاد ينتصر الانتصار التام على الارثوذكسيين غير ان شخصا يدعى يعقوب من سوريا ذهب ليفتقد رؤساء الكهنة المسجونين في العاصمة وبمساعدة الملكة تاودورة تحصل على ان يرتسم منهم سراً مطراناً عاماً ويكون مركزه في ايدسا فلما رقى هذه الدرجة طاف كل بلاد الشرق بأقرب وقت وانعش فيها الايمان الذي كاد وقتئذ يضمحل وجذب سائر الفرق والمذاهب الى الوحدة المذهبية وهدى تباع أوطيخا وجعلهم يتركون مذهبهم الفاسد ويتمذهبون بمذهب الكنيسة القويم وقد شهد المؤرخون على ان هذا الرجل كان تقياً وقادراً في فصاحته وعلمه وانه لو لم يهيء الله وجوده لما كان قام لقويمي الرأي المعتقدين بالوحدة الطبيعية للمسيح قائمة ومن ذلك ما قاله المؤرخ الشهير موسهيم الانكليزي مثبتاً ما نحن في صدده من الاضطهاد العنيف الذي وقع على الارثوذكسيين وهو

ل ـ لك دور حيب و حسد يسوب وبي ميل جد من ـ ساقيهم اد ص

بمضهم والبعض أسروا استنهض حالهم الساقطة رجل مجهول يعقوب البرادعي أو زنزالي فهذا الراهب المسكين الجلد الذي لا يكل ولا يمل اذ رسمه بعض القسوس المحبوسين طاف كل الشرق ماشياً ونظم عدداً وافراً من الاساقفة والقسوس وأنعش في كل مكان ذوي الطبيعة الواحدة المذللين وكان نادراً جداً في فصاحته واجتهاده المدهش حتى انه حين مات سنة ٥٧٨ في الرها حيث كان أسقفاً ترك شيعته نامية أحسن نمو في سوريا وما بين النهرين وارمينية ومصر ونوبية والحبش وفي بلاد أخرى ولاشى نحو كل المنازعات التي كانت فيما بين ذوي الطبيعة الواحدة (قرن ٦ ق ٢ ف ٥ : ٦) وقال الاب جراسيوس مسرة (ولكن يعقوب الزنزلي المعروف بالبرادعي قام بغيرة عظيمة وأخذ في توحيد كلمتهم وقد سيم أسقفاً على ايدسا (الرها) واشتغل مدة ٣٣ سنة في ضم طائفته الى واحدة وكان لابساً بردعة أي ثوب مخلق يطوف تحت الاخطار والاهوال من بلد الى بلد ومن قرية الى قرية يشرطن أساقفة وقسوسا ويضم الشيع المتفرقة الى مراكز معلومة ويوفق بين المتخاصمين الى ان جدد لهم مركز البطريركية في انطاكية فاكرمه أصحاب المذهب بتسميتهم يعاقبة من اسمه وهكذا استقر المذهب في كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين وسوريا وقبرص وفلسطين وبلاد الارمن ومصر والحبش (الجزء الاول وجه ٢٩٥)

(٤) وفيما كان يوستنيانوس يرتكب هذه الجرائم الفظيعة المغضبة لله وللناس معاً ضد القويمي الرأي أملاً في تأييد أعمال مجمع خلكيدون قابله ثيودوروس أسقف قيصرية الذي كان يعتبره ويثق بكلامه ويقبل مشورته وكان ارثوذكسياً عارفاً باختلال مجمع خلكيدون وما تخلله من الاغراض والغايات وكيف كانت أعماله خرقاً للشرائع ومخالفة للعدالة ففاوض القيصر وأيد له بالدليل الراهن عدم صحة ذلك المجمع وكيف انه احتضن رؤوس الشيعة النسطورية بغش وخداع وحيلة ومكر وبدون ان يرذلها نسطور وما كتبوه من المؤلفات والتعارير تأييداً لمبداه بالحروم واللعنات فصغى القيصر لكلام ثيودورس والتفت الى قوله باذن واعية وطلب اليه ان يوضح له من هم أولئك الاراتقة الذين احتضنهم المجمع بغير حق ارثوذكسيين فاجابه قائلا هم

هيبا أسقف الرها الذي كان حرمه مجمع انطاكية الاقليمي ومجمع افسس وتاودريتوس أسقف كورش التي طارت مؤلفاته التي أيد بهما مذهب نسطور في الآفاق وما زالت عثرة للقويمي الرأي في كل مكان وزمان وزد على ذلك ان تاودرتوس المبسوستي أسقف المصيصة مع كونه مات نسطوريا من قبل انعقاد مجمع خلكيدون بمدة سنين قد اعتبره المجمع الموما اليه ارثوذكسياً فلما وقف الملك على ذلك ارتاب بصحة المجمع وسكت عن اضطهاد المسيحيين وأخذ يشتغل في البحث عن قانونية ذلك المجمع ولما وقف على صحة ما قيل له أصدر أمراً ضد الاشخاص الثلاثة الموما اليهم مكتفياً بالحكم ضد مؤلفاتهم وهي مؤلفات تاودورس المبسوستي وكتابات تاوذوريتوس ضد كيرلس والرسالة المنسوبة الى الاسقف ايبا خطاباً الى مارس الفارسي وطلب ان يمضي هذا الامر الاساقفة وتهدد المقاومين بالعزل ثم عقد مجمعاً برئاسة البطريرك ميناس الذي كان أقامه بدل انتيموس القويم الرأي الذي كان نفاه فثبت المجمع حكمه على الفصول المذكورة سلفاً غير ان أساقفة الغرب لم يرضوا بهذا الحكم واعتبروا انه يشلم صحة مجمع خلكيدون وكانت الملكة تاوذرة القويمة الرأي قد دعت ويجيليوس بابا رومية الى حرم مجمع خلكيدون ومساعدة البطاركة انتيموس وساويرس وتاودوسيوس والقول بقولهم فاجاب دعوتها وثبت المعتقد بالطبيعة الواحدة وحكم على مجمع خلكيدون وطومس لاون وحرم من يعتقد ان في المسيح المخلص طبيعتين ولا يعترف بجوهر واحد فقط والذي يقول انه صلب من حيث هو انسان ولا يعترف ان ابن الله نفسه صلب وحرم رؤوس الشيعة النسطورية الذين قبلهم مجمع خلكيدون فوبخه أساقفة الغرب على ذلك وقاوموه فندم ثم دعاه القيصر الى العاصمة وأمره ان يثبت الحكم ضد الفصول الثلاثة فابى فهدده الملك فثبتها فسخط عليه أساقفة الغرب فحاول ان يسحب امضاءه من الحكم فلم يستطع ذلك فأمر اكليروس القسطنطينية ان لا يخضعوا لامر الملك وهدد من يخالف وصيته بقصاص كنائسي ولما أمضى ميناس البطريرك في مجمع آخر على ذلك الحكم قطعه وكذلك قطع ميناس ويجيليوس وهكذا قام النزاع في كل مكان فلكي ينهي الملك هذه القلاقل أمر بانعقاد مجمع مسكوني فانعقد في القسطنطينية وكان مركبا من ١٦٥ أسقفاً خلكيدونيا أوجب

جميعهم الحكم ضد مؤلفات رؤوس الشيعة النسطورية وكان أغلب آباء هذا المجمع من أساقفة الشرق ولم يحضره من أساقفة الغرب الا نفر قليل وكان البابا وجيليوس يومئذ في المدينة متمرضاً ولما أعرضت عليه أحكام المجمع ليوقع عليها رفضها فنفاه الملك ثم ندم وأيد تلك الاحكام فرده الى كرسيه فانفصل من شركته أساقفته لعلمهم انه ازدرى بمجمع خلكيدون وأهان أحكامه

البابا بطرس الرابع البطريرك الرابع والثلاثون سنة ٥٥٩ م — ٥٦١ م

كان الملك عين بطريركاً دخيلاً اسمه أبوليناريوس ضبط الكنائس واستولى على أملاكها بقوة الحكومة وأذل المؤمنين اذلالاً عنيفاً حتى صاروا لايستطيعون ان يتظاهروا ويحتفلوا بالصلوة الا في الاماكن المستترة وفي الكنائس البعيدة فلما توفي البابا ثاودوسيوس في اليوم الثامن والعشرين من بؤنة بعد ما استمر في الرئاسة الاسقفية واحد وثلاثين سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً قضى منها ٢٨ سنة في النفي استدعى الشعب ثلاثة أساقفة من القويمي الرأي وانطلقوا بهم الى دير الزجاج خارج الاسكندرية يبعد مسافة تسعة أميال عنها واختاروا انساناً فاضلاً من الرهبان ووضعوا عليه الايدي وكرسوه بطريركاً وجعلوا مركزه في هذا الدير خوفاً من سطوة بطريرك الملكية فلما أحس هذا بأن أخصام مجمع خلكيدون كرسوا لهم بطريركا رفع دعوى عليهم امام الملك لكنه توفي قبل ان يصل خطابه الى البلاط وفعل ارثوذكسيو انطاكية كما فعل ارثوذكسيو الاسكندرية فانهم استدعوا الاساقفة القويمي الرأي الى دير خارج انطاكية اسمه دير القديس أمونيوس وانتخبوا شخصاً يدعى ثاوفيلس وكرسوه بطريركاً ومن ذلك الحين تم افتراق الكنائس عن بعضها فصار الملكيون يقيمون لهم بطاركة خصوصيين والقويمو الرأي يقيمون لهم بطاركة خصوصيين أيضاً وما زالوا كذلك الى الآن . وكان الاب بطرس الرابع فاضلاً جداً ووجيهاً وكانت رعيته نالت راحة تامة من بعد ما قاست الاتعاب الشديدة وزالت من بينها كل الاختلافات بمساعي الاب بطرس الغيور واجتهاده سيما من بين الرهبان فكانت الاديرة على كثرتها وشهرتها

واختلاف جنسية أهلها من قبط ويونان وسريان جميعها تقر باقرار الايمان القويم ورفض أعمال مجمع خلكيدون وقد مكث الاب بطرس في الحبرية سنتين وتوفي في اليوم الخامس والعشرين من بؤنه سنة ٥٦١ م

البابا دميانوس البطريرك الخامس والثلاثون سنة ٥٦٣ م — ٥٩٨ م

(١) تعقب دميانوس أثار المراطقة وتنقيته للكنيسة منهم (٢) أصل البرشنوفيين

---

(١) كان البابا بطرس الرابع انتخب من دير طور نابور راهبا يدعى دميانوس وجعله كاتم سره وكاتب يده فصار يشتغل بهذه المهنة الى ان تمرن على سائر أشغال البطريركخانة فلما توفي البطريرك قدمه الاساقفة بطريركاً في شهر أبيب سنة ٥٦٣ م بعد ما خلي الكرسي البطريركي سنتين فلما رقى الكاتدرا وجه عنايته نحو ضم شمل المسيحيين المتفرقة الى حضن الكنيسة ووحدتها فكان بين الرهبان قوم من شيع مليطس الاسيوطي الذي مر ذكره في ختام الجيل الثالث راجع وجه (٦١) ومن آراء هؤلاء القوم انهم كانوا يتناولون خمراً و يشربون منها مراراً كثيرة اثناء الليل الى الصباح اذا عزموا ان يقدسوا السرائر بدعواهم ان المسيح والرسل شربوا خمراً قبل العشاء الذي من بعده كان العهد الجديد بدم الفادي فطرد البطريرك هؤلاء القوم من الاسقيط وحذر الرهبان من قبولهم الى ان يتوبوا ويرجعوا نادمين هذا من داخل واما من خارج فقد اعتنى كثيراً في انتشال بطرس بطريرك انطاكية من الهرطقة بتعليمه الوخيم الذي عليه في اللاهوت الاقدس وتفصيل ذلك ان دعائم الاتحاد بين الكرسي الانطاكي والكرسي الاسكندري كان يعززها ويزيد ثباتها من زمان الى آخر تحارير السلام التي كان يرسلها كل بطريرك أحد الكرسيين الى الآخر كما أشار الى ذلك المؤرخ موسهيم بقوله (ان طيش اليونانيين ورغبتهم الحمقاء في اثبات الحق وطدت ذوي الطبيعة الواحدة على اس متين ومنذ ذلك كانت جماعتهم تساس من

اسقفين أو بطريركين الواحد أسقف الاسكندرية والآخر أسقف انطاكية ومع ان السوريين والمصريين يختلفون في بعض قضايا يعتنون جداً على ابقاء الالفة بعضهم مع بعض بالمكاتيب و بقضاء بعض مصالح حبية (قرن ٦ ق ٢ ف ٥ : ٧) فحدث ان بطرس بطريرك انطاكية خاطب عنـد ما ارتقى الى كرسي الحبرية دميانوس البطريرك الاسكندري بتحرير متضمن تعليم وخيم في اللاهوت وهو قوله ان الاعتقاد بسر الثالوث هو في غير محله وان لا ضرورة تستدعي الى القول ان الله هو ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس لان اقنوم الله واحد كما ان جوهره واحد أيضاً فلمـا وقف دميانوس على هذا التعليم الفاسد اتقد بنار الغيرة وخاف على سـقوط الكنيسة السورية فبادر الى بطرس بتحرير ينصحه فيـه ان يترك مبـدأه الاثيم ويقر كما تقر الكنيسة الجامعة ويهدده ان أبى قبول نصيحته بالقطع والحرم وقد قيل أن بطرس كان قاصداً بهذا الاعتقاد أن يبطل بدعة كونون أسقف طرسوس وفيلوبونيس الفيلسوف الاسكندري اللذين زعمـا ان في الله ثلاث طبائع متميزة عدداً متساوية تساويا تاماً غير متحدة الاتحاد الجوهري . غير ان بطرس رفض تحرير دميانوس ولم يرعو لنصيحته ولم يتذعر من ترهيبه ولم يكترث بتهديده وأصر على عناده ودام يقول بقوله وأرسل تحريراً الى البطريرك شديد اللهجة فلمـا وقف دميانوس على اصراره وعدم اذعانه جمع مجمعاً حكم بقطع بطرس الانطاكي وكان ذلك سبباً لانفصام عرى الوحدة بين المصريين والسوريين مدة عشرين سنة

(٢) أما حزب الذين لا رأس لهم الذين كانوا انفصـلوا من جسم الكنيسة من أيام السعيد الذكر البابا بطرس منغوس بسبب اتحاده مع كرسي القسطنطينية وبقي منهم نفر قليل ولم يبق من أساقفتهم وكهنتهم سوى أربعة قسوس فتشاوروا معاً واتفقوا على ان يكون أحدهم (ورشنوفة) أسقفاً فوضعوا عليه الايدي وتلقبوا باسمه وكان منهم جـماعة ساكنين في الجهة الغربية من مصر فلمـا أحسوا بتقدمة ورشنوفة أسقفاً غضبوا جداً وافترقوا عنهم وأقاموا لهم هم أيضاً أسقفاً وكانت حالتهم بالتنازل من يوم الى آخر الى ان بادوا عن آخرهم . وقد استمر دميانوس يسعى في ما يعود بالصالح على رعيته

مدة ٣٥ سنة واحدى عشر شهراً و٢٨ يوماً ورقد بالرب في اليوم الثامن عشر من شهر بؤنة وتوفي سنة ٥٩٨ م

﴿ الحوادث المدنية في هذا الجيل ﴾

انه لما توفي الامبراطور انسطاسيوس الارثوذكسي سنة ٥١٨ خلفه يوستينوس وأصل مولده في بلاد الروملي وكان أولا يرعى المواشي ثم انتظم في سلك الجندية وارتقى الى أعلى الرتب في أيام ليون الاول ثم استولى على سرير المملكة بالحيلة والخداع وفوق ذلك أنه كان خلكيدوني المذهب وشديد الكراهة والبغضة للارثوذكسيين فلما قبض على صولجان الملك وضع شريعة ضدهم وهي أن لا يقام بطريرك الا اذا وقع على أعمال مجمع خلكيدون وطومس لاون وان كل بطريرك أو أسقف لا يقر باقرار ذلك المجمع يطرد من أبرشيته وأول من نفذ مفعول هذه الشريعة ضده هو انتيموس بطريرك القسطنطينية فنفاه الملك وأقام بدله ميناس وكذلك طرد ساويرس من انطاكية وأقام بدله شخصاً يدعى بولس وطرد تاودوسيوس من الاسكندرية وأقام بدله بولس التنيسي وفتك بأهل المدينة الذين لم يرضوا ان يشتركوا مع الدخيل وقفل كنائسهم مدة سنة ولما توفي سنة ٥٢٧ م خلفه يوستيانوس ابن اخته وكان قائد جيشه بليساريوس على غاية من المعرفة في فن العسكرية وتدبير الحرب فكان ينتصر في كل مكان يتوجه اليه ومن ذلك انه استخلص بلاد افريقا من أيدي الفندال واسر (جليم) ملك قرطاجنة وأتى به الى القسطنطينية فقتل هناك في محفل حافل ثم زحف على ايطاليا وأخضعها مع سيسيليا وقهر ملك النوثيين وأتى به مقيداً بالزناجير ولما غزا قباذ بن فيروز ملك الفرس بلاد الروم ذهب ذلك القائد لمصادمته بجيشه المظفر فجرى بينهما عدة وقائع تارة انتصر فيها الفرس وأخرى الروم فاستمر الحال كذلك مدة مستطيلة بدون أن يتعين النصر لاحد الفريقين ثم انهما تهادنا أخيراً مدة خمسين سنة ولم ينته بليساريوس من هذه الحرب حتى عصت امة القوث المملكة في ايطاليا ونادت باستقلالها فزحف عليها وفي اثناء

غيابه وشى به حساده الى الملك فاستدعاه الى العاصمة وأرسل مكانه القائد نرسيس فحارب الغوثيين وانتصر عليهم وطردهم من البلاد . ونهض قوم من البلغاريين واتحدوا مع قبائل بلاد السرب وتقدموا بجموعهم الى مكدونية وتراكيا فهاجموها ونهبوها وامتدوا في غزوهم الى ان اقتربوا من القسطنطينية فخرج لقتالهم القائد بليساريوس وشتت شملهم وكانت هذه الحرب آخر انتصاراته فان الملك ورجال الحكومة كرهوه بعد ذلك فعاش الى الممات بالذل والهوان ومع كل سطوة المملكة وشهرة عظمتها ومجدها من خارج فان احوالها الداخلية كانت غير مرضية فكانت القلاقل الدينية قائمة على قدم وساق في كافة انحائها والمصائب تدهمها من كل جانب سيما بوقوع الزلازل في معظمها وعلى الخصوص مدينة انطاكية فهلك منها اثناء الزلازل نحو ٢٥٠ الف نسمة وحدث وباء عام دام وقتاً طويلاً كان يموت به من القسطنطينية نحو خمسة آلاف نسمة كل يوم وعشرة آلاف بعض الايام واستمر كذلك مدة ثلاثة أشهر حتى قل عدد الجنس البشري . ومن مآثر يوستنيانوس تأليف القانون المدني المعروف باسمه الذي هو الآن قاعدة الاحكام المدنية الحاضرة وقد ساعده على تأليفه تريبونيان الفقيه ولما توفي سنة ٥٦٥ م خلفه ابن اخيه يوستينوس الثاني وكانت له زوجة تدعى صوفية أحبت شاباً يسمى طيباريوس فحملت زوجها على ان يتبناه ويجعله ولي عهده قاصدة ان تتزوج به بعد موت زوجها فتبناه وجعله مستشاراً وشريكاً في السلطنة وفي ايامه ارسل اليه ملك التتر الهبارة سفارة لعقد معاهدة بين الدولتين فرفض هذا الطلب ثم عقد تحالفاً مع ملك التركمان على حرب كسرى أنوشروان ملك الفرس بسبب بلاد ارمنيا التي كانت شقت عصا الطاعة على الروم ودخلت تحت حكومة الفرس فحاربهم الامبراطور ولم تنته الحرب الا بموته ومن مآثره انه عند ما تولى زمام الاحكام أصدر أمراً بحرية الاديان فنال المستقيمو الرأي بهذا الامر حرية تامة ولما مات سنة ٥٧٨ م خلفه طيباريوس السالف الذكر وعند جلوسه أقام حرباً مع هرمز بن انوشروان وأرسل لقتاله قائداً من خاص قواده يدعى موريس فانتصر على الفرس في عدة مواقع فكافأ الملك هذا القائد بالمواهب الجزيلة وزوجه بابنته وعهد اليه بالملك وبعد موت طيباريوس سنة ٥٨٢ م تبوأ تخت السلطنة موريس المتقدم ذكره وفي أيامه حدثت

ثورة في بلاد الفرس الزمت هرمز ملكها ان يفر منها ويأتي اليه مستغيثاً به فترحب به واكرمه وامده بالجيوش وارسله الى بلاد العجم تحت اسم البروز خسرو الثاني . ثم التجه حول موريس التفاته الى حرب التتر الجبارة الذين كانوا آتوا من اسيا وسكنوا في بلاد المجر فارسل لقتالهم قائداً من قواده وأصحبه بجيش عديد فانتصر عليهم في خمس وقائع وكان ملك التتر قد اسر من عسكر الروم في تلك الحروب اثني عشر الف فارس فعرض على موريس افتداء الاسرى المذكورين وجعل على كل واحد دينارا من الذهب واذ كان هكذا القيصر بخيلاً لم يقبل ذلك فطلب منه ان يدفع عن كل واحد نصف دينار فرفض الطلب ايضاً فاغتاظ ملك التتر من فرط بخله وذبح جميع اسرى الروم فلما اشتهر هكذا الامر نفرت طباع الناس من ملكهم وابغضوه وحقد عليه الجند وعصوه وملكوا بدله رجلاً من رعاع الجند يدعى فوكاس وذلك سنة ٦٠٢ م

﴿ الجيل السابع ﴾

﴿ البابا انسطاسيوس البطريرك السادس والثلاثون سنة ٥٩٨ م — ٦١١ م ﴾

(١) اغتصاب البطريرك الملكي لكنيستي قزمان ودميان (٢) اعادة اتحاد الكرسي الاسكندري بالكرسي الانطاكي

---

(١) كان قس في كنيسة الانجيليين (وهي كنيسة كانت مبنية على اسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وكنيستي قزمان ودميان اسمه انسطاسيوس مشهوراً بالتقوى والعلم والفضل فلما توفي السعيد الذكر البابا دميانوس اجتمع الاساقفة وانتخبوا القس السالف الذكر وكرسوه بطريركاً في شهر أبيب سنة ٥٩٨ م فلما رقى كاتدرا مار مرقس قدم في حقه شكاية الى الملك أولوجيوس البطريرك الملكي الذي كانت ولاية بطريركيته لا تجاوز بعض الاكليروس والشعب من الاسكندرية لان سائر اساقفة ابرشيات القطر المصري والنوبة والخمس المدن الغربية والحبشة كانوا أحنوا رؤوسهم وخضعوا لبطاركة الاسكندرية القويمي الرأي وكانت شكاية اولوجيوس متضمنة الافتراء على انسطاسيوس بانه حلما صار بطريركا رشق المملكة الآخذة بناصر تعليم مجمع خلكيدون وتأييد اعماله بالحروم والقنات فغضب الملك وبدون تحقيق أرسل الى الوالي في الاسكندرية يأمره بأن يسلم لاولوجيوس كنيستي قزمان ودميان اللتين يجتمع فيهما أخصام مجمع خلكيدون بكثرة وان يطرد انسطاسيوس من المدينة فلما نفذ الوالي أمر القيصر حصل هياج عظيم وشغب وفتن بين المسيحيين كان ذلك فرصة لليهود فانتهزوها وقتلوا كثيرين من النصارى أما البطريرك فحزن جداً لانه فقد أشهر كنائسه وأعظمهن فانطلق الى الاسقيط وجعل مركزه فيه

(٢) وبعد ما مضى على انفصال كنيسة انطاكية من كنيسة الاسكندرية نحو عشرين سنة تقريباً بسبب بدعة بطرس البطريرك الانطاكي قام على الكرسي الرجل

الفاضل القويم الرأي المشهور بالقداسة الاب اثناسيوس فلما صار بطريركا اجتهد في تجديد الاتحاد واعادة الصلح والسلام بين السوريين والمصريين فكتب تحريراً مستقيم الرأي الى انسطاسيوس يعترف فيه بصحة المعتقد ويطلب تجديد العلاقات بين الكرسيين فرد عليه انسطاسيوس بانه يود الاتحاد ويرغبه ويتمناه من صميم فؤاده فلما قبل اثناسيوس تحرير البطريرك الاسكندري جمع الاساقفة وانطلق بهم الى مصر ليعقدوا مجمعاً يؤيد أمر الاتحاد وكان انسطاسيوس يومئذ في الاسقيط فلما علم بقدوم أساقفة بلاد سوريا وفي مقدمتهم البطريرك الانطاكي جمع أساقفته وأشهر علماء كنيسته وانطلقوا الى شط البحر وقابلوهم بما يليق لهم من الاكرام الجزيل والاحتفاء العظيم ثم ذهبوا الى دير على ساحل البحر وعقدوا المجمع فيه وبعد مفاوضات كثيرة في أمر الايمان استغرقت شهراً واحداً أجمعوا على الوحدة وختموا جلسات المجمع برفع السرائر الربية واشتراك جميعهم فيها ثم انطلق البطريرك الانطاكي الى كرسيه مسروراً بنجاح سفره وأما انسطاسيوس فقد الف اثني عشر كتاباً وكان يؤلف كل سنة واحداً منها واستمر على كرسي الحبرية اثني عشر سنة وستة أشهر وعشرة أيام وتوفي في اليوم الثاني والعشرين من شهر كيهك سنة ٦١١ م

فهرس تاريخ البطاركة والملوك

الصفحة

